

لجنة البيان العربي

# الغزل عند العرب

تأليف

حسان أبو رباح

مدير إدارة التحرير العربية بوزارة المعارف

[ حقوق الطبع محفوظة المؤلف ]

الطبعة الأولى

البيروت  
مطبعة دار البيان العربي  
١٠ شارع رماناقتا (الشارع الرابع)  
١٣٦٦ - ١٩٤٧

8  
1



الكتاب العربي

# الغزير عبدالعرب

١٩٥٠

درسي حسيه

تأليف

١٩٤٦/١٠/١١

حسان ابورحاب

مدير ادارة التحريات العربية بوزارة المعارف

[ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ]

3543 2.7/009

الطبعة الأولى

الادب العربي  
العلم العربي

مطبعة  
١٠ شارع فرانك (طابق اول المعارف)

١٩٤٧ - ١٣٦٦

٤١٩٤٤/٥



## مقدمة

للسياسة فضل علىّ في تأليف هذا الكتاب .  
ذلك أن الحزبية لازالت في بلادنا تخلط بين الرأى السياسى ، وبين الوظيفة ،  
وكان الوظيفة ملك لهذه الأحزاب تمنحها الأعوان والأنصار ، وتحرمها المعارضين  
والخصوم . وعندى أن هذا بلاء ندعو الله أن يجنب مصر ويالاته ونكباته . فالموظف  
في وظيفته ملك للدولة . . . وهو أياً كانت مرتبته خادم لأمته ، شأنه في ذلك شأن  
الرئيس أياً كانت مرتبته . وإذا أديا الوظيفة بأمانة وإخلاص ، كانا محل تقدير  
واحترام ، وإلا فالويل لهما كل الويل .  
نقلت إلى بنى سويف جزاء أن أعلنت رأى السياسى ، ولو أن هذا الاعلان  
كان قبل دخولى الوظيفة ا وقد فكرت أن أستقيل . ولو فملت لكنت من أغنياء  
هذه الحرب . . . ولكن الله سلم . . .  
ويظهر أنى لم أفعل لأمر قضاء الله : وهو هذا الكتاب .  
كانت لى بمصر أعمال كثيرة شغلتنى عن القراءة ، والكتابة ، والتأليف . وليس  
الأمر كذلك وأنا «فى بنى سويف» لأنه ليس فيها مايشغل وقت الفراغ سوى المقاهى ،  
وهى بفيضة إلىّ ، وأعتبرها مثابة للوكالة الخاملين .  
كان لا بد لى إذن من أن أقرأ . وأن أتابع القراءة ، وانصرفت بنوع خاص إلى  
قراءة كتب الأدب قديما وحديثها .  
وفى ذهنى منذ أن كنا نتلقى العلم أن للشعر العربى أبواباً ، وضعوا لها حدوداً

ومعالم هي : الحماسة ، والمدح ، والنسيب ، والأوصاف ، والزهد ، والهجاء ، والرثاء .  
 فأخذت أبحث في المكتبة العربية عن كتاب أو كتب في هذه الأبواب بعينها .  
 فلم أجد أسفاً إلا أقوالاً مبعثرة ، ومقالات متناثرة ، وخاصة لبعض أدبائنا المعاصرين .  
 فسألت نفسي في شيء من الحسرة والألم : كيف يقعد بنا العزم ، فلا نخدم الأدب  
 العربي ، في ناحية من نواحيه ، لها أثرها ونفعها ، ومكاتها ؟ . أهذا وجود ؟ . أو عجز  
 أو إهمال ؟ .

طغى علينا سيل الترجمة ، حتى امتلأ الإناء وفاض .  
 وطغى علينا حب الفرنجة ، حتى غلبنا في كل شيء .  
 أنا لا أدعو إلى أطراح المعرفة بما يجري في أمم الغرب من علم ، وأدب . ومدنية  
 وحضارة .

ولكنني لا أفهم أن يكون هذا هو كل شيء .  
 أفهم أن نعرف هذا . وأن نعرفه عن يقين وتفكير . ولكن لتذوقه ، ونجني  
 من ثماره ما يعود علينا بالخير في علمنا ، وأدبنا ، ومدنيتنا ، وحضارتنا .  
 إن من الواجب ألا ننسى قوميتنا . بل من الواجب ألا ندخر وسعاً في أن نرفع  
 هذه القومية ، بكل ما أوتينا من قوة . وبهذا نكون أهلاً للحرية ، وللمجد الذي  
 نصبو إليه ، ونجاهد في سبيله .  
 وإن في خدمة الأدب ودراسته ما يوحى إلينا من مثل كريمة : تهذب النفس ،  
 وتصلح الحس ، وتفتق الذهن ، وترقى بالعقل . كل هذه أمور يجدر بنا أن نحرص  
 عليها ، ونعص بالنواجز .

ما هو الغزل؟

ثم لم شُغِفَ العرب بالغزل؟

وما هو الأثر الذي يعود على الناشئ والقارىء إذا درس الغزل، وفهم معانيه، وتذوق سرامييه؟ وكَم له من سرام ومعانٍ!  
هذه أسئلة يجب أن يكون لها أجوبة، وأن تفصل هذه الأجوبة في دقة، وبحث، وأناة.

فأين الكتاب الذى عاج هذه المسائل؟ ويجد فيه القارىء ما يروى ظمأه.  
ويشفي غلته.

وقل مثل هذا فى سائر أبواب الشعر.

وقد آلمنى أن لم أجد كتاباً خاصاً يحدثنا عن كل باب من أبواب الشعر العربى، بل كتباً يتبارى فيها المؤلفون، ويتنافس الأدباء. لكل ذوقه ونهجه.  
ولكل طريقة تفكيره، وبيان وجهته. وفى ذلك خير للأدب وللنشء الذين يدرسون هذا الأدب.

أحسست إذن بنقص فى الكتب التى بأيدينا. وبنقص فى العناية بالكتابة عن أبواب الشعر العربى، على هذا النهج الذى ذكرت.

واعترفت أن أعاج هذا النقص بالأسلوب الذى أراه وبالتفكير الذى أهتدى إليه. وأنا أعلم أن الطريق محفوف بالصعاب. يكلف من يرتاده ضرباً من العسر، والعناء. ولكن الكاتب لا يضيره ما يلقى من صعوبة أو تعب، بل عليه أن يحاول، وأن يتأني الفكرة، وأن يدقق البحث، وأن يكون الإخلاص رائده. ولعله بعد ذلك يكون ناجحاً موقفاً، أو يكون أقرب إلى النجاح والتوفيق.

لهذا شحذت العزم، ودأبت على العمل، وقد عوّفتى، وعطلت على عبء الوظيفة، وعبء أعمال أخرى، تأخذ من وقتى وجهودى. فطال العهد، وتباطأ

جنى الثمر . وخاصة يمد أن عدت إلى القاهرة ، فعادت إلى كثرة من هذه الأعباء .  
ورعى الله الإسكندرية . حيث كانت تُضفي على بئسها ، وهوائها ما أعانني بعض  
العون ، في تأليف هذا الكتاب .

وقد اتسع أمانى الأفق .

لا بد أن أتحدث عن الشعر : كيف نشأ ؟ وكيف تطور ؟ وكيف مثل حياة  
العرب ؟ وكيف اتجه إلى هذه الأغراض من : مدح ، وحجاسة ، وغزل ، ووصف ،  
وزهد ، وهجاء ، ورتاء ؟

والغزل نفسه فيه نواح كثيرة لا بد من علاجها ، كل ناحية في كتاب .

فما العمل ؟

تمنيت أن يكون للمؤلف أضعاف وقته . وأن تكفل له الراحة ، ويكفل له العيش .  
إذن لأفاد ، وأثرت اللغة العربية من هذه الفائدة .

ولكن لا تجدى الأمانى .

وإذا صحت العزم . وخلصت النية ، تحقق ما نريد ، ولو طال المدى .

إذن سأتابع هذه السلسلة . وسيكون لكل سلسلة كتاب :

كتاب الشعر وتطوره .

كتاب الغزل .

كتاب شؤون الغزل وشجونته .

كتاب جمال المرأة والغزل .

هذه أربعة كتب سأبدأ بها العمل .

أما الكتاب الأول فضرورة لا بد منها لمن يعالج أبواب الشعر . وكنت قد رأيت

أول الأمر أن يكون مقدمة للغزل . ولكنني وجدته واسع المدى ، بعيد الخطر ، فرأيت

أن أفرد له كتاباً خاصاً .



كما كنت قد رأيت أن أجعل للغزل كتاباً واحداً . ولكن وجدت أنه سيتسع ،  
وسيتضخم ، وقد يمل القارئ من هذه السعة ، ومن تلك الضخامة . فرأيت من  
الحكمة أن يكون كتباً ثلاثة . فإذا انتهت من هذه الكتب الأربعة عن الشعر ،  
وعن الغزل ، اتجهت إلى أبواب الشعر الأخرى ، أعالجها على نحو ما عالجتها به الغزل .  
وأرجو ألا يطول بي المدى .

ولم بدأت بالحديث عن الغزل . دون أبواب الشعر الأخرى ؟  
ذلك سؤال لا أحتاج في الجواب عنه إلى كبير عناء .  
فالغزل أكثر أبواب الشعر من حيث الكم . وأغنى أبواب الشعر من حيث  
الدوق ، والفن ، والعاطفة .

ولأمر ما كان الغزل كذلك ؟  
الغزل غناء وطرب ، بهجة وسرور .  
ومن ذا الذي لا يجب أن يكون دوماً مبتهجاً طروباً ؟  
الغزل حب وإخلاص .

ومن ذا الذي لا تهفو نفسه إلى الحب ؟ ولا تنو إلى الإخلاص ؟  
وأياً قدح في الغزل القادحون ، وقالوا إن في بعضه عبثاً ، وفي بعضه لهواً . فإن  
النفس البشرية مهما ارتقت وسمت تجنح ولو في بعض الأحيان إلى اللهو والعبث  
فما بالك إذا كان بريئاً ، طاهراً ، كريماً .  
الغزل وجه الحياة المشرق الضاحك .

ومن ذا الذي يفر من النور إلى الظلام ، ويؤثر العبوس على الإشراق  
والابتسام ؟

الغزل حديث القلب والعاطفة .  
ولغة القلوب تستهوي القلوب ، ولغة العاطفة تحنو لها العاطفة .

على أنى لا أفهم الغزل فى هذا كله فحسب ، ولكنى أفهمه فنأى يوحى الجمال :  
 جمال الدوق . وجمال الحديث ، وجمال الفكر ، وجمال الأصوب . وأفهمه درساً ، يوحى  
 كثيراً من الأخلاق ، التى يحتاج إليها الإنسان الكريم .  
 ستعرف ذلك كله تفصيلاً حين تقرأ كتب الغزل هذه التى أشرت إليها آنفاً .  
 حين تقرأها بقلبك . ووعيك . ولعلك تؤمن معى أنى ألفت هذه الكتب عن فكرة  
 وغاية . أرجو أن يدركهما القارىء فيما بسطت ، وحسبى فيما فعلت أنى ابتغيت  
 الخير ، وعلى الله توكلت وإليه أنيب .

حسان الورعيات

الفاخرة فى { ربيع الأول سنة ١٣٦٦  
 فبراير سنة ١٩٤٧

# الباب الأول

## معنى الغزل - الفاظه

### الفصل الأول

#### معنى الغزل

أجمع علماء اللغة على أن الغزل معناه التحدث إلى النساء والتودد إليهن .  
وتشمل مادة « غزل » في اللغة ثلاثة معان :

١ - غزل الصوف - يغزله من باب ضرب . مده وفتله خيطاناً ، ومنه المغزل  
بكسر الميم وضمها ، عند تميم .

٢ - غزل بالمرأة - يغزل من باب فرح - حادتها وأفاض بذكرها .

٣ - أغزلت الظبية - صار لها غزال . فالغزال ولد الظبية .

هذه ثلاثة معان لكلمة « غزل » فهل يوجد ارتباط بين هذه المعاني ؟ يجمع  
بينها في باب واحد ، وإن اختلفت الغايات وتعددت السبل .

. نعم يوجد ارتباط وثيق بين « غزل الصوف » و « مغازلة المرأة » و « غزال الظبية » .

قال الزجاجي<sup>(١)</sup> - : أصل المغازلة : الإدارة والقتل . لإدارته عن أمر . ومنه

سمى المغزل لاستدارته وسرعة دورانه . وبه سمي الغزال لسرعة عدوه ، وسميت الشمس  
الغزاة لاستدارتها وسرعتها .

(١) المخصص ؛

وإذا شأننا أن نبسط هذا المعنى بعض البسط قلنا :  
 إن الغزل بالمرأة يتطلب من الرجل أن يتحدث إليها وأن يكون حديثه مؤثراً  
 جذاباً حتى يستميلها إلى وده ويستهوئها إلى حبه . وهو في هذه السبيل يسلك شتى  
 الوسائل ويركب صعب الأمور . يحتال إذا وصل بالحيلة إلى غايته ، ويدارى إذا نفعت  
 المداراة ، ويتدلل لها ، ويتوسل إليها لعل ذلك يغنى من الأمر شيئاً . والمرأة بين  
 هجر ووصول وتمنّع ودلال . وفراق ولقاء لا تكاد نلتقك باسمه المحيا فتنعم بهذا الرضا  
 حتى تنقلب عابسة الوجه ، مقطبة الجبين ، فنشقى بهذا العبوس أضعاف ما نعمت  
 بأسباب الرضا والابتسام .

أليس ذلك كله فتلاً ودوراناً ؟ .

ألا يشبه ذلك « المغزل » في لمة ودورانه ؟ .

ثم ألا يشبه الغزال في عدوه السريع ونفوره الجامح ؟ .

ثم ألا يشبه « الشمس » وهي في طلعتها تشرق علينا بالنور وفي غيبتها نسدل  
 غياهب الظلام ؟ ، ونحزن بين الطلوع والمغيب نسعد كما نسعد بالمرأة التي نحما  
 إن رضيت ، أو نشقى بها إن هجرت وتمنّعت .  
 بلى . لا شك في ذلك ولا جدال .

## الفصل الثاني

### ألفاظ الغزل

وقد غنى الغزل بألفاظ كثيرة توافق هذه المعاني الجملة التي عرض لها الشعراء ،  
وتوافق هذه العاطفة الثائرة ، وما ينصل بها من لوعة وحرقة وأنين .  
وإنى لا أريد أن أستوعب هذه الألفاظ ، ولا أريد أن أستوعب مدلولاتها ،  
فهى كثيرة متشعبة ، متداخل بعضها في بعض .  
ومن هذه الألفاظ :

التَّسْبِيب ، التشبيب ، العشق ، الحب ، الهوى ، الصَّبَابَة ، الهَيْام ، الشَّغْف ،  
العلاقة ، اللوعة ، الوَجْد ، الغرام ، التَّيْم ، التَّبِيل ، التَّدْلِيه .  
وإذا شئنا أن نكشف معاني هذه الألفاظ ، ونعرف مدلولاتها ، فإنها لا تخرج  
هى وسائر ألفاظ الغزل عن معان ثلاثة :

١ — التحدت إلى المرأة ، والتودد إليها . ٢ — العلاقة التي يتركها هذا الحديث ،  
ومدى هذه العلاقة من قوة أو ضعف . ٣ — آثار العلاقة ، وتعدد نواحي هذه الآثار .  
وإذا كان علماء اللغة يقولون إن هناك مناسبة بين اللفظ والمعنى ، فإننا نرى  
المناسبة بين ألفاظ الغزل ومعانيه أكثر وضوحاً وبيانياً .

ويحسن لى فى هذا المقام أن أوجه النظر إلى الملاحظات الآتية :

١ — لا صعوبة ولا تنافر فى هذه الألفاظ ، ولا فى الحروف التي تتألف منها .  
٢ — ليس فى ألفاظ الغزل حرف ثقيل بالتصعيف ، أى الشديد ، وإذا وجدته  
فى مثل مَتِيم ، مدله . فإن الياء حرف لين ، وتضعيفها لا يزيد ثقلها ثقل بل ليناً . وإن  
تضعيف اللام لا تقل فيه ولا شدة .

٣ — حروف اللين ثلاثة : الألف ، الواو ، والياء . وتسمية هذه الحروف باللين صادقة ولعلك ترى أن هذه الحروف تكثر في ألفاظ الغزل .  
٤ — في بعض ألفاظ الغزل أو كثير منها مدّ قصير أو طويل . ومن ذلك مثلاً :  
الهوى ، الغرام .

ولعله بان لك من هذه الملاحظة أن ألفاظ الغزل سهلة ليننة تناسب معاني الغزل من رقة وعدوبة . فالحبيب حين يتحدث إلى حبيبة نفسه لا تراه إلا عذب الحديث ، وحين يودعها لا تراه إلا رقيق الحال خشية الفراق وما أشده على النفوس ! وحين يناجها لا تراه إلا هزيلاً يرسل نفثات حبه وهو معذب معني ، بل حين تهجره وتجفوه لا تراه إلا ضارعاً متوسطاً خاضعاً متذللاً . لعلها ترضى بعد امتناع ، وببسم بعد عبوس . هذه هي المعاني الرقيقة العذبة ، وتلك هي الألفاظ السهلة اللينة .

ولعله بان لك أن حروف هذه الألفاظ متلائمة متقاربة لا تنافر بينها ولا وحشية ولا احتراب . وكأنها تناسب ما يكون بين المحبين حين تصفو لهم الحياة . وما ألد هذه الحياة ! إنها تقارب بين الأرواح وامتزاج بين النفوس ، وأنعم بهذا الامتزاج وذاك التقارب !

ولعله بان لك أن هذا المد الذي تراه في بعض ألفاظ الغزل يناسب المد الذي تراه في معاني هذه الألفاظ ؛ فالمد الذي تراه في كلمة الخصام يناسب طول العذاب الذي يلقيه المغرم في حبه . والمد الذي تراه في كلمة « الهيام » يناسب شدة كلف المرء بمحبوبته . وهكذا . . .

إن سهولة ألفاظ الغزل وسهولة حروف هذه الألفاظ لا تناسب معاني الغزل من حيث الرقة والعذوبة فحسب ، ولكنها توافق طبيعة العربي وحبه للغزل .  
قال ابن دريد<sup>(١)</sup> :

---

(١) الزهرى ١٩٥

واعلم أن أكثر الحروف استعمالاً عند العرب : الواو ، الياء ، الهمزة . وأقل ما يستعملونه على ألسنتهم لثقلها الظاء ثم الذال ثم الشاء ثم الشين ثم القاف ثم الخاء ثم العين ثم النون ثم اللام ثم الراء ، ثم الباء ثم الميم .  
ولعلك ترى أن حروف ألفاظ الغزل التي ذكرتها هي من هذه الحروف كثيرة الاستعمال على رأى ابن دريد .

ألا يدل ذلك على أن الغزل قريب إلى نفس العربي حبيب إلى طبعه ؟ وكذلك كانت حروف ألفاظه أكثر استعمالاً وأكثر تداولاً ، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره وأكثر من استعماله .

ويظهر أن هذه السهولة تخطت ألفاظ الغزل إلى أسماء نساء الغزل ، فترى أمثال دعد ، هند ، ليلى ، لبنى ، سامى ، عزة ، وبأينه .  
وهي أسماء سهلة عذبة فى النطق حاوة فى اللسان .

---

# الباب الثاني

## نشأة الغزل - دواعيه

### الفصل الأول

#### نشأة الغزل

يحسن بنا في هذا المقام أن نكرر الإشارة إلى معنى الغزل وهو : التحدث إلى النساء ، والتودد إليهن .

وإذا شئنا أن نحلل هذا المعنى وجدناه يشمل ثلاثة أركان :

الركن الأول : الرجل الذي يتحدث ويتودد .

الركن الثاني : المرأة التي تستمع حديثه وتودده .

الركن الثالث : الحديث الذي يقوم بين الرجل والمرأة ، ويحمل ما يكون بينهما

من آصرة الحب والمودة .

فإذا وجد الرجل الذي يتحدث ، ووجدت المرأة التي تستمع إلى الحديث ،

ووجد الحديث الذي يكون وسيلة الارتباط بينهما — كان الغزل .

فهل كان الغزل عند العرب لتوفر هذه الأركان الثلاثة : من رجل ، وامرأة

وحديث ؟

نعم .



فالعربي نشأ منذ القدم محباً للفرح والطرب والسرور ، نتيحة البيئة التي يعيش فيها ؛ ونتيجة الحياة الاجتماعية التي تطبعه بطابعها الخاص .

والعربي ، كما نعرف ناعم البال ، لا يشغله من أعباء الحياة ما ينوء تحت أثقاله وما يجعل العيش في نظره عابساً قائماً . وبكفيه من الحياة أن يجد قوته وأن يجده في أبسط صورة ، ومن أقرب طرق فيقنع ، ويرضى بما قسم الله .

والعربي صافي الطبع ، قوى العاطفة ، فلا بد أن يجد سيده إلى ما ينزى هذا الطبع ويقوى تلك العاطفة .

والعربي شاعر بفطرته ، فأبرق بهذا الشعر إلى درجة كريمة رفيعة ، تكون قريبة إلى النفوس .

إذن وجد العربي ، وفيه من الصفات ما يؤهله لأن يكون غزلاً ، ومبدعاً في هذا الغزل .

ولكن ذلك وحده لا يكفي . فإذا لم توجد المرأة ؟ فمع من يكون الحديث ؟ وإذا لم تكن المرأة جميلة جذابة ، فلن يكون حديث أو يكون ولكنه كره ثقيل ، لا تقبله النفس ، ولا يستريح إليه القلب . على أن وجود المرأة وحده لا يكفي ، كما أن جمالها وحده لا يكفي ، فلا بد حتى تثير عاطفة العربي ، وحتى تهيج شاعريته ، فتأتي بالسحر الخلال — لا بد أن تكون المرأة جميلة وأن تكون على جانب من الأدب والعظمة ، وحسن البيان .

وهبك شاعراً بارعاً وجلست إليك فتاة بارعة في الحسن والجمال ، ولكنها ليست من العلم والبيان والفطنة في شيء ، أثير وجودها في نفسك ما يثير وجود فتاة أخرى مازها الله بالجمال وحسن الحديث ورقة الشعور ، وبدع الخيال ؟

وإذا كان قد وجد العربي الذي من شأنه أن يتحدث أو يتودد ، فقد وجدت المرأة التي من شأنها أن تعري الرجل بالحديث معها ، والتودد إليها . تعريه بجمالها ،

وقد نبت أن للمرأة العربية جمالا فائنا . وتغريه فوق ذلك بما وهبها الله من فطنة ،  
وذكاء ، وعلم ، وأدب .

وكيف السبيل إلى المرأة ؟

إنها نلتى الرجل ويلقاها دون حجر ، ولا حرج ، ولا تضيق .

كان من عادة العرب كما حدثنا<sup>(١)</sup> بن الهيثم عدى عن ابن عياش : « أن يتحدث  
رجالهم إلى النساء لا يرون بذلك بأساً » .

وكما حدث رباح العامري : « والعرب ترى ذلك غير منكر أن يتحدث الفتيان  
إلى الفتيات » .

إذن نشأ الغزل عند العرب إذ توفرت أركانه الثلاثة . ونما هذا الغزل وتطور  
تبعاً لنمو هذه الأركان وتطورها .

وسترى ذلك مفصلاً فى سائر الفصول والأبواب .

---

(١) الأغانى ج ٨ ص ٣١٣

## الفصل الثاني

### دواعي الغزل

١ — بهيئة العربي وطبعه :

قدمت لك في نشأة الغزل أن من أقوى دواعيه ما ركب الله في طبع العربي من حب للمرأة ، ومما يوحيه هذا الحب من حديثها وتقره إليها . وما أحاطه الله به من صحراء واسعة ، وسماء مشرقة ، ومن وسائل عيش تساعد على صفاء النفس ، وخلاو البال . وذكر<sup>(١)</sup> ابن خلدون أن بلاد العرب لا تنبت زرعاً وأن أهلها يفقدون الحبوب والأدم جملة ، وخلص من هذا إلى قوله : « ونجد مع ذلك هؤلاء الفاندين للحبوب والأدم من أهل القفار أحسن حالا في جسومهم وأخلاقهم من أهل النول المنغمسين في العيش ، فألوانهم أصفى ، وأبدانهم أنقى ، وأشكالهم أتم وأحسن ، وأخلاقهم أبعد من الانحراف ، وأذهانهم أثقب في المعارف والإدراكات » .

ولو كان طبع العربي بعيداً عن حب المرأة ، بعيداً عن الإشراق والسمو . ولو كان من وسائل العيش ما ينغص باله ، ويبلبل حاله ما استقام له هذا الفن الجميل من الغزل ، وما كانت له هذه الروعة في مجاله الفسيح .

وقيل لكثير : « ما بقي من شعرك ؟ قال : ماتت عزة فما أطرب ، وذهب الشباب فما أعجب . ومات ابن ليلى — يعنى عبد العزيز بن مروان — فما أرغب . وإنما الشعر بهذه الخلال » .

## ٢ - اغتنم الرجل المرأة :

قلنا إن من عادة العرب أن يتحدث رجالهم إلى النساء ، لا يرون في ذلك بأسا .  
ولقاء الرجل المرأة هو الدعامة الأولى للغزل .  
ولو لم يكن هذا اللقاء ما كان غزل ، ولا كان حديث ، ولا كان وصف للقاء  
والوداع ، وما في اللقاء من ذكريات وشؤون ، وما في الوداع من حسرة وأنين .  
ولو لم يكن هذا اللقاء ما كانت النجوى ، ولا كان عتب وملام ، ولا عرف  
الرجل في المرأة مواضع دلها وحسنها وجمالها وفتنتها ، ولا فاض شعره بوصف ذلك كله ،  
وما يتبع هذا الوصف من فنون .

كان العربي يلقى المرأة فتأخذ بحسنها وجمالها . فتثور في نفسه عاطفة القرى إليها ،  
وتمل عليه هذه الثورة أن يحدثها عن فيض شعوره ، عن السكوم التي خلفتها في قلبه ،  
فإذا صدت وتمنعت توصل إليها ، واحتال عليها ، لعلها ترق وترحم . وكثيراً ما كان  
يرتقب طالعها ، وكثيراً ما كان يرتحل إليها ، وكثيراً ما كانت تسعده الظروف باللقاء ،  
وكثيراً ما كانت تشقيه بالحرمان !

وكيف كان يلقى الرجل المرأة ؟

لم تكن المرأة العربية محتجبة في منزلها ، بل كانت حرة طليقة ، تنتقل وترحل ،  
وتشارك الرجل في كثير من أعماله . كانت ترعى الغنم . وكانت تملأ الماء . وكانت تخرج  
إلى بيت الله الحرام . وكانت تذهب إلى السوق ، لتشتري أو تبيع . وترتاد أسواق  
الأدب لتسمع أو تنشد ما تريد .

وكانت في كل هذه المراحل تلتقي الرجل ، ويلقاها الرجل ، وفي الرجل عاطفة  
وحساسية ، وفي المرأة رقة وعذوبة . عذوبة لفظ ، وعذوبة خلق ، وعذوبة أدب . فلا بد  
أن تلتقي العواطف ، ولا بد أن تهتز القلوب ، ولا بد أن يحمل الشعر نجوى العواطف  
وهزات القلوب . فكان الغزل ، وكان شعر الغزل .

لعلك تعجب حين تقرأ في أخبار شعراء الغزل ، أن الشاعر لا يكاد يلقى امرأة بارعة في الجمال ، حتى تتحرك شاعريته بأيات من شعر الغزل ، نفيض رقة ، وعذوبة وقوة تأثير . ويسوقني تداعى المعانى ، وأنا أتحدث عن هذا المعنى إلى ما نشهده ، ونحن نجول على شاطئ الاسكندرية في فصل الصيف ، وما نراه في الغيد الحسان من وجه ضاحك ، وعيون نجل ، وقوام فارح ، وشعر متدل ، وهود كواعب — كل ذلك يثير في ماوبنا العاطفة الملتهبة ، فمتحدث ولو بين خلجات نفوسنا حديث غزل ، وخيال ، وإعجاب ، وتقدير . ولو أننا أوتينا بسطة في الشاعرية ، كما أوتى العرب الأولون لرأيت وقرأت في وصف هؤلاء الغيد ، وفي التحدث إليهن وفيما يجره الحديث من شؤن وشجون — شعراً غزلاً ، لا يقل روعة وحساسية عن شعر الأولين . بل وجدت من المعانى الرقيقة ما يوافق هذه الطبيعة الجميلة التي صنعتها الطبيعة في القرن العشرين ، ولم تكن قد صنعتها في القرن الخامس وما قبله أو بعده . ومن الخير أن نتحدث الآن ولو في شيء من الإجمال عن هذه المناسبات ، التي جمعت بين الرجل والمرأة ، فجمعت بين قابين ، وعاطفتين ، ثم جمعت إلى ذلك ترجمانا صادقاً من الشعر الفرد الطروب ، يصف هذه القلوب ، وتلك العواطف .

ما أكثر هذه المناسبات ! ولكننا نلخصها فيما يأتي :

### (١) المرعى :

بلاد العرب تبيت الكلاً والعنقب ، ويعبث أهلها من الألبان ، لذلك أخذوا أنفسهم برعى الغنم والإبل ، ولا يكاد يشب الفتى حتى يقوم بحظه في هذه الناحية من تكاليف العيش . وكانت الفتاة تشارك الفتى في مباشرة كثير من مرافق الحياة ، لا ترى في ذلك بأساً ، ولا حرجاً . فكانت الفتاة تؤدي واجبها في رعى الغنم . فهؤلاء وأولئك من فنية وفتيات ينتجعون مواطن الكلاً ، ويردون مناهل الماء ولا شك أن هذا يمكن من اختلاط الرجل ، والمرأة ، ولا شك أن هذا الاختلاط

الغزل م — ٢

يمكن الرجل من أن يتحدث إلى المرأة ، ومن أن يجتمعا إلى ظل واحد ، فترة طويلة من النهار ، فإذا غربت عليهما الشمس افترقا ولكن إلى حيث تؤذن بالطلوع ، فيتجدد اللقاء . وفي خلال ذلك كله — والعربي قوى الشاعرية ، والعربية قوية الحساسية — يكون الحديث الخلو ، ويكون الغزل الرقيق .

فهذا مجنون<sup>(١)</sup> بنى عامراً أحب ليلي ، وهما صغيران يرعيان الغنم ، وفي ذلك يقول :  
تعلقتُ لَيْلَى وهى ذاتُ ذُوَابَةٍ<sup>(٢)</sup> ولم يبدُ للأترابِ من ثديها حجْمُ  
صَغِيرَيْنِ نرعى البُهَمَ ياليتَ أننا إلى اليومِ لم نَكْبُرْ ولم تَكْبُرِ البُهَمُ  
وابن ميادةة<sup>(٣)</sup> خرج<sup>(٤)</sup> ببغى إبلاله حتى ورد جبارا<sup>(٥)</sup> ، فأتى بيثا ، فوجد فيه عجوزا ، قد أسنت ، وأدخلته بيتها لتقرية ، وإذا بنت لها قد هتكت الستر ، واستقبلته ، فراحه جمالها ، وأخذ يشبب بها ، فيقول :

نَظَرْنَا فَهَاجَتْنَا عَلَى الشَّوْقِ وَالْهَوَى لَزَيْنَبَ نَارًا أَوْقَدَتْ جِبَارِ  
كَأَنَّ سَنَاهَا لَاحٍ لِي مِنْ خِصَاصَةٍ عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ وَالْمَطِيِّ سَوَارِي

وجميل بن معمر العذرى<sup>(٦)</sup> كان يرعى إبله بواد يقال له — بغيض — فاضطجع وأرسل إبله تذهب حيث تشاء ، ومرت بثينة وجارة لها تردان الماء ، وشاء لها العيب أن تنفر فصالاً من إبل جميل ، فسبها جميل فافترت عليه فملح إليه سبابها فقال :  
وَأَوَّلُ مَا قَادَ الْمَوْدَةَ بَيْنَنَا بَوَادِي بَغِيضٍ يَا بُثَيْنَ سَبَابُ  
وَقَلْنَا لَهَا قَوْلًا فُجَاءَتْ بِمِثْلِهِ لِكُلِّ كَلَامٍ يَا بُثَيْنَ جَوَابُ  
وكان<sup>(٧)</sup> قد أصاب قبيلة جرم جذب فانتجع جماعة منهم بلاد بنى قشير وقد أصابها الربيع فأرعتهم طرفاً من بلادها . وكان أن رأى يزيد بن الطثرية القشيري

(٢) الذؤابة : شعر الناصية (٣) شاعر غطفان

(٤) الأغاني ج ٢ ص ٣١٥ (٥) موضع ماء

(٧) الأغاني ج ٨ ص ١٦٠

(١) الأغاني ج ٢ ص ١١

في الجاهلية والإسلام من شعراء الغزل

قرب المدينة (٦) الأغاني ج ٨ ص ٩٨

جارية من جرم يقال لها وحشية فهم بها ، واشتد وجده بها ، وإليها كتب يزيد :  
 أُحِبُّكَ أَطْرَافَ النَّهَارِ بِشَاشَةٍ      وبالليل يدعوني الهوى فأجيب  
 لئن أصبحت ريح المودة بيننا      شمالاً لقد ما كنت وهي جنوب  
 فأجابته بقولها :

أُحِبُّكَ حُبَّ الْيَاسِ إِنْ نَفَعَ الْحَيَا      وإن لم يكن لي من هواك طيب  
 وحدثنا ذو الرمة أن أول ما فاد المودة بينه وبين مية أنه وأخاه خرجا يبغيان  
 إبلاً لهما وبينهما في الطربق إذ وردا ماء وكانت بالقرب منه مية . رآها ذو الرمة ،  
 فهم بها في ديارها عشرين سنة . وفيها بقول :

وَقَفْتُ عَلَى رِيعٍ لَمِيَّةٍ نَاقَتِي      ما زلت أبكي عنده وأخطبُه  
 وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبْتُهُ      تكلمني أحجاره وملاعبه

وكثير<sup>(١)</sup> كان يرعى الغنم ، ومر بنسوة من بنى ضمرة فسألهن عن الماء ، وكانت  
 هاديته إلى الماء عزة ، وقد كعب ثديها ، فأعجب بها كثير وشغف حباً . وبينما هو  
 يسقى غنمه إذ جاءت عزة بدراهم ، وقالت :

يقنن لك النسوة . بعنا بهذه الدراهم كبشاً من ضأنك . فباعها كبشاً ، ولم يأخذ  
 منها ثمناً . وأمهلها حتى يروح بهن ، فلما راح سر بهن ، فقلن له : هذا حقل فخذ ،  
 فقال : عزة غريمي . ولست اقتضى حقي إلا منها ، وكأنه أراد باقتضاء حقه منها أن يبادلها  
 الحب ، وأن يتحدث إليها بخوالج نفسه ، وأن تتحرك شاعريته بادیء ذى بدء بهذه  
 الأبيات :

نظرتُ إليها نظرة وهي عاتق<sup>(٢)</sup>      على حين أن شببت وبان نهودها  
 وقد درعوها وهي ذات مؤصد<sup>(٣)</sup>      محبوب<sup>(٤)</sup> ولما يلبس الدرع ريدها<sup>(٥)</sup>

(١) الأغاني ج ٩ ص ٢٥      (٢) الماني : الشابة .      (٣) المؤصد صدر تلبسه الماة  
 الصغيرة ، فإذا أدركت درعت      (٤) المحبوب : الذي جعل له جيب  
 (٥) ريدها : أساه، رندها : نربها وندها .

من الخجرات البيض ودّ جابسها إذا ما انقضت أحداثها لو صادها  
(ب) التزاور والاسسقاء :

كان من عادة العرب أن يزور بعضهم بعضاً ، كما نفعل نحن الآن ، وفي هذه  
الزيارة باقى الفتى الفتاة وفد يتولد عن هذا اللقاء حب ، ويتولد عن هذا الحب ،  
غزل رقيق .

والعرب كما نعرف أهل مروءة وجود . وكثيراً ما تصطرم تكاليف العيش  
إلى التنقل والارتحال وكثيراً ما يلبقون فى هذا الرحيل من عناء ونصب فيضطرم هذا  
إلى الراحة وقد يضطرم إلى طلب الماء يطفئون به لوعة الظمأ ، ولفحة الهارة ، أو إلى  
قرى يكفهم بعض الزاد .

هذا التزاور وذلك الرحيل وما يترتب عليه من قرى ومن سقاية الماء يساعدان  
على لقاء الرجل المرأة ، وبالتالي على ما يقع بينهم من أواصر الحب ، وبالتالي على  
ما يوحيه الحب من شعر الغزل .

خرج عبد الله بن عاتمة<sup>(١)</sup> أحد بنى عامر وهو شاب مع أمه تزور جابة لها ،  
وكان لها بنت يقال لها حبشة . فلما رآها عبد الله أعجبه ، ووقعت فى نفسه . وفى ذلك  
يقول عبد الله فى أثناء انصرافه بأمه من هذه الزيارة وكانت السماء تمطر :

وما أدرى بلى إني لأدري أصوب القتل أحسن أم حُبش  
حُبشَة والذى خلق الهدايا وما عن بعدها لأحب حبش

وقد شاء العاذلون أن يفرقوا بينهما وأن تنتفضه ولكن عبد الله فرأ المكيدة  
فى دمع عيونها . فقال :

لو قلت ما قالوا لزدت جوى بكم على أنه لم يبق ستر ولا صد  
ولم يك حُبى عن نوال بذلته فبسا ينى عنه التجهّم والمجبر



وما أنسى م الأسياء لاأس دمعها ونظرتها حتى يُعييني القبرُ  
وكيف التقى قيس ولبنى ، حتى خلفا لنا هذا التراث الخالد ؟ .

مر<sup>(١)</sup> قيس لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خراعة ، فوقف على خيمة منها  
والحى خُأوف<sup>(٢)</sup> ، والخيمة خيمة — لبني — بنت الحباب الكعبية ، فاستقى ماء  
فسقته ، وخرجت إليه به ، فلما رآها وقعت من نفسه ، وشرب الماء ، فقالت له : أتزل  
فتبترد عندنا ؟ . قال : نعم . فنزل بهم . وجاء أبوها فنحله وأكرمه . وانصرف  
قيس وفي قلبه من لبني حد لا يظناً ، وفاض قلبه بحبه لها ، وكان ترجمانه في ذلك  
شعره ، الذى نسعه ونقرؤه ، فنعجب به أيما إعجاب .

ووقف نصيب<sup>(٣)</sup> على أبيات فاستقى ماء ، فخرجت إليه جارية بلبن أو ماء فسقته  
وشبب بها ، وقد عرف اسمها واسم الجبل القريب من بيتها وقال :  
أحبُّ قنأ<sup>(٤)</sup> من حُبِّ هندٍ ولم أكن أبلى أقرباً زادَه اللهُ أم بعداً  
(ح) مواسم العرب :

لا شك أن هذه المواسم كانت مثابة لاختلاط الرجل بالمرأة ، أو بعبارة أدق  
كانت مثيراً لشعور الرجل والمرأة ، هذه الإثارة التى تؤجج بين قلوبهما عاطفة الإعجاب ،  
أو عاطفة أخرى تتجاوز الإعجاب إلى الحب والغرام . ولا يخفى أن هذه الإثارة تولد  
شعراً حديداً ، هو الغزل .

وطبعي أن يكون لهذه المواسم ذلك الأثر فهى معرض عام ، يرى فيه الرجل  
المرأة ، وترى المرأة الرجل . فإذا وقع نظر العربي وهو دقيق مرهف على جمال وصفه ،  
وعلى عاطفة تحلّت عنها ، وعلى دلال ترجم عنه .

وطبعي أيضاً أن تلج المرأة هذه المواسم ، وهى أديبة شاعرة ، تقرأ ما فى الشعر

(٢) غائبون

(١) العقد الفريد ج ٦ ص ٢٢٧

(٤) جبل لى مرارة

(٣) الأغانى ح ١ ص ٣٥٣

من غزل رقيق ، ومن إعجاب بالحسن والجمال . فلم لا تكون هي القيثارة التي يعنى عليها الشاعر آية الحب ، آية الفتنة ، آية الروعة والجلال ؟ . لم لا تكون ؟ حتى يتحدث الشعر عنها ، فيتناقله العرب ، بل يتناقله التاريخ جيلا بعد جيل ، وخاصة أنه لا حرج في ذلك ولا نكران .

وقد مرت بك بعض الأمثلة ، تظهر لك بوضوح وجلاء ، أن المرأة كانت مشغوفة بالغزل ، وكانت تتوق أن تكون أداة لهذا الغزل ، بل كانت تغري الشاعر بوسائل شتى ، حتى يتغزل فيها ، وحتى يكون شعره الغزلي مقولا فيها وحدها ، دون غيرها من نساء العرب .

وما هي مواسم العرب ؟

الموسم الأكبر هو الحج . وهو وإن كان مثابة للناس وأمنا ، وهو وإن كان ملتقى القلوب حيث تصفو من أدران الحياة ، ومن أرجاس الفساد ، وحيث تتجه إلى الله وحده فتخشع له وتخضع ، وتتوب وتنوب . تلك سنة العرب منذ الجاهلية حتى جاء الإسلام ، وطال به الأجل . على أن العربي — وذلك روحه الصافي ، وهذا قلبه النقي وتلك اتجاهاته إلى الخالق الأعلى — إذا رأى المرأة ، وراقه جمالها وحسنها شغف بها ، وتودد إليها ، وتحدث عنها كأثر من آثار الله الذي صور فأحسن الصورة ، والذي زين فأحسن الزينة ، أو كأثر من آثار روحه ، وهو أصفى ما يكون في هذه الساحة الكريمة . وليكن مظهره في هذا الصفاء أن يذكر جلال الله ، وأن يذكر جمال المرأة ، ولا شك أنه أثر من آثار جلال الله .

هذا عمر بن أبي ربيعة يرتقب موسم الحج ، فإذا جاء ارتحل عمر إلى مثابته وأطلق طرفه ، يتأمل ، وإذا به يكشف في المرأة مواضع حسنها وجمالها . وإذا شعره يبيض بالحديث عن هذا الحسن ، وذاك الجمال .

ومن غزل عمر في الحج قوله :

أبصرتها<sup>(١)</sup> ليلةً ونسوتها  
يمشين بين المقام والحجر  
بيضا حسانا نواعما فطفاً  
يمشين هونا كنيية البقر  
فالت لترب لها تلاتفها  
لنفسد الطواف في عمر  
قومي تصدى له ليعرفنا  
ثم اغمره يا أخت في خفر  
هو في هذه الأبيات يصف امرأة أبصرها ونسوتها يمشين بين المقام والحجر .  
وكيف وصف هذه المرأة ؟ .

ذكر حسننها ، وما يتبع هذا الحسن من البياض والنعومة ، وذكر مشيتها ،  
وما يتبع هذه المشية من نثن وخيلاء . ثم ذكر نوعا من طرق الغزل ، بين امرأة  
ماكرة ماهرة . و بين رجل ليس بأقل منها حبا للغزل ، وقبولاً له ، ورغبة فيه . نوع  
من العبث والاهو ، تكون فيه المرأة متجنية مدلاة . تعقد العزم هي وترب لها ،  
على أن تفسد طواف عمر . وكيف ذلك ؟ تتصدى له ، فيتجه إليها بصره ، وهو حساس  
مرهف ، فيعرف حسننها ، ويعرف جمالها ، ويعرف في هذا الحسن مظهراً من مظاهر  
الغمز اللطيف المحبوب ، ويعرف في جمالها مظهراً من مظاهر الحياء الجميل .

وحدث قدامة بن موسى أنه خرج بأخته زينب بنت موسى إلى العمرة ، فلما  
كان بسرف لقيه عمر بن أبي ربيعة على فرس ، فسلم عليه . قال قدامة « إلى أين أراك  
متوجهاً يا أبا الخطاب ؟ قال ذكرت لي امرأة من قومي برزة الجمال فأردت الحديث معها .  
قال قدامة : أما علمت أنها أختي . قال : لا والله ، واستحيا ، وثني عنق فرسه ،  
راجعاً إلى مكة .

وزينب هذه يقول فيها عمر :

ياخيلي من ملام دعاني وألماً الغداة بالأطمان  
لا تلوما في آل زينب إن القلب رهن بال زينب عاني

هذا عمر في الحج<sup>(١)</sup> يرى امرأة من أهل العراق ، يروقه جمالها . وكان من أمره أن مشى معها ، وسار حيث سارت ، حتى تحدث معها ، وتحدثت معه ، وحتى توثقت بينهما آصرة الحديث ، إلى أن خطبها ، وإلى أن قبلت هذه الخطبة ، ولكن على شرط أن يرتحل معها إلى بلدها ، وأن يطلبها من أهلها . وكان أن تزود لهذا السفر الشاق ، واستعان بصديق له في الرحلة والزااد ، وسارا معاً ، ولا يدري الصديق ما يريد عمر . ولا يدري لم كان عمر يتعجل السير ، ويستحث الخطا ، حتى لحق ركب العراقية ، وحتى أخذ يحادثها طول الطريق ، وأخذت تحادثه ، وكان بينهما غزل رقيق ، وود جميل ، وأقام عمر بالعراق أياماً ، ثم راسل العراقية ، يتنجز وعدها . ويظهر أن العراقية لم تكن تريد زواج عمر ، بل أرادت أن نانس إليه ، وتستمتع إلى غزله ، وتصغى إلى دفات قلبه ، وأرادت أن بنقلها شعره إلى أسمع الناس ، وأن يتحدث التاريخ عن حسنها وجمالها ، ويتحدث فوق ذلك أنها أثارت في الشاعر العربي عاطفته حتى اهتزت بهذا الغزل العذب الرقيق . لم تلب العراقية رغبة عمر ، واعتذرت له اعتذاراً هيناً جميلاً ، وبعثت إليه بخمسة آلاف درهم . أما عمر فقد رد خمسة الآلاف ، وعاد إلى مكة ، وفي نفسه حسرة على فراقها ، وألم على أن زواجه لم يتم بها . وقال في ذلك قصيدته التي أولها :

نامِ صحبي ولم أنم من خيال بنا ألم

وفيهما يقول :

قلت ياعمر وشفقتي لاعج الحب والألم

أبت هندا نقل لها ليلة الخيف ذي السَّم

وكانت خرفاء العامرية في طريق الحاج وكان جمهرة من الشعراء يبرون بها ، ويجدون من حسن وفادتها ، ما تجد هي من غزلهم ، ورقة أشعارهم .

(١) الأغانى - ١ ص ١٧٢

ومن هؤلاء ذو الرمة وفيها يقول :

تمامُ الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام  
وحدثنا عبد الله بن عمر العمري ، قال :

خرجت حاجا ، فرأيت امرأة جميلة ، تتكلم بكلام رففت فيه ، فأدريت ناقتي  
منها . ثم قلت لها يا أمة الله : أأنت حاجة ؟ أما تخافين الله ؟ فسفرت عن وجه يهر  
الشمس حسنا ، ثم قالت تأمل يا عمي ! فإني ممن عنى العرجى بقوله :

من اللاء لم يحجبجن يبيغين حسبةً ولكن ليقتان البريء المغفلا

وكان عبد الملك بن عبد العزيز السلولي من شعراء اليمامة يهوى امرأة يقال  
لها سعدى ، وذات مرة لقيها راحلة نحو مكة حاجة ، فأخذ نخطام بعيرها ، وقال :

قل للتي بكرت تريد رحيلا للحج إذ وجدت إليه سيلا

ما تصنعين بحجة أو عمرة لا تقبلان وقد قتلت فتिला

أحبي فتيلك ثم حُجى وانسكى فيكون حجك طاهراً مقبولا

وكان أبو نواس يحب « جنان » جارية آل عبد الوهاب بن عبد الحميد النقفى  
وقيل له يوما إن جنان قد عزمت على الحج ، فكان هذا سبب حجه ، وقال :  
أما والله لا يفوتنى المسير معها والحج عاى هذا إن أفامت على عزيمتها ، وقد أفامت  
« جنان » على عزيمتها ولم يفت أبو نواس المسير معها . وفى ذلك يقول :

ألم تر أننى أفنيت عمري بمطلبها ومطلبها عسير

فلما لم أجد سبباً إليها يُقرّبنى وأعيتنى الأمور

حججت وقلت قد حججت جنان فيجمعنى وإياها المسير

وحلس نسوة قريبا من المسجد الحرام ، وأخذن يتذاكرن الشعر والشعراء .  
فقال أحدهن قائل الله جميلا حيث يقول :

وبين الصفا والموتين ذكرُكم بمختلف ما بين ساع وموجف

وعند طوافي قد ذكرك كثير ذكرك  
فقلت الأخرى :

بل قاتل الله كثير عزة حيث يقول :

طلعن علينا بين مروة والصفاء  
فكعدن لعمري الله يُحدثن فتنه  
يُرُن<sup>(٢)</sup> على البطحاء وَرَ السَّحَابِ  
لِخَشَعِ مَنْ خَشِيَ اللَّهَ تَائِبِ

وقالت الأخرى : قاتل الله نصيباً حيث يقول :

ألام على ليلى ولو أستطيعها  
لمت على ليلى بنفسى مَيْلَةَ  
وحرمة ما بين البنية والسَّتر  
ولو كان في يوم التَّحَالُقِ وَالنَّحْرِ  
فهذه أقوال ثلاثة ، لشعراء ثلاثة .

أما جميل وكثير عزة فإنهما يتغزلان في الحج ، ويذكران الصفاء والمروة ، حيث يذكران ذكر الحبيبة ، وزينة الحبيبة ، وما لهذه الزينة من بدع وفتنة ، أما نصيب فإنه لا يبالي بلوم الناس ، على ما كان بينه وبين ليلى ، وهو لا يبالي أيضاً أن يقول . لو رآها في معلم من معالم الحج لشغل بها ، وتحدث إليها ، ورجب بهذا الحديث عما تتطلبه هذه المعالم من نسك وعبادة .

### ٣ - أسواق الأدب :

وللأدب عند العرب سوق رابضة رابحة . فهم قوم جباوا منذ القدم على حب الشعر ، نظموه وتغنوا به ، وكان سجلّ علومهم ومعارفهم ، ووحى آثارهم ومفاخرهم . وأنت تعرف أن العرب كانت في الجاهلية تقيم في أنحاء البلاد أسواقاً للأدب منها : عكاظ<sup>(٣)</sup> ، ومَجَنَّة<sup>(٤)</sup> ، وذو المجاز<sup>(٥)</sup> ، وتعرف أيضاً أن سوق عكاظ امتدت

(٣) موضع قرب الطائف

(٢) بتمايلن جئيات ذاهبات

(١) تضعف : تزيد

(٥) موضع قرب عرفات

(٤) موضع قرب مكة

إلى ما بعد الإسلام حتى سنة تسع وعشرين ومائة . وكانت هذه الأسواق مباءة للعرب جميعاً ، يفدون إليها من كل مكان ، وهناك ينشد الشعراء ، ويتحدث الخطباء ، وهناك يجودون الكلام نظمه ونثره ، وكل يسعى إلى أن يكون صاحب الغلبة ، والسبق ، بل هناك يلتقي الرجل والمرأة لا حرج في ذلك ولا بأس وكنت تستمع إلى شعر المرأة كما تستمع إلى شعر الرجل ، وكانت المرأة تسمع الشعر كما يسمعه الرجل لأن للمرأة العربية ذوقاً في الأدب ، ولأن للمرأة العربية حظاً من الأدب ، يدانى حظ الرجل .

وإذا كانت هذه الأسواق ملتقى العرب من رجال ونساء فهي إذن من دواعي الغزل . وكما قلنا أن لقاء الرجل والمرأة ، يثير في نفسيهما عاطفة نائرة حارة . والرجل حساس مرهف ، خصب الخيال ، قوى الشاعرية والمرأة جميلة فائنة ، تعرف في الرجل حساسيته وعاطفته ، وشاعريته ، فتعريه بجمالها ودلالها ، وتذكي فيه الصمباة والهوى ، فيتترجم الرجل عن قلبه ، ويكون الشعر ترجمانه ، ويكون الغزل دليلاً وبياناً .

هذه الأسواق داعية من دواعي الغزل ، لا لأنها تجمع بين الرجل والمرأة فحسب ، بل لأنها أيضاً مباءة للشعر العربي ، والغزل ناحية من نواحي الشعر العربي ، يسميها الرجل ، فيعجب بها ويضطرب ، ويدفعه هذا إلى أن يكون له مثل هذا الشعر ، يعجب به الناس ، ويضطرب به القلوب ، وتسمعه المرأة فتزهو بما حباها الله ، كيف لا . وهذا الشعر تكريم لها أو لأنزابها ، لا يسبقها في الحسن والجمال . وكأني بها وقد عادت في العام التالي ترجو أن يكون لها من الشعر ، ومن تسابق الشعراء في وصفها ، والتغني باسمها ما يجعلها رفيعة الشأن . ذائعة الصيت . وكأني بالشاعر أيضاً وقد عاد في العام التالي يرجو أن يكون له من نساء كثيرات مادة لخياله الشعري ، ومادة لعاطفته الحساسة يصفهن ، ويتحدثن إليهن ، ويحمل شعره كثيراً من مظاهر الوصف والحديث ، خاصة

وقد سار شعره المقول من قبل ، وانتقل في كل واد ، وتذوقته الأفتدة ، وتدارسته العقول ، فأعجبت بمعانيه ، وما يوحى من فن وروعة .

على أن للعرب مواسم وأسوافاً أخرى للأدب ، فهناك مجالس الملوك ، مجالس الأمراء ، مجالس الحكام ، يرتادها الشعراء ، وبؤمونها من كل حذب ، يقصدون القربى إلى ذوى الجاه والسلطان ، ويقصدون العطاء الخيم ، والنعم الجزيلة ، وتجد مظهر ذلك في كل العصور حيث تكون القوة ، وحيث يكون الحول .

في هذه المنتديات تسمع من الشعراء ألسنة قوالة ، وقرائح متقدمة ، وتسمع كأثر لهذه الألسنة ، وتلك القرائح شعراً رائعاً محدوداً ، فيه غزل رقيق لأنه هو الفن الذى يصح أن يجمع بين هذه القاوب ، في وقت دعة ، ورخاء وسلام .

يقول الدكتور طه حسين بك :

لم تكن<sup>(١)</sup> اجتماعاتهم تخلو دائماً من النساء ، فقد كان الإماء الظريفات يأخذن منها بنصيب عظيم ، وكابوا يجتمعون في الحانات والأديرة ، في بيوت الأمراء والوزراء وفى بيوتهم الخاصة ، فيلذون ويتحدثون . وتستطيع أن نتنبأ بمقدار ما كان لأحاديثهم هذه من أثر عظيم فى الأدب العربى ، والعقل العربى . كانت هذه الأحاديث عذبة غير متكلفة ، ولا ثقيلة الروح ، كانت تصدر عنهم عفواً فتمثل عقولهم وشعورهم .

وللنساء أسواق أدب لا تقل عن أسواق الرجال ، من حيث الرغبة فيها ، والإقبال عليها ، ومن حيث مدارسة ما يتناشدونه فيها من أشعار ، ومن حيث تذوق الجمال الفنى من هذه الدراسة الشعرية والجرى وراء معانيها الحية الحساسة ، ومن حيث أن هذا الشعر نفسه يثير فى نفوسهن ألواناً من العاطفة وألواناً من الحياة ، محبة إليهن ، قربة إلى هواهن .

وكأنى بهؤلاء النسوة يجتمعن ، وفيهن المغرقات المتيات ، وهن أدبيات يفهمن

(١) حديث الأرباء ج ٢ ص ٤٠



الشعر ويتذوقه عن معرفة وخبرة . كأبي مهن يلتقي ، وتبارين في أن يتناشدن  
أشعار الغزل ، وأخبار الغزل ، وأى معانيه أكثر روعة ، وأى أخباره أقوى دلالة  
على الحب الصافي ، والعشق الرقيق . كأبي مهن في مجالسهن هذه يتذاكرن أحوالهن  
مع أحببهن ، من متعة حديث ، ومن لوعة فراف ، ومن رقبة العواذل ، ومن مجوى الطيف ،  
ومن صد ووصال . ثم يتذاكرن رجال الغزل من الشعراء ، وماذا فالوا في هذه المعاني  
وأيهم كان أكثر إجادة ، وأكثر روعة ، وأكثر نفاذاً إلى القلوب .

ومثل هذا يحدث إذا اجتمعت فتانان ، وكان الهوى قد وصل إلى قلبيهما ، فإيهما  
يتحدثان وإيهما يتناجيان ، وعلى قدر ما يكون لهما من علم وأدب ، وما يكون لهما من  
خبرة ودراية ، بهذا الفن الجميل من الغزل يكون الحديث شائفاً ويكون الاجتماع  
ظريفاً لطيفاً .

وكثير من مجالس النساء هذه كان لا يخلو من الرجال . ويظهر لى أنهن كن يجدن  
في وجود الرجل نوعاً من المتعة ، ونوعاً من اللذة ، وخاصة إذا كان شاعراً ، وإذا  
كان شاعر غزل ، يحدثهن كيفما شئن ، أحاديث الحب والهوى . وما أحلى هذه  
الأحاديث ! .

هذا<sup>(١)</sup> مجلس امرأة من بنى أمية يحضره شعراء ثلاثة : نصيب — أبو محجن —  
كثير ، الأصوص ، ويحضره وصائف ، ورجال من الموالى ، ونساء بارزات . وكان  
أن تذاكر الرجال والنساء ألواناً من شعر الغزل ، وكان أن قالت المرأة لجارية لها ذات  
جمال خذى ويحك ! من قول النصيب عافى الله أبا محجن :

ألا هل من البين المفرق من بدّ وهل مثل أيام بمنقطع<sup>(٢)</sup> السعد<sup>(٣)</sup>  
تمنيت أيامى أولئك والسنى على عهد عادٍ ماعيد<sup>(٤)</sup> ولا تبدى

(١) الأغاني ج ١ ص ٣٥٦ (٢) منقطع المكان : حيث ينقطع وينتهي  
(٣) مكان مررب من المدنه (٤) أى لأنأتى بعائده ولا بادته أى لاسع فيها .

فغنته بأحلى لفظ ، وأشجى صوت .

وقالت لها : خذى أيضاً من قول أبي محجن — عافى الله أبا محجن :

أرق الحُبَّ وعاده سَهْدُهُ      لِطَوَارِقِ الْمَسْمِ التي تردُّهُ

وذكرتُ من رقتُ له كبدى      وأبى فليس ترقُّ لى كبده

لا قومه قومي ولا بلدى      فنكونَ حيناً حيرةً — بلده

ووجدتُ وجداً لم يكن أحدٌ      قبلى من أجلِ صبايةٍ يجده

فغنته ، وجاءت به أحسن من الأول .

وقالت لها : ويحك ! خذى من قول أبي محجن — عافى الله أبا محجن :

فيالك من ليل تمتعتُ طولهُ      وهل طائفٌ من نائمٍ متمتعٌ

نعم إن ذا شجْوٍ متى يلق شجْوهُ      ولونائماً مُستعْتَبٌ<sup>(١)</sup> أو مودعٌ

له حاجة قد طالما قد أسرها      من الناس في صدرٍ بها يتصدعٌ

تحمّلها طولَ الزمانِ لعلها      يكون لها يوماً من الدهرِ منزعٌ

فغنته ، وجاءت بشيء حير الأذهان والألباب .

ثم قالت لها : خذى أيضاً من قول أبي محجن — عافى الله أبا محجن :

يأيها الركب إني غير تابعكم      حتى تلمّوا وأنتم بي مُلمّونا

فما أرى مثلكم ركباً كشكلكم      يدعوهم ذو هوى الآ يعوجونا

أم خبروني عن دائي بعلمكم      وأعلم الناس بالداء الأظبونا<sup>(٢)</sup>

قال نصيب : فوالله لقد زُهِيت بما سمعت زهواً خيلاً إلى أنى من قریش ، وأن

الخلافه لى ! .

ثم قالت : حسبك يابنية : هات الطعام يا غلام ، فوثب الأحوص وكثير وقال :

(١) يقال استعنته فأعنتني : استرضيته فأرضاني

(٢) البارعون في الطب

والله لا نطعم لك طعاماً ولا نجلس لك في مجالس . فقد أسأت عشريننا واستخففت بنا ،  
وفدمت شعر هذا على أشعارنا ، واستمعت الغناء فيه ، وإن في أشعارنا لما يفضل  
شعره ، وفيها من الغناء ما هو أحسن من هذا . فقالت : على معرفة كل ما كان مني ،  
فأى شعر كما أفضل من شعره ؟ أقولك يا أحوص ؟ :

نقرُّ بعيني ما يقر بعينها      وأحسنُ شيء ما به العين قرتِ  
أم قولك يا كثير في عزة :

وما حسبتْ ضميريه<sup>(١)</sup> جدوية      سوى التبسِ ذى القرنين أن لها بعلا  
فخرج كثير والأحوص مغضبين . أما نصيب فتغدى عندها ، وأمرت له بتلاثمائة  
دينار وحلتين وطيب .

وهؤلاء فتيات من أهل مكة يجتمعن في منزلهن ، ولا يطيب لهن مقام إلا إذا  
كان الدارمي يهنهن ، يحدثن من شعره ، ويمتعهن بنوادره . اجتمعن ذات يوم ،  
وفيهن صديقة له ، وكل واحدة منهن قد واعدت هواها<sup>(٢)</sup> فخرجن حتى أتين الجحفة<sup>(٣)</sup>  
وهو معهن . فقال بعضهن لبعض : كيف لنا أن نخاو مع هؤلاء الرجال من الدارمي ؟ .  
فإنا إن فعلنا قطعنا في الأرض ! قالت لهن صاحبتة أنا أكفيته . قلن : إنا نريد  
ألا يلومنا . قالت : على أن ينصرف حامداً . وكان أبخل الناس ، فطلبت منه أن يذهب  
إلى مكة ليشتري لهن طيباً ، فاكتري حماراً ، وصار إلى مكة وهو يقول :

إنا بالله ذى العز      وبالركن وبالصخره  
من اللأئي يُردن الطيب في اليسر وفي العسر  
وما أقوى على هذا      ولو كنتُ على البصره

وكان جماعة من النساء المتطرفات يدخلن إلى بشار في كل جمعة يومين . يجتمعن

(١) نسبة إلى جدوى بن ضمرة بن بكر بن كنانة (٢) من نخبه وتهواه

(٣) قرية قرب مكة

عنده ويستمعن من شعره . وذات يوم سمع كلام امرأة منهن ، فعلقها قلبه وراسلها يسألها أن تواصله . فقالت لرسوله : وأى معنى فيك لى أو لك فى ؟ وأنت أعمى لا ترائى فتعرف حسنى ومقداره ، وأنت قبيح الوجه فلا حظ لى فيك . فليت شعرى لأى شىء تطالب وصال مثلى ؟!

وهذه <sup>(١)</sup> هند بنت الحارث المريية مع نسوة لها ، تحتال على عمر بن أبى ربيعة ليحضر مجلسهن هذا ، ويحدثهن من غزله ، ومن شعره . أرسلت إليه خالداً الخرييت ، فأغراه ليرى هؤلاء النسوة ، وهن بارعات فى الحسن والجمال . وعرض عليه أن يأتين متنكراً ، فيسمع من حديثهن ، ويتمتع بالنظر إليهن ، ولا يمان من أسره شيئاً . قال عمر : وكيف لى أن أخفى نفسى ؟ قال خالد : تلبس لبسة أعرابى ثم تجلس على قعود فلا يشعرن إلا بك قد هجمت عليهن ، ففعل عمر ما قال ، وجلس على قعود ، وأتاهن فلم عليهن ، ووقف بقربهن ، وسألنه أن ينشدهن ، وأن يحدثهن ، فأنشدهن من شعر كثير ، والأحوص وجميل ، ونصيب وغيرهم ، فقلن له : ويحك يا أعرابى ما أملكك وأظرفك ! لو نزلت فتحدثت معنا يومنا هذا . فإذا أمسيت انصرفت فى حفظ الله . قال عمر : فأنتج بعيرى ، ثم تحدثت معهن ، وأنشدتهن فسررن بى وجدان بقرى وأعجبهن حديثى ، ثم إهن تغامزن ، وجعل بعضهن يقول لبعض . كأننا نعرف هذا الاعرابى ما أشبهه بعمر بن أبى ربيعة ! فقالت إحداهن : هو والله عمر فمدت هند يدها فانزعمت عمامة عمر ، وألقها عن رأسه ، وقالت له هيه يا عمر ! أتراك خدعتنا منذ اليوم ! بل نحن والله خدعناك ، واحتلنا عليك بخالد ، فأرسلناه إليك لتأتينا فى أسوأ هيئة ونحن كما ترى . فالوا وطال بينهم الحديث ، وإنشاد الشعر .

وفى هذا المجلس يقول عمر ، ويصفه بهذه الأبيات :

ألم تسأل الأطلالَ والمتربعا      يبطن حُلَيَّاتٍ <sup>(٢)</sup> دَوارسَ بلقعا

(١) الأغانى ج ١ ص ١٧٥

(٢) حلبيات اسم موضع قرب مكة

إلى السفح<sup>(١)</sup> من وادي<sup>(٢)</sup> المعسس بُدلت معالمه وبلا ونكباء<sup>(٣)</sup> زعزعا  
لهندٍ وأترابٍ لهندٍ إذ الهوى جميعٌ وإذا لم نخش أن يتصدعا  
وإذا نحن مثل الماء كان مزاجه كاصفق<sup>(٤)</sup> الساقى الرحيق المشعنا  
وإذا لا نطيع الكاشحين ولا نرى لوأش لدينا يطلب الصرم موضعا  
وقريب من هذا<sup>(٥)</sup> أن خرج نسوة من أهل مكة إلى بعض المتحدثات من  
نواحي مكة ، وكانت الليلة مقمرة ، وخرج معهن الغريص المعنى ، ورغب الحارث  
ابن خالد أن يشهد هذا المجلس ، وأن يستمع إلى حديث النسوة ، فأتى عمر بن ربيعة  
وقال له : إن فلانة وفلانة وفلانة ، وسماهن كلهن ، قد بعثنى ، وهن بقرآن عليك السلام .  
وقلن : تسوقن إليك في ليلتنا هذه لصوت أنشدناه الغريص . وكان الغريص يعنى  
هذا الصوت فيجيده ، وكان ابن أبي ربيعة به معجباً وهو قوله :

أمسى بأسماء هذا القلب معموداً إذا أقول صحا يعتاده عيداً  
قال عمر : لقد أزعجتني في وقت كانت الدعة أحب ميه إلى ، ولكن صوت  
الغريص ، وحدثت النسوة ليس له متك ولا عنه محيص ؛ وكان أن وفدا عليهن ،  
قتهين ، وتحفرن ، فقال الغريص : لا عليكم !

هذا ابن أبي ربيعة والحارث ابن خالد جاءا متشوقين إلى حديثكن وغنائى .  
قالت فلانة : وعليك السلام يا بن أبي ربيعة ، والله ماتم مجلسنا إلا بك . وكان  
غناء ؛ وكان حديث ؛ ولا يزالون بأنعم ليلة وأطيبها حتى بدأ القمر يغيب ؛ فتفرقوا  
وتفرقن ، وفي ذلك بقول عمر :

هل عند رسم برامة<sup>(٦)</sup> خير أم لا ، فأى الأشياء ننتظر

(١) السفح : موضع (٢) المعسس : موضع  
(٣) النكباء : الريح التي تنكب عن مهاب الرياح . يقال ريج زرع أى شديدة  
(٤) صفق المراب : مرجه (٥) الأغاني ح ٦ ص ٣٢٧  
(٦) منزل في طريق البصرة إلى مكة .

قد ذكرتني الديار إذ درست والشوق مما يهيجه الذِّكر  
مشى رسول إليّ يخبرني عنهم عشاءً ببعض ما اتهمرو  
ومجلس النسوة الثلاث لدى الخيامات حتى تباعج السحر  
فبين هندٌ والهم ذكرتها تلك التي لا يرى لها خطر  
ثم انطلقنا وعندنا ولنا فبين لو طال ليلنا وطر  
وقولها للمتاة إذ أرف البيين : أغادأم رآح عمر؟  
عجلان لم يقض بعض حاجته هلا تأتي يوماً فينتظر  
اللهُ جارُّ له وإن نزحت دار به أو بدا له سفر

وهؤلاء<sup>(١)</sup> نسوة يجتمعن عند امرأة من أهل المدينة ، ولكن المجلس يحلو  
إذا كان فيه شاعر ؛ وكان غزلاً يحدثن حديثاً لذيذاً ممتعاً .

قالت النسوة للمرأة : أرسلى إلى الأحوص فإننا نحب أن نتحدث معه ؛ ونسمع  
من شعره ؛ قالت : إذا لا يزيدكن على أن يخرج إذا عرفكن فيشهركن وينظم الشعر  
فيكن ؛ ولم يعبأ النسوة بهذا التحذير ؛ فإن نظم الشعر فبين حبيب إلى نفوسهن .  
وتلك أمنية يسعى إلى تحقيقها كثير من النساء وليس أحب إلى المرأة العربية — إذا لم  
يكن بها حرج — من أن يفتنن الشعر بها وأن يتحدث عن حسنها وجمالها ؛ وأن  
يسير في كل مكان ؛ وفي كل جيل يحمل إلى الناس جميعاً هذا الحديث العذب  
الراقي ، ولا يزال النسوة بالمرأة حتى أرسلت إلى الأحوص رسولا ؛ يذكر له أمر هذا  
المجلس ويحمل له رغبة هؤلاء النساء ؛ أما الأحوص فقد جاء سراعاً . وجلس إليهن  
يحدثهن حديثاً طويلاً ؛ وينسدهن من شعره الشيء الكثير . وفي هذا يقول الأحوص  
من قصيدة طويلة :

كلُّ يرى أن الشباب له في كل غاية صبوةٍ عذر

(١) الأغانى ج ١٦ — طبعة قديمة — ص ٩٢ .

سَيْفَانَةٌ<sup>(١)</sup> أَمْرَ الشَّبَابِ بِهَا      رِقْرَاقَةٌ لَمْ يُبْلِهَا الدَّهْرُ  
حَتَّى إِذَا أَبْدَى هَوَاهُ لَهَا      وَبَدَا هَوَاهَا مَالَهُ سَاسِرٌ  
سَفَّرَتْ وَمَا سَفَّرَتْ لِمَعْرِفَةٍ      وَجِهًا أَغْرَ كَأَنَّهُ الْبَدْرُ

فالوا<sup>(٢)</sup> ولما قضى الفرزدق حجه خرج إلى المدينة فدخل على سكينه بنت الحسين عليه السلام مُسَلِّمًا . فقالت له : يا فرزدق من أشعر الناس ؟ .

قال : أنا . قالت : كذبت . أشعر منك الذى يقول :

بِنَفْسِي مَنِ تَجَنَّبُهُ عَزِيزٌ      عَلَيَّ ، وَمَنْ زِيَارَتُهُ لِمَامٌ  
وَمَنْ أَمْسَى وَأَصْبَحُ لَا أَرَاهُ      وَيَطْرُقُنِي إِذَا هَجَعَ النَّيَامُ

وخرج ثم عاد إليها من الغد ، فدخل عليها ، وقالت : يا فرزدق من أشعر الناس ؟  
قال : أنا . قالت : كذبت . صاحبك أشعر منك ، حيث يقول :

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَهَا جُنَى اسْتِعْبَارِ      وَلَزَرْتُ قَبْرَكَ ، وَالْحَيْبُ يُزَارُ  
كَانَتْ إِذَا هَجَرَ الضَّجِيجُ رَأْسَهَا      كَتَمَ الْحَدِيثُ وَعَقَّتِ الْأَشْرَارُ  
لَا يَلْبَثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا      لَيْلٌ بَكَرٌ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ

وخرج ثم عاد إليها في اليوم الثالث ، وحوّلها مولدات كأنهن التماثيل ، فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن ، فأعجب بها . فقالت : يا فرزدق . من أشعر الناس ؟  
قال : أنا . فقالت : كذبت . صاحبك أشعر منك ، حيث يقول :

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ      قَتَلْتُنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِيَنَّ قَتْلَانَا  
يَصْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَتَ بِهِ      وَهَنْ أَضْعَفُ خَلَقَ اللَّهُ أَرْكَانَا

وكان أن أعجب الفرزدق بإحدى هؤلاء الجوارى ، فأعطته سكينه إياها .

(١) قال لإمرأة سيفانة : ممشوفة طويلاه

(٢) الأغاني ج ١٤ — طبعة قديمة ص ١٧٧

وقالوا<sup>(١)</sup>: إن أبا دَهَبِلَ كان يهوى امرأة من فومه يقال لها عَمْرَة ، وكانت امرأة  
جزلة<sup>(٢)</sup> يجتمع إليها الرجال للمحادثة وإنشاد الشعر والأخبار .  
ويقول فيها أبو دَهَبِلَ :

تطاولَ هذا الليلُ ما يتلججُ      وأعيتَ عَواشىَ عَبرتي ما تفرَّجُ  
وبتَ كثيراً ما أنامُ ، كما      خلالَ ضاوعى بَجمرةً نتوهجُ  
فطوراً أُمّنى النفسَ من عَمْرَة المني      وطوراً ، إذا مالَجَّ بى الحزنُ أنشجُ<sup>(٣)</sup>  
لقد قطعَ الواشونَ ما كان بيننا      ونحن إلى أن يوصلَ الجبلُ أحوجُ

وقالوا<sup>(٤)</sup> : كانت عقيلة بنت الضحاك تهوى ابن عمها عمرو بن كعب . وكانت  
عقيلة أديبة تحفظ الشعر ، وتعرف كثيراً من نوادره وسرمايه . ووفد عليها رجل  
من قبيلة الفرزدق . فسألته : ممن الرجل ؟ . قال : من بنى حنظلة . قالت : من أيهم ؟  
قال : من بنى نهشل . فتبسمت وقالت : أنت إذن ممن عناه الفرزدق بقوله :

إن الذى سمك السماء بنى لنا      بيتاً دعأه أعز وأطول  
بيتاً بناه لنا المليك ، وما بنى      ملكُ السماء فإنه لا ينقل

قال الرجل : نعم . جعلت فداك . فضحكت ، وقالت : فان ابن الخطفي - جرير -  
قد هدم عليكم بيتكم هذا الذى فخرتم به حيث يقول :

أخزى الذى رفع السماء مجاشعاً      وبنى بناءك بالحضيض الأسفل

قال : فوجت . فلما رأت هذا فى وجهى قالت : لا عليك فإن الناس يقال فيهم  
ويقولون . ثم قالت : أين تؤم ؟ . قلت : اليمامة .

فتنفست الصعداء . ثم قالت : ها هى تلك أمامك . ثم أنشأت تقول :

تذكرنى بلاداً خيرُ أهلى      بها أهل المروءة والكرامة

(٢) الجزلة : الأصيلة الرأى

(٤) الأغاني ج ٨ ص ٤٥ -

(١) الأغاني ح ٧ ص ١١٦

(٣) الذميج : صوت معه توجع وبكاء



وأخذت تذكر هواها في أبيات جزلة رقيقة ، منها :

إذا رقدت التمامُ هان عمرا      تؤزقه الهموم إلى الصباح  
تُقطِّع قلبه الذكرى وقلبي      فلا هو بالخلي ولا بصاح  
سقى الله اليمامة دار قوم      بها عمرو يحنُّ إلى الرواح  
وكان للأدب في بلاد الأندلس مجالس يؤمها كثير من رجال العلم والأدب ،  
حتى امتلأت المحافل والمجامع بضروب اللهو والطرب .

وكما<sup>(١)</sup> قال الدكتور أحمد ضيف : « وكان للنساء أثر عظيم في هذه المجالس ، فاتجه  
الناس إلى الاندماج فيها ، واستعذبوا هذا المورد وانصرفت همم الأدباء إلى التفوق  
في هذا الميدان . فكان لذلك أثر عظيم في أخلاق الأدباء ، وصورة البلاغة  
من نظم ونثر . »

وفي وصف أحد هذه المجالس يقول المعتمد بن عباد :

أيها صاحب الندى فارقت عي      نى ونفسى منه السنأ والسناء<sup>(٢)</sup>  
نحن في المجلس الذى يهب الرا      حة والسمع والغنى والغنساء  
نتعاطى التى تسمى من اللـ      ذة والرقة الهوى والهواء  
فاته تلف راحة ومُحَيَّا      قد أعدا لك الحيا والحياء

#### ٤ - مظاهر الترف

ليس من شك في أن الغزل فن من الفنون الرفيعة ، وأنه لون من ألوان الحياة  
الباسمة الصافية . لا تهفو إليه الأفتدة إلا إذا كانت خالية من شوائب الحياة ، وآلام  
الزمن . ولا تهتز به القلوب إلا إذا كانت غردة طروبة ، تجد لها من شعر الغزل  
ما يغذى هذا الطرب ويقويه ، وينميه .

(١) بلاغة العرب ص ٦٦ (٢) السا : ضوء البرق والسناء الرفعة .

وقل لي بربك : ما لهؤلاء الناس الذين يكدون في البحث عن فوتهم فلا يجدونه ، وإدا وجدوه ففي غصة ومرارة . ولهؤلاء الذين نكبهم الزمن فنغص آملهم ، وأمنهم ، وهدوهم بضروب من القلق والفرع . ولهؤلاء الذين شغلهم نوع من أنواع الحياة ، أبناً كان ، فاستولى على كل نواحي شعورهم وتفكيرهم ، وحجبهم عن هذه الحياة الجميلة التي يعيش فيها جماعة من الناس ، تجمعهم آصرة الحب ، والتي يكون الغزل ، وشعره أداة من أدوات الترفيه والفن في عالمها الهادىء المحبوب . ولهؤلاء الذين عاشوا في الحياة وعقولهم مغلقة ، وقلوبهم جامدة ، فهم يكادون أن يكونوا كالبهيم في جهل وغفلة وضيق . نعم . ما لهؤلاء الناس والغزل ؟ .

إنهم لا يعرفونه ، ولا يصلون إليه ، ولا يتذوقون ما فيه . وإذا وصاوا إليه اعتبروه نوعاً من اللاهو والسخرية والمجون . إذن يكون الغزل حيث يكون صفاء العيش ، وحيث يكون نعيم الحياة . وحيث تكون الدعة والطمأنينة ، وهدوء البال . وعلى قدر ما لهذه العوامل من حظ في القوة والضعف ، يكون حظ الغزل من قوة أو ضعف .

على قدر ما يكون لهذه العوامل من تأثير في الشاعر ، ومن تأثير في الناس . فالشاعر إذا كان ناعماً صافياً سما بروحه إلى هذا النوع الجميل ، فأبداعه وأتقن وأخرج لنا مجموعة صالحة من المعاني العذبة، والأخيلة الرائعة . وجمهور الناس إذا نعموا وصفت قلوبهم وحدوا من نتاج الشاعر ، ومن فيض الشعراء ما يغذى عاطفتهم وشعورهم . وفي هذا الميدان توجد الصلة بين الشاعر وفارثيه وسامعيه ، ويوجد التسابق في الإجابة وتوجد الثروة الشعرية ، التي يغنى بها الأدب ، وينعم بها الناس .

يقول ابن خلدون<sup>(١)</sup> :

« إن الأمة إذا تغلبت وملكت ما بأيدي أهل الملك قبلها أكثر رياشها ونعمتها

(١) المقدمة ص ١٨٣

فتكثر عوائدهم ، ويتجاوزون ضرورات العيش وخشونته إلى نوافله ورقته وزينته .»

ويقول في فصل آخر :

« فإذا حصل الملك أفسروا عن المتاعب التي كانوا يتكلفونها في طلبه ، وآثروا الراحة والسكون والدعة ، ورجعوا إلى تحصيل ثمرات الملك من المباني والمسكن والملابس ، فينون القصور ، ويجرون الميآه ، ويفرسون الرياض ، ويستمتعون بأحوال الدنيا . »

وإننا لنقرأ في الشعر العربي حيث كانت القوة ، وحيث كان الملك وتحصيل ثمراته — كما ذكر ابن خلدون — ألواناً رائعة من شعر الغزل . كما نعرف كثيراً من نوادر الغزل وأخباره وحوادثه تمتلئ بها كتب الأدب ، ويتحدث بها الناس جيلاً بعد جيل ، وقد يكون هذا من الطبيعي الذي يحتاج إلى بسط أو بيان . فالإنسان في كل عصر وفي كل أمة متى نعم ، وهذا باله ورغد عيشه ، أخذ يفكر في ترفيه نفسه ، وتهذيب حسه ، وصقل وجدانه .

ولا شك أن الشعر من أقوى هذه الأسباب ومن أكثرها ذيوماً وانتشاراً . وخاصة عند العرب وقد شغفوا به حباً من قديم الزمن . ولا شيء كالغزل بين ضروب الشعر يكون أكثر حساسية وأكثر نفاذاً إلى القلوب .

على أنه ليس من الضروري أن يكون ملك ، حتى يكون من تحصيل ثمراته الدعة ، والراحة والاستمتاع بأحوال الدنيا ، ثم يكون الغزل ، يكون شعر الغزل . ولكن يكفي أن يكون المال صافياً ، غير مشوب بما يكدره ويعكر عليه هناءته ررفاهته . ولهذا كان شعر الغزل أيام الجاهلية ، وليس هناك ملك حتى تحصل ثمراته ، ولكن كان العربي صافي النفس ، هادئ البال ، يجد نعيمه في الحياة ، حيث يجد قوته ، وكان لا يلقى في الحصول على هذا القوت مشقة وعناء وهو بعد الحصول على القوت

أكثر ما يكون أمناً ، ودعة وسلاماً ، وهو لذلك تتجه إلى شعر الغزل ويجد فيه غذاء القلب ، وغذاء الروح .

ومن هذه العوامل :

### (١) الشباب

وأعنى بهذا شباب الشاعر ، وشباب الأديب ، وشباب الأمة .  
فالشاعر إذا كان شاباً فتياً ، ذا صحة ونشاط ، وتهيبات له الوسائل الأخرى ، فإنه يعمل جاهداً على أن يُضفي على الإنسانية من طريق الشعر ، الذي هو ترجمان نفسه لونا من ألوان الحياة المرحية الباسمة ، الحياة الجميلة العذبة ، الحياة الصافية ، حياة الغزل ، حياة الحب ، حياة الهوى .

وفي هذه الحياة يصور لك كثيراً من المعاني الرائعة ، التي نحمدك عن العواطف الملتهبة المتقدمة ، إنه يكون في شعره كما يكون في شبابه زاهراً ، ناضراً ، حساساً نائراً . إنه يكون في شعره كما يكون في شبابه ضحوكاً مرحاً ، راقصاً طروباً . إنه يبعث في شعره روحاً من قلبه ووحياً من عاطفته ، ولذا يكون غزله في الشعر في هذا العهد الغض الباسم صورة رائعة فيها قوة ، وفيها جِدَّة ، وفيها فن وجمال .

أما إذا كان الشاعر قد أصابته الشيخوخة ، وتوات عليه أحداث الزمن حتى قوست ظهره ، وضيق العيش في سبيله فإنه يرغب عما هو حسن جميل . وإنه يزهد في مظاهر الحياة ، وخاصة مباحها وزخارفها . فلا شأن له بالغزل ، ولا شأن له بمعاني الحب بصورها ، ويتفنن في تصويرها . وقد مر بنا أن سئل كثير : لم أصبح لا بقول الشعر ؟ فذكر أن من أقوى الأسباب التي حالت بينه وبين الشعر أن ذهب شبابه فلا طرب .

وشباب الأديب يجعل فيه قبولاً لكل ما هو فائق جميل ، بلهب عاطفته ، ويملك عليه قلبه ، وإنه يجد ذلك في شعر الغزل ، ولذا فهو يتذآكره ، ويتدارسه ، ويختار

من ألفاظه ومعانيه ، ما يروى ظمأه ، ويطفيء غانته ، والشعراء إذا وجدوا من تتبهم أشعارهم ، ويفوص عن مكنون المعانى كان هذا حافزاً للجودة والإيقان وكان هذا سبباً من أسباب تقدير المحودين ومكافأة المابهين . ومن هذا التقدير أن يسرى شعره في كل مكان ، ينطق به كل لسان ، ويهتف به كل قلب . وحينذاك ينبارى الشعراء وبنانسون . وحينذاك تكون للغزل سوق نافقة تكثر فيها البيع الشراء ، فالطلب كثير ، والعرض كثير .

وأحب أن أصور لك المسألة تصويراً آخر :

هذا شاعر غزل ، يطلع علينا بفيض من وحى قلبه ، ويخرج لنا صوراً جميلة من الألفاظ والمعاني . ولكنه بين نوم كهول ، أنماهم الزمن وأفعدهم ، وجعاهم يرون أفق الحياة في وجوههم ضيقاً عابساً كريهاً ، ليس فيه ازدهار ، وليست فيه آمال ، وليست فيه فتوة وشباب .

ما لهؤلاء وشعر الغزل ، وأخبار الغزل !!

إنهم في حال قد تسامهم ولو بعد عهد قريب من الزمن إلى حافة القبر ، فلينهدوا في الحياة الدنيا ومباهجها ، ولينصلوا إلى الحياة الأخرى بأسباب من تقوى الله وحواف عقابه . وإذا كان الأمر كذلك فإن الغزل لا يصل إلى قلوبهم ، وإن شعر الغزل لا يصل إلى أسماعهم .

وشباب الأمة أى فتوتها وعظمتها . الأمة الفتية الشابة ، يكون قد اجتمع لها زاد من أسباب المجد يجعلها في رغد من العيش ، وفي قوة ومنعة ، وفي راحة وأمن وطمأنينة . وتلك هى الحال التى عنها ابن خلدون ورآها فى حصول الملك لأى أمة من الأمم . وتلك هى الحال التى إذا عاش الناس فى ظلها نعموا وترفها ، فطابت آمالهم ، ووجدوا فيها مجالاً خصيباً ، فيه يسرحون ويمرحون ؛ ويجد شعراء الغزل فى هذه الخيلة ما يقوى شاعرهم ، ويصقل عاطفتهم ، ويرقق إحساسهم ، ويوحى إليهم أن يطلعوا على الناس

بما هو حسن جميل وما هو عذب غرد ؛ وما هو فائق شائق يوافق حبساتهم الناعمة وعيشهم الفاره .

وإذا اجتمع شباب الشاعر ؛ وشباب الأدب --- أى جمهور القارئ أو السامعين — وشباب الأمة وجد الشعر أكثر ما يكون قوة وروعة ، وكان الغزل ، أكثر ما يكون عذوبة ورقة . ولعلنا حين نتحدث عن تطور الغزل نعطيك صورة صحيحة في نايبد ما نقول .

قالوا :

كان أبو العتاهية غزلاً ، ولكنه انصرف في أخريات أيامه ، وقد كبرت سنه إلى الزهد وترك الغزل ، ولكن الرشيد يحلو له أن يسمع غزل أبي العتاهية ، فرغب إليه أن يتغزل فأبى فخبسه ، فغنى بقوله :

خليلى ما لى لاتزال مضرتى      تكون على الأقدار حتما من الحتم  
كفناك بحق الله ما قد ظلمتنى      فهذا مقام المستجير من الظلم  
ألا فى سبيل الله جسمى وقوتى      ألا مسعِدٌ حتى أنوح على جسمى

فأمر الرشيد بإحضاره وقال له : بالأمس بنهالك أمير المؤمنين المهدي عن الغزل فتأبى إلا للججا ومكابرة ، واليوم أمرك بالقول فتأبى جراً على وإهداما . فقال : «يا أمير المؤمنين إن الحسنات يذهبن السيئات . وكنت أقول الغزل ولشباب وجدة ، وبى حراك وقوة . وأنا اليوم شيخ ضعيف لا يحسن بمثلى تصاب .»

ولم يقنع الرشيد بهذا ، فرد إلى الحبس . وكان من الحق أن يقنع به لأنه قول صحيح سليم . وسنرى فى باب الغزل أن شباب الشعراء هو الذى أجدى على الشعر العربى بما نقرؤه فى شعر الغزل . وإن عهد شباب الأمة هو خير العهود ازدهاراً فى الغزل ، بل تكاد تكون التروة الغزلية من آثار هذا العهد .

ومن الجلى أن عصر بنى أمية ، وعصر بنى العباس هما مظهر السباب فى الأمة

العربية . ومن الطبيعي أن يكون الغزل في هذين العصرين زاهراً عامراً . ولم يؤت هذا الحظ في أى عصر من العصور كما وجد في هذين العصرين .

### (ب) الجوارى

تقرأ في الأدب العربي كثيراً من أخبار هؤلاء الجوارى وأهن كن سبباً في بعض العهود وخاصة في العصر العباسى إلى حال ازدهر فيها الأدب وسما ، وأصبح غنياً بفنون من الظرف والرقه والجمال .

وقد دعا إلى كثرة هؤلاء الجوارى في العصر العباسى ما كان بين العرب والفرس من عشرة وجوار واحتلاط . ، وأن النسرى أصبح حلالاً ، فلخليفة أو الأمير أو الحاكم أن يملك من هؤلاء من يشاء ، وأن الفتوحات ، خلقت للعرب من هؤلاء الشيء الكثير . ويظهر أن كثرة الجوارى في هذا العصر قد هالت الرياشى الشاعر ، وفي ذلك يقول :

إن أولاد السّرارى كُتروا ، يارب ، فينا  
رب أدخلنى بلاداً لا أرى فيها<sup>(١)</sup> هينا

وبعض هؤلاء الجوارى يكن مملوكات للخلفاء أو الأمراء أو الأغنياء وكن يختلفن إلى كثير من الأندية والمحافل ، يعرفها الشعراء ، والأدباء ، فيتجهون إليها ، وهناك يتناشدون أشعار الغزل ، ويسمعون الغناء العذب ، ويسمرون ويشربون ، ويجدون في ذلك متعة لا تداينها متعة .

وكان<sup>(٢)</sup> لابن رامين<sup>(٣)</sup> منزل بالكوفة يعرض فيه بعض جواريه وكن مغنيات مجيدات ، وهنّ : سلامة الزرقاء ، وربيعة ، وسعدة . وفيهن بقول إسماعيل بن عمار قصيدته التى أولها :

(١) الهجين من أمة سرية (٢) نهاية الأرب ج ٥ ص ٧٥  
(٣) ابن رامين هو عبد الملك بن رامين مولى عبد الملك بن بشر بن مروان.

هل من شفاعة لقلبٍ لَجَّ محزونٍ  
إلى ربيحة ، إن الله فضلها  
نعم شفاؤك منها أن تقول لها :  
أنت الطيبُ لداءٍ قد تلبسَ بي  
نفسى تأبى لكم إلا طواعيةً  
وكان هؤلاء الجوارى على جانب عظيم من الجمال ، وكما يقول <sup>(٢)</sup> الدكتور  
طه حسين بك :

قد أحسن تأديبهن ، فروين الشعر ، وقرضنه ، وأحسن الموسيقى ونبغن فيها ،  
وأخذن من العلم والأدب المعروفين حينئذ بطرف لا بأس به . فكن يثبتن لمناظرة  
الشعراء والعلماء وأئمة اللغة . وكن يمتزن بذلك ، ويتقدمن على الحرائر والمحصنات ،  
لأن حربة هؤلاء وإحصانهن كأننا يحولان بينهن وبين التحدث إلى الرجال ، والتبذل  
في هذا الحديث .

وفد يحاول للقارىء أن نحدثه بعض الحديث عن علم الجوارى ، وأدبهن .  
كان <sup>(٣)</sup> محمد بن عيسى الجعفرى يهوى بصبص جارية ابن نفيس ، فذهب  
إليها ومعه صديق ، فلما غنتهما ، قال لها محمد بن عيسى : أتغنين ؟  
وكنت أجيبكم فساوت عنكم  
عليكم في دياركم السلام  
فقالت : لا . ولكنى أغنى .  
تحمل عنها أهلها فبانوا  
فأطرق ساعة ، ثم قال : أتغنين ؟  
وأخضع بالعُتبي إذا كنت مذنباً  
فالت : نعم . وأغنى أحسن منه .  
على آثار من ذهب العفاه

(١) درالحميرة بناه النعمان بن المنذر (٢) حديث الأربعاء ح ٢ ص ١٢٩ (٣) نهاية الأرب ج ٥ ص ٧٤



فان تقبلوا بالود تقبل بمثله ونزلكم منا بأقرب منزل  
 فتقاطعا في بيتين وتواصلا في بيتين وما شعر بهما أحد ! .  
 وقال<sup>(١)</sup> مروان بن أبي حفصة : لقيت الناطق فُدعاني إلى عِنان<sup>(٢)</sup> فانطلقت  
 معه ، فدخل إليها قبلي ، فقال : حئتكَ بأشعر الناس مروان بن أبي حفصة ، فوجدها  
 عليّة ، فقالت : إني عن مروان لني شغل فأهوى إليها بسوط ، فضربها ، وقال لي :  
 أدخل . فدخلت وهي تبكي ، فرأيت الدموع تنحدر من عينيها ، فقلت :  
 بكت عنان فجرى دمعها كاللُّدُر إذ يسبق من خيطه  
 فقالت مسرعة :

فليت من يضربها ظالماً نَيْسَ يمانه على سوطه  
 قال مروان : فقلت أعتق ما أملك إن كان في الجن والإانس أشعر منها .  
 وقال أحمد بن معاوية : قال لي رجل : تصفحت كتباً فوجدت فيها بيتاً جهدت  
 جهدي أن أجد من يميزه فلم أجد . فقال لي صديق لي : عليك بعنان جارية الناطق ،  
 فأنتيتها فأنشدتها البيت وهو :

وما زال يشكو الحب حتى رأيتُه تنفّسَ من أحشائه وتكلّمَا  
 فلم تلبث أن فالت :  
 وبكى فأبكى رحمةً لبكائه إذا ما بكى دمعاً بكيتُ له دماً  
 وحدثنا<sup>(٣)</sup> الفضل بن العباس بن المأمون قال :

زارتني عَرِيب يوماً ؛ ومعها عدة من جواربها ، فتحدثت معنا ساعة ، وسألتها  
 أن تقيم معنا فأبت ، وقالت قد وعدت جماعة من أهل الأدب والظرف أن أصير إليهم  
 وهم في جزيرة المؤيد ، منهم ابراهيم بن المدبر ، وسعيد بن حميد ، ويحيى بن عيسى ،

(١) نهاية الأبرح ٥ ص ٧٨ (٢) جارية الناطق من مولدات الهمامة .

(٣) الأعاني طبعة قديعة ج ١٩ ص ١٢١

خلفت عليها فأقامت ودعت بدواة وفرطاس ، وكتبت إليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم . أردت ، ولولا ، ولعلی .

ووجهت الرقعة إليهم فلما وصلت قرءوها ، وأخذها إبراهيم بن المدر وكتب :  
تحت أردت : ليت . وتحت لولا : ماذا . وتحت لعلی : أرجو . ووجه بالرقعة إليها .  
فلما قرأتها طربت . وقالت : أنا أترك هؤلاء ، وأقعد عندكم . ومضت إلى مجلس  
أهل الأدب .

لعل القارئ لا يكون في حيرة من جواب عرب ، ورد إبراهيم بن المدر أما  
هي فتعنى : أردت الحضور . ولولا ما شغلني للتحقق عزمي ، ولعلی أراكم بعد قليل .  
وكان رده عليها . ليت ما أردت تحقق ، وماذا شغلك ؟ وأرجو أن تحضري بعد قليل .  
وحدثنا عمرو بن بآنة<sup>(١)</sup> قال :

كان في جوارى رجل من البرامكة ، وكانت له جارياة شاعرة ظريفة ، يقال لها  
« حسناء » ، يدخل إليها الشعراء ، ويسألونها عن المعاني ، فتأتي بكل مستحسن  
من الجواب ، فدخل إليها سعيد بن وهب يوماً ، وحادثها طويلاً ثم قال لها :

حاجيتُك يا حسناء      في جنسٍ من الشعر  
وفيا طولهُ شِبْرٌ      وقد يُوفى على الشبرِ  
له في رأسه شقٌّ      نطوف<sup>(٢)</sup> بالندی يجري  
إذا ما جفَّ لم يجر      لدى برٍّ ولا بحر  
وإن بُلَّ أنى بالعجب العاجب والسحر  
أجيبى لم أُرْدُ فحشًا      وربَّ الشفع والوسر  
ولكن صُغت أبياتًا      لها حظٌّ من الزجرِ

قال : فغضب مولاه . وتغير لونه . وقال :

(١) عصر المأمون ح ٢ ص ٤٠٩ (٢) بهال لدلة نطوف : أى فاطره عطر حتى الصباح

أَتَفَحِّشُ عَلَى جَارِيَتِي ، تَخَاطَبُهَا بِالْخَنِي ؟ .  
 فقالت له : خَفِّضْ عَلَيْكَ ، فَمَا ذَهَبَ إِلَى مَا ظَنَنْتَ ، وَإِنَّمَا يَعْنِي الْقَلَمُ . فَسُرَّ عَنْهُ ،  
 وَنَحِكَ سَعِيدٌ ، وَقَالَ : هِيَ أَعْلَمُ مِنْكَ بِمَا سَمِعْتَ .

كَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ إِذْنٌ وَقَدْ كَثُرَ هَوْلَاءُ الْجَوَارِي الْحَسَانِ ، وَكَانَ عَلَى جَانِبِ  
 مِنَ الْمَعْرِفَةِ ، وَالْأَدَبِ ، وَالْعَطْنَةِ ، وَسُرْعَةِ الْخَاطِرِ ، وَكَانَ أَيْضًا مَعَ هَذَا كُلِّهِ — وَكَلَهُ  
 يَغْرَى وَيَغْوَى — عَلَى حِظِّ مِنْ حَسَنِ الصَّوْتِ ، فَأَصْبَحَتْ لَهْنٌ ، أَوْ كَثِيرٌ مِنْهُنَّ مِيزَةٌ  
 أُخْرَى ، زَادَتْهُنَّ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ فَتْنَةٌ ، وَرُوعَةٌ هِيَ الْغَمَاءُ . وَمَا أَمْرُهُ إِلَى نَفْسِ  
 الْعَرَبِ ! ، وَمَا أَحْبَبَهُ إِلَى الْحَسِّ الْمَرْهَفِ ، وَالْقَلْبِ الطَّرُوبِ !

كَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ مَجَّدَ شِعْرَ الْغَزْلِ مِنْ هَوْلَاءِ الْجَوَارِي زَادًا ، وَإِذَا كَانَ الشَّعْرُ  
 صُورَةً لِلْعَصْرِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ . كَانَ مِنْ هَذِهِ الصُّورَةِ أَنْ وَصَفَ لَنَا الشَّعْرَ جَمَالَ هَوْلَاءِ ،  
 وَوَصَفَ فَتْنَتَهُنَّ ، وَزِينَتَهُنَّ ، وَوَصَفَ حَدِيثَهُنَّ ، وَكَانَ مِنْ هَذِهِ الصُّورَةِ أَنْ جَمَلَ إِلَيْنَا  
 الشَّعْرَ الْعَرَبِيَّ ، وَصَفًا لِلْقَاوِبِ الَّتِي أَشْرَبَتْ حُبَّ هَوْلَاءِ الْجَوَارِي ، وَالْأَفْئِدَةَ الَّتِي خَفَقَتْ  
 بِهَوَاهُنَّ ، وَغَرَامَهُنَّ ، وَكَيْفَ أَنَّ هَوْلَاءَ الْجَوَارِي سَجَرْنَ كَثِيرًا مِنْ ذَوِي الْعَوَاطِفِ  
 الْمَلْتَهَبَةِ ، وَجَذَبْنَ إِلَى نَفْسِهِنَّ كَثِيرًا مِنْ ذَوِي الْإِحْسَاسِ الْمَرْهَفِ . وَكَانَ لَا يَدُلُّ لَنَا  
 أَنْ نَقْرَأَ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ صُورًا مِنْ هَذَا كُلِّهِ .

إِذْنُ تَغَزَلَ الشَّعْرَاءُ فِي الْجَوَارِي وَفَاضَ شِعْرُ الْغَزْلِ بِوَصْفِهِنَّ ، وَأَخْبَارَهُنَّ . وَهَامِحْنُ  
 أَوْلَاءُ نَقْرَأُ مِنْ هَذَا فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ صُورًا جَمِيلَةً رَائِعَةً ، فِيهَا قُوَّةٌ ، وَفِيهَا حَسَنٌ ،  
 وَفِيهَا إِتْقَانٌ ، فَنَحْمَدُ لَهُوْلَاءَ الْجَوَارِي مَا أَسْدَيْنَ إِلَى الْأَدَبِ مِنْ ثَرْوَةٍ ، وَمِنْ زَادٍ . وَكَانَ  
 مِنَ الْحَقِّ أَنْ نَعْتَبِرَ هَوْلَاءَ الْجَوَارِي وَكَثْرَتَهُنَّ ، وَانْتِشَارَ نَفُودِهِنَّ ، عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي  
 نَرَاهَا سَبَبًا مِنْ أَسْبَابِ الْغَزْلِ ، وَعَامِلًا مِنْ عَوَامِلِهِ .

وَإِنِّي ذَاكَ لَكَ بَعْضُ أَمْثَلَةٍ مِنْ شِعْرِ الْغَزْلِ فِي هَوْلَاءِ الْجَوَارِي . وَفِي الْبَسَابِ  
 الْخَامِسِ — تَطَوَّرَ الْغَزْلُ — بَقِيَّةٌ مِنْ هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ .

كان الرشيد يهوى ثلاث جوار ، ويقول الشعر فيهن ، وهن سحر ، وضياء ،  
وخنث ، وفيهن يقول :

أخذت سحر ولا ذنب لها      ثلثي قلبي وترباها الثلث  
ويقول مطيع بن إياس في جارية اسمها - ريم - كان يهواها :  
يا ريمُ يا فأتلتى      إن لم تجودى فعدي  
بيّضت بالمطل وإحلا      فك وعدى كبدى  
حالفت عيني سهدى      وما بها من رمدى

ويقول حمّاد عجرد في جارية اسمها « جوهرا » :

إني لأهوى جوهرا      ويحب قلبي قلبها  
وأحب من حبي لها      من ودّها وأحبها  
وأحب جارية لها      نخفي وتكتم ذنبها

وكان علي بن آدم بالكوفة يهوى جارية ، علقها وهي صبوية تختلف إلى الكتاب  
فكان يجيء إلى ذلك المؤدب فيجلس عنده لينظر إليها ، فلما أن بلغت باعها موالها  
فجزع على ذلك جزعاً شديداً ، وقال :

صاحوا الرحيل وحنّى صحى      والوا الرّواح مطيروا لئي  
واشتقت شوقاً كاد يقتلنى      والنفس مشرفة على تحب  
لم يلقَ عند البين ذو كلف      يوماً كما لايت من كرب  
لا صبر لي عند الفراق على      فقد الحبيب ولوعة الحب

ولأبي الشيبان الشاعر جارية سوداء ، تعشقها ، وفيها يقول :

يا أبنّة عم المسك الذكى ومن      لولاك لم يتخذ ولم يطب  
ناسبك المسك في الرّداء وفي الر      يح فاكرم بذالك من نسب

وأبو عُيَيْنَةَ الشاعر يهوى جارية ، يقال لها « أمان » طلب فيها مولاهما ثمناً كبيراً ، وفيها يقول :

قلت لما رأيت مولى أمان فدطني سؤومَه بها طغيانا  
لا جزى الله الموصليّ أبا إسحاق عنا خيراً ولا إحسانا  
جاءنا مرسلابوحي من الشيطان أغلى به علينا القيانا  
من غناء كأنه سكرات الحسب يُضبي القلوب والآدانا  
ويقول أبو نواس في « جنان » الجارية ، وقد كلفَ لها كلفاً شديداً :

جَنان إن جُدتِ يا مُنْأى بما آمَلُ لم تَقْطُرُ السماءَ دما  
وإن تَمادى ولا تَماديتِ في منْعِكَ أصبحَ بَقْفَرَةَ رِمَما  
عَلِمْتُ من لو أنْتى على أنْفَسِ المَماضِيَةِ والغارينِ ما ندمَا  
لو نظرتِ عَيْنُهُ إلى حَجَرٍ ولَدَ فيه فتورُها سَمَمَا  
وأحب بشار جارية يقال لها « فاطمة » سمعها تغنى فطرب من غنائها  
وفي ذلك يقول :

درةٌ بحريةٌ مكنونةٌ مازها التاجر من بن الدُرِّ  
عجبتُ فطمتهُ من نعتي لها هل يجيدُ النعتَ مكهوفُ البصرِ  
ج - الغناء :

يقول ابن خلدون في صناعة الغناء « هي تلحين الأشعار الموزونة ، بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة ، يوقع على كل صوت منها توقيعاً عند قطعه فيكون نغمة ، ثم تؤلف تلك النغم بعضها إلى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها لأجل ذلك التناسب ، وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الأصوات » .  
وإذا عرفت بجانب هذا ما طبع عليه العربي منذ نشأته من حب الشعر والشغف به ، والسبق في مصارحه وطبيعة البيئة التي تحيط به ، من شمس مشرقة ، وسما صافية  
الغزل --- م ٤

وصحراء فسيحة الآماد . وأنه صافى الذهن ، ناعم البال ، ببتسم للحياة ويطرب لها ، ويتغنى بما وهب الله فيها من نعم ، وخيرات ؛ وجمال .  
 إذا عرفت هذا كله أدركت لم شغف العربى بالغناء ، ولم انتشر الغناء بين العرب وكانت له فى نفوسهم هذه المكانة الرفيعة تزدان به مجالسهم ، ويستهوى ألبابهم وأفتدتهم ، لا فرق فى ذلك بين السوقة والخاصة . ولا فرق أن يكون العربى فى حفل أو مجلس ، أو يخاول إلى نفسه ، فيذكر هواها ، وإذا هو يتغنى ببضعة أبيات من الشعر بالآتم حاله ، وتوافق حنينه أو أنينه ، فيجد فى ذلك لذته ومتعته ، ويرى فى ذلك فرحته وبسمته .

وإنك لتجد فى كتب الأدب كثيراً من الأمثلة ، ومن الأخبار التى نصح لك عن حب العربى للغناء ، وطربه به . إشتباعاً لركة عاطفته ، وحساسيته ، وإشتباعاً لشاعريته . وما يحمله هذا الشعر من روعة فى اللفظ والمعنى .  
 يقول عبد الله بن جعفر :

إن لى عند السماع هزة ، لو سئلت عندها لأعطيت ، ولو قائلت لأبليت .  
 وقالوا :

خرج<sup>(١)</sup> عبد الله بن جعفر متنزهاً ، فصادف ابن سريج ، وعزة الميلاء متنزهين فأناخ ابن جعفر راحلته ، وقال لعزة : غنبنى ، ثم قال لابن سريج : غنى يا أبا يحيى ، فغنناه .

فطرب عبد الله وأمر براحلته فنحرت ، وشق حلته فألقى نصفها على عزة ، والنصف الآخر على ابن سريج .

فباع ابن سريج النصف الذى صار إليه بمائة وخمسين ديناراً . وكانت عزة إذا جلست فى يوم زينة أو مباهاة ألت النصف الآخر عليها تتجمل به .

وكان عبد الله بن جعفر ، وابن أبي عتيق ، وعمر بن أبي ربيعة يغشون منزل عزة  
الميلاء ، فنغنيهم ، وغنت يوماً عمر بن أبي ربيعة لحناً لها في شيء من شعره ، فشق  
ثيابه ، وصاح صيحة عظيمة صعق معها ، فلما أفاق قال له القوم : لبيك الجبل  
يا أبا الخطاب . قال :

إني سمعت والله ما لم أهلك معه نسي ولا عقلي .

وكان من عادة عمر بن أبي ربيعة ، وابن سريج أن يخرجوا في موسم الحج ينلقيان  
الحاج . خرجا ذات يوم ؛ وكان أن أظلم عليهما الليل ؛ فعدلا إلى كتيب ؛ والقمر طالع  
يضيء . فغنى ابن سريج من شعر عمر .

وما كاد ابن سريج يستتم الغناء حتى طلع رجل يركب فرساً عتيقاً ؛ أعجبه  
الصوت ؛ قال إلى صوبه . قال الرجل لابن سريج : أيمكنك -- أعرك الله -- أن  
تردّ هذا الصوت ؟ فأعاده ابن سريج ، قال الرجل : والله أنت ابن سريج ؟ قال نعم .  
قال : حياك الله ! وهذا عمر بن أبي ربيعة ؟ قال نعم . قال : حياك الله يا أبا الخطاب .  
فقال له : وأنت حياك الله . قد عرفتنا فمرّنا نفسك . قال : لا يمكنني ذلك . فغضب  
ابن سريج وقال : والله لو كنت يزيد بن عبد الملك لما زاد . قال له : أنا يزيد بن عبد الملك .  
فوثب إليه عمر فأعظمه ؛ ونزل ابن سريج إليه فقبل ركبته . ونزع يزيد حلته وخاتمه ؛  
ودفعهما إلى ابن سريج .

وذات يوم وقف ابن سريج عند بستان في طريق الحج . وأخذ يغني :

لمن نار بأعلى الخيف<sup>(١)</sup> دون البئر ما تجبو

أرقت لذكر موقعها حنّ لذكرها القلب

وما أن سمع الحاج هذا الصوت حتى أقبلوا عليه ، وتزاحوا . ورأى هذه الحال  
رجل آخر ، وخاف أن ينصرف الحاج عن إتمام مناسك الحج ، فقال : يا هذا قد

(١) اسم موضع والخيف ما انحدر عن علف الجبل ، وارتفع عن سيل الوادي .

قطعت على الحاج وحبيبتهم ، والوقت قد ضاق ، فاتق الله وقم عنهم ، وكان أن قام ، فسار الناس .

وكان<sup>(١)</sup> أحمد بن أبي داود يعيب الغناء ، ويطعن على أهله ، ودعاه المعتصم يوماً ، وكان معه إبراهيم بن المهدي ، فعنى — على إحدى الروايات :

طَرَفَتِكَ زَائِرَةٌ فُحِّيَّ حَيَالَهَا      بِيضَاءِ تَخْلِطُ بِالْحَيَاءِ دَلَالَهَا  
هَل تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نَجْمَهَا      بِأَكْفِكُمْ أَوْ تَسْتُرُونَ هَلَالَهَا

وطرب ابن أبي داود بهذا الغناء ، وشغله هذا الطرب عن كل شيء ، حتى سقط من يده سوطه . فطلب من غلام له سوطه ، فقال له : فد والله سقط سوطي . قال أحمد : فأى شيء كان سبب سقوطه ؟ . فقال الغلام : صوت سمعته شغلني عن كل شيء ، فسقط سوطي من يدي . قال أحمد : فإذا قصته قصتي ! .

هذا جانب من طرب الخاصة بالغناء . وأسوق لك هذين الحادثين لطرب السوقة بالغناء .

شخص معبداً المعنى إلى مكة . وفي طريقه اشتد به الحر والعطش . وصادفه خباء فيه عبد : قال إليه وقال : يا هذا اسقني من هذا الماء . فقال : لا . فقلت : فأذن لي في الكن ساعة ، قال : لا . فأنخت ناقتي ، ولجأت إلى ظلها فاستترت به وأخذت أغني .

وما سمع العبد الغناء حتى احتمل معبداً وأدخله خباءه . ثم قال : أي بأبي أنت وأمي . هل لك في سويق السُّلْتِ<sup>(٢)</sup> بهذا الماء البارد ؟ . فقلت : فد منعني أقل من ذلك وشربة ماء تجزئني . قال : فسقاني حتى رويت . فلما أردت الرحلة ، قال أي بأبي أنت وأمي ! الحر شديد ، ولا آمن عليك مثل ما أصابك . فأذن لي أن أحمل معك قربة من ماء على عنقي وأسعى بها معك ، فكأما عطست سقيتك صحنا ، وغنيتني صوتاً . قال :

(١) الأغانى ج ١٠ ص ١٠٦ (٢) شعير لا فسر له ، بتردون بسويقه في الصيف .



قلت : ذاك لك فوالله ما فارقني اسقنني وأغصيه ، حتى بلغت المنزل .  
 وكان اسماعيل بن الهريرة بئد مملوكا لرحل من ولد الزبير ، فدفع إليه درهمين ، يتناع  
 له بهما لحما . فلقي جارية على رأسها جرة تعنى لحناً ، فسألها أن تعلمه إياه فأبت إلا  
 أن يعطيها درهمين ، فأعطاهما ، ورجع إلى مولاه بغير لحم ، فضربه ضرباً شديداً ،  
 فأنسى اللحن . وبعد أيام دفع له درهمين آخرين يتناع بهما لحماً ولقيته الجارية ،  
 فسألها أن تعيد الصوت . فأبت إلا بدرهمين . فدفعهما إليها . وغنته الصوت ، وأعادته  
 حتى أخذته . ورجع إلى مولاه ولا لحم معه . مسأله : ما القصة في هذين الدرهمين ؟ ،  
 وحدته إسماعيل بالخبر ، وغناه الصوت . فقبل بين عينيه ، وأعنته .

وإذا كانت هذه حال العناء . يطرب له العرب ، وتهزله فأوب الجميع ، ويصل  
 بهم الإعجاب إلى الرقص ، أو إلى حال أخرى تدل على شيء من الخفة والطيش . إذا  
 كانت هذه هي الحال فإنه ليس بغريب علينا أن نقرأ أخباراً كثيرة تدل على ما كان  
 للمغنين والمغنيات من مكان كريم في نفوس الناس جميعاً ، ملوكهم ، وأمراءهم ،  
 وحكامهم ، وجهرتهم . بكرموتهم ، ويقدرونهم ، ويجزلون لهم العطاء . القول  
 ما يقولون ، والرأي ما يرون . ويكفي أن يكون أحدهم مجفوا من خليفة أو ملك ،  
 فإذا غنى في حضرة هذا الخليفة ، أو هذا الملك حصل العفو ، بل حصل الرضا .

كانت دنانير جارية ليحيى بن خالد البرمكي ، وسمع الرشيد صوتها ، فأعجب  
 بها ، واشتد عجبها ، فوهب لها هبات سنوية ، وهب لها في ليلة عيد عقداً قيمته  
 ثلاثون ألف دينار . وعانبه في ذلك عمومته ، فال لهم : مالي في هذه الجارية من أرب  
 في نفسها ، وإنما أربي في غنائها . فاسمواها فإن استحققت أن يؤلف غناؤها وإلا  
 فقولوا ما شئتم . ولما سمعوا عذروه ، ولم يقولوا شيئاً .

ودخل <sup>(١)</sup> اسماعيل بن الهريرة على الرشيد ، وغناه هذه الأبيات :

بارأكب العبس التي وفدت من البلد الحرام  
قل للإمام ابن الإمام أخى الإمام أبى الإمام  
زين البرية إذ بدا فيهم كمصباح الظلام

قالوا: وكاد الرشيد يرقص، واستخفه الطرب حتى صرب بيديه ورجليه، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

وكان يزيد بن عبد الملك مشعوراً بحباية المغنية . وتبنى بها عمر بن هبيرة فملت منزلته ، حتى كان يدخل على يزيد فى أى وقت شاء . وما زالت حباية تدينه من يزيد ، حتى أصبح والياً على بلاد العراق .

وحج سليمان بن عبد الملك . وأقام مباراة بين المغنين ، ومن فاز أعطاه بَدْرَة (١) وغناه ابن سريج هذه الأبيات وهى لعروة بن أذينة :

سرى همى وهم المرء يسرى      وغاب النجم إلاّ قيس (٢) فتر (٣)  
أراقب فى الجرة (٤) كل نجم      تعرّض للمجرة كيف يجبرى  
لهم لا أزال له مديماً      كأن القلب أسعر حرّ جمر  
على بكر أخى ولّى حميداً      وأى العيش يصفو بعد بكر  
فأمر سليمان بدفع البَدْرَة إليه .

وغضب (٥) الرشيد على إبراهيم الموصلى . فحبسه مدة . ثم اصطبغ يوماً ، فبينما هو على حاله إذ تذكره . فقال : لو كان الموصلى حاضراً لانتظم أمرنا وتم سرورنا . قالوا يا أمير المؤمنين . عجى به ، فما له ذنب كبير . فجىء به ، ولما دخل أطرق الرشيد . فلم ينظر إليه . وأوماً له من حضر أن يعنى ، فعنى ، فما تمالك الرشيد أن حرك رأسه سراراً ، واهتزطربا ، ثم نظر إليه . وقال : أحسنت والله يا إبراهيم . حلوا قيوده ، وغطوه

(١) البدره : كيس فيه عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار (٢) قدر .

(٣) ما بين طرف الإبهام وطرف المشيرة (٤) نجوم فى السماء (٥) الأغانى ج ٦ ص ٢٠٥

بالخلع . ففعل ذلك . فقال : يا سيدي رضاك أولاً . قال : لو لم أرض ما فعلت هذا .  
وأمر له بثلاثين ألف درهم .

وكان عثمان بن حيان<sup>(١)</sup> والياً على المدينة . وأشار عليه قوم من وجوه الناس  
أن يصلح حالها من الفساد ، وأن يطورها من الغناء والزنا ، فأعلن الناس بذلك .  
وأمرهم ثلاثة أيام . وكان ابن أبي عتيق غائباً ، وقدم في الليلة الأخيرة ، ودخل  
على سلامة النسّ . وسلم عليها . وأعلمته الخبر ، وكان أن قابل عثمان بن حيان ، وتحدث  
معه في أساوب لبق ، حتى أذن لسلامة بالمتول بين يديه . وكانت تحمل سُبحة ، وتظهر  
شيئاً من الخشوع . وكان أن حادثته ، وظهر من الحديث علمها ، وذكاؤها ، وقال لها  
ابن أبي عتيق . إقرئي للأمر ، فقرأت . فقال لها إحدى ، ففعلت . فكثر تعجب الأعراب .  
فقال ابن أبي عتيق . كيف لو سمعتها في صناعتها . ففعلت .

سددن حصاص<sup>(٢)</sup> الخيم لما دخلته بكل لَبان<sup>(٣)</sup> واصح وجبين

فقام عثمان من مجلسه ، وقعد بين يديها . ثم قال :

لا والله ما مثل هذه تخرج . قال ابن أبي عتيق :

لا يدعك الناس يقولون : أقر سلامة ، وأخرج غيرها . قال : فدعوهم جميعاً .  
وكان أن تركوهم جميعاً .

ولعلنا لسنا في حاجة إلى بيان أن الغناء مظهر من مظاهر الترف والرخاء . وأنه  
يزدهر و ينتشر إذا كانت الأمة في ظلال الدعة والقوة ، والسلام . ويذبل ويتضاءل  
إذا تقوض بناء الأمة . وضعفت أسباب المنعة والسيادة .

وكذلك الإنسان يحب الغناء ، ويميل إليه إذا كان في رغد من العيش وفي نضارة  
من الشباب . وفي فسحة من الآمال . أما إذا فدحته الخطوب ، وكبته الأيام ،

(١) الأعاني ح ٨ ص ٣٤٢ (٢) الحصاص : الحروق .

(٣) اللبان . الصدر

فأصبح يرى في نور الحباة ظلاما ، وفي بسمة الوجود كدراً وعبوساً ، فإن مثل هذا لا يصل الغناء إلى قلبه ، وإذا وصل فإنه لا يفتتح له ، ولا يجد فيه اللذة والمتعة .  
ويقول ابن خلدون :

و إذ قد ذكرنا معنى الغناء فاعلم أنه يحدث في العمران إذا نوافر ، وتجاوز حد الضرورى إلى الحاجى ، ثم إلى الكمالى ، وتفننوا فيه . فتحدث هذه الصناعة ، لأنه لا يستدعيها إلا من فرغ من جميع حاجاته الضرورية والمهمة من المعاش ، والمنزل ، وغيره . فلا يطلبها إلا العارغون عن سائر أحوالهم تفننوا في مذاهب اللذذوات .  
وهذا القول ينطبق تماماً على العرب وهم في العصر الأموى ، وفي العصر العباسى .  
أما في العصر الأموى فقد كان عرب الحجاز على جانب من الثراء ، والدعة ورغد العيس ، ولهذا ذاع بينهم الغناء ، كما ذاع الغزل ، وسنين ذلك .  
وكانت الدولة قد استتب لها الملك ، وعاد إليها من فتوحاتها ، شىء كثير من القوة ، والرخاء ، وجنى ثماره .

ورادت هذه الأسباب في العصر العباسى ، كما زاد اختلاط العرب بالفرس ، وكان لهؤلاء أثر جرم في انتشار الغناء ، وفي تقدمه ، ورواجه .  
أما في العصر الجاهلى فقد كان غناء . لأن العربى في هذا العصر وإن لم يبلغ ما بلغه في العصر الأموى والعباسى من الرخاء والأمن ، وجاه الملك ، واختلاطه بأمم أخرى ، ولكنه مع ذلك قانع بعيشه ، لا يجتهد في الحصول على قوته عناء ، يجبس نفسه ، ويكدر صفاءه . وتراه لهذا غرداً طروباً . وكان حذاء الإبل ، وهو نوع من الغناء . وكان النواح ، وهو قريب من الغناء ، أو هو ناحيته الكدراء العابسة .  
إذن كان الغناء منذ العصر الجاهلى ، ولكنه ليس على غرار ما نرى في العصر الأموى ، والعباسى في كثير من النواحي .

ويخيل إلى أن بين الغزل والغناء آصرة تجعلهما متلازمين ، كأنهما نوع واحد ،

أو نوعان ، يغذى أحدهما الآخر ، ويكون عوناً له وبدأ .

فاغناء يجيد مادته في شعر الغزل ، والغناء يكون حواً جميلاً إذا كان الصوت  
عذباً ، وإذا كان اللفظ حياً ، والمعنى رائعاً ، وكان صاحب الغناء جميلاً جذاباً .  
قال ثمامة بن أشرس :

كنت عند المأمون يوماً فاستأذن الغلام لعمير . وكرهت ذلك . ورأى المأمون  
الكراهية في وجهي . فقال : يا ثمامة ما بك ؟ . فقلت يا أمير المؤمنين إذا غنى عمير  
ذكر مواطن الإبل ، وكشبان الرمل ، وإذا غنينا فلاة ؛ انبسط أُملي ؛ وقوى جذلي .  
وانشرح صدري ، وذكرت الجنان والولدان . لم بين أن تغنيك جارية عادة ؛ تأبها  
غصن بان ؛ ترنو بمقلة وسنان . كأنما خالقت من باهوتة . أو خرطت من وصه ؛ شعر  
عكاشة القيني ؛ حيث يقول :

من كف جارية كأن بنائها من فضة قد طومت غانا (١)  
فكأن يمتها إذا ضربت بها ألفت على الكف الشمال حسابا  
وبين أن تغنيك رجل كثر اللحية ؛ عاين الأصابع ، خسن الكف ؛ بشعر  
ورفاء ابن زهير حيث يقول :

رأيت زهيراً تحب كل كل خالد فأبليت أسمى كالمحول أبادره  
وبين أن يحصرك ما تشتهي النظر إليه ؛ ومن لا يقف طرفاك عليه ؛ فتسب المأمون ،  
وقال : الفرق بينهما واضح ؛ والمنهج فسمح . باعلام لاأذن له . وأحضر أطلب وياته  
فظللنا في أمتع يوم .

وفي هذا المعنى يقول أبو بكر الشولي :

وغناء أرق من دمة الصب وشكوى المقيم المهجور  
تغل المرء ، منظر ، ثم نطق فهو يصني بظاهر وضمير

(١) العباب : شجر حبه تحب الرتون أحر حلو .

كل هذه الأسباب تجدها ظاهرة في الغزل ، ففي شعره أكثر الألفاظ حياة ، وأكثر المعاني روعة ؛ ولذلك غنى المغنون ؛ وغنت المغنيات بشعر الغزل ؛ وقل أن نجد غناء في غير شعر الغزل . وطبعي أن يكون ذلك فالغناء بهجة ، وطرب ، ومتعة ، والغزل بهجة وطرب ومتعة ؛ فلا بد أن يجد الغناء من شعر الغزل ما يجعله أكثر بهجة وطرباً ومتعة .

ولهذا كان الغناء في باب الغزل دون سائر أبواب الشعر . إذ أنه ليس في أبواب الشعر الأخرى مجال من البهجة والطرب والمتعة . وأى طرب أو متعة نجدها في الرثاء والزهد والمهجاء ، والوصف والفخر ، والمدح ؟ . وإن كان هناك غناء في باب المدح فهو غناء يقصد به القربى إلى المدوح ، وهو في العادة يكون ملكاً أو أميراً ، أو حاكماً ، فإذا سمع من يغنى بمدحه أجزل له العطاء ، ومدله في البذل . وإن كان هناك غناء في الفخر فهو غناء يقصد به حفز الهمم وبث العزائم ، والإشادة بفضل الآباء والأجداد ، حتى يجد فيهم الأبناء والأحفاد القدوة الصالحة . وهذا الغناء يحتاج إليه الأمم في دائرة ضيقة محدودة ، ولعلك ترى أن الغناء في باب المدح والفخر وإن كان قليلاً يسيراً . ولكنه لا يكون باعثاً إلى المتعة والطرب كما يكون الغناء في شعر الغزل .

وقد يكون من أسباب ذلك : أن في الغزل خفة ونشوة ، تصل إلى الأسماع فترق لها وتطرب . وفي الغزل حياة حاوة جميلة ، تعيش فيها . قلوب المحبين ، وهي غردة مبتهجة ، ومن ذا الذي لا تروقه تلك الحياة ؟ وفي الغزل ذكريات ، يصف فيها الشعراء حال المحبين . وقد يجسد الناس فيها صوراً من حياتهم التي نعموا فيها بظلال الحب . فهم يطربون ويسعدون لأن هذه الحال توافق حالهم ، ولأن هذا الشعور صورة من شعورهم ، وكأن الشاعر عناهم بقوله ، وكأن المعنى راح يفتنهم بما في هوى نفوسهم ، وإذا فات فريق من الناس أن ينعموا بظلال الحب فإنهم حين يسمعون شعره ، وحين يسمعون غناء في هذا الشعر ، يبتهجون ولو على الأقل أكثر من ابتهاجهم في أى غناء

من أى باب من أبواب الشعر الأخرى .

خرج الوليد بن يزيد إلى الصيد ، ومعه يزيد بن ضبّه الشاعر ، وأصاب الوليد في يومه صيداً حسناً ، وطالب من يزيد أن يصف فرسه ، وصبد اليوم ، فقال في ذلك مصيدة حلوية ، لم يبدأها بالنسيب ، فقال له الوليد : أحسنت يا يزيد الوصف ، وأجده ، فاجعل لقصيدتك تشبيهاً ، وأعطه الغزل وعمر الوادي حتى يغنبا .

فقال :

إلى هند صبا قاي	وهند مثلها يُصبي
وهند غادة غيدا	من (١) خرنومة غاب
وما أن وجد الناس	من الأدواء كالحب
لقد لج بها الإعرا	ض والهجر بلا ذنب
ولما أقض من هند	ومن جاراتها تحبي (٢)

إلى أبيات أخرى ، دفعها إلى المغنين ، فعنوهها .

وقد ملنا : إن الغناء في غير الغزل قليل ، وذكرنا فيما سبق بعض الأمثلة ، ومن هذا أيضاً أن غنى سليم بن سلام فول محمد اليزيدي في مدح الخليفة :

أبتك عائداً بك منك لما ضاقت الحيل  
وحيرني هواك وبى الحينى يُضرب المثل  
فإن سالت لكم نفسى فما لافيتيه جلال  
وإن قتلت الهوى رحلا فإني ذلك الرجل

ومات يزيد بن الملك ، ورزنت سلامة القس في موته ، فبكته هذه الأبيات ،

وغنتها ، فكان الرثاء مبكياً ، كما كان الغناء موحها .

(١) من أصل كريم

(٢) حاجق .

لا تلمنا إن خَشَعْنَا      أو هممنا بخشوع  
 إن فقدنا سيداً كما      ن لنا غير مضيع  
 وهو كالليث إذا ما      عُدَّ أصحاب الدروع  
 يقنص الأبطال ضرباً      في مُضَيِّ ورجوع

وفعل مثل ذلك إسحاق الموصلي حين مات الرشيد ، فغنى بهذه الأبيات :

قد لعمرى بت ليلي      كأخى الداء الوجيع  
 ونجىّ الهمم منى      بات أدنى من ضلوعى  
 كلما أبصرت ربعاً      دارسا فاضت دموعى  
 مقفراً من سيد كما      ن لنا غير مُضَيِّع

\* \* \*

ورأينا فى كتب الأدب أن كثيراً من الملوكة والخلفاء نكون لهم حال من الحب مع إحدى النساء ، ويطلبون من الشاعر أن يصف هذه الحال ، ثم يطلبون من يغبنيها وهم فى مجلس من مجالس اللهو والطرب ، فيكون هذا حاولاً جميلاً .  
 ورأينا كذلك أن الصوت الجميل ، وأن المغنية إذا كانت حلوة وسيمية أثارت فى نفوس الشعراء عاطفة ، تدفعهم إلى أن يقولوا فيها الشعر ، يصفون حسننها وروعيتها : حسن الجمال وروعة الفن فى الغناء .

ويحلو للمغنية وقد حمل الشعر وصفها وحسنها وسيرتها أن تبدع ما شاء لها الإبداع والإيقان فى أن تغنى هذا الشعر على أحسن صورة من النغم ، والجرس .  
 ورأينا أن كان بعض المغنيات يرجون بعض الشعراء فى أن يقولوا فيهن قولاً رقيقاً ، وطبعى أن يكون لمن فى هذا الغزل مادة لغنائهن ، والغناء قريب إلى النفوس ، وقربها إلى ما يشوق العاطفة من فرح وطرب ، ويهز القلب من أنس وسرور ، ولذا نرى الناس جميعاً — ما بعدت عنهم مكاره الحياة — يستمعون إلى الغناء ،



ويرددون النعم الحلو الجميل حين يحلون إلى نفوسهم ، وحين يهتز بهم الإحساس إلى مظاهر البهجة والغبطة . وقد قلنا إن بين الغناء وشعر الغزل أصرة قوية ، وإن الغناء يجيد في شعر الغزل زاده ومداه ، لهذا كان من الطبيعي أن تتأثر بما يحمله إلينا الغناء من شعر الغزل ، تتأثر به في كل نواحيه . نعجب بألفاظه ومعانيه ، وتتذاكر أحوال المحبين ، وتتدارس تاريخهم ، ونعرض أمامنا صفحات من أعمال الهوى ، ونتصور ما فيها من حلاوة أو مرارة ، ونقف حول ذلك مواقف من الإعجاب ، والتحليل ، ومواقف من النقد والدرس ، ونحاول أن نجد لها في نفوسنا ما يوافقها ، حتى تكون أكثر روعة وجمالا ، أو لعلها في الحق والواقع تشمل حالا من أحوالنا ، فتكون حينذاك حاوة ، كأنها فيلت وصمما لحالنا ، وكم شوق النفس كل ما يتصل بها .

وكانت سلامة القس عذبة الصوت ، كما كانت فاتنة الحسن والجمال ، وأثار هذا في نفس القس الإعجاب بها ، بل والهيام بها ، فمدحها بشعره ؟ وسألها أن تغنيه ففعلت :

ما بال قلبك لا يزال بهيمه      ذِكرٌ عوافب غيِّهن سقام  
 إن التي طرقتك بين ركائب      تمشي بمزهرها (١) وأنت حرام  
 لتصيد قلبك أو جزاء مودة      إن الرفيق له عليك ذمام  
 ومدحها الأحوص بهذه الأبيات فغنتها :

سلام هل لمتيِّم تنويل      أم قد صرمت وغال ودك غول  
 لا تصرى عنى ولأبك إنه      حسن لدى وإن بخلت جميل  
 أزعمت أن مودتي وصبايتي      كذب وأن زبارتي تقليل  
 وقل أن تجد مغنية لم تجد من الشعراء من تغزل بها ، ووصف في شعره حسنها في الصوت ، وحسنها في البدن ، وحسنها في غير هذين .

يقول عبد الرحمن بن أرطاة في جميلة - مولاة بني سليم - وقد تزوجت من موالى ابن الحارث بن الخزرج :

(١) الزهر : آلة الطرب المعروفة بالعود .

إن الدلال وحسن العنا ء وسط بيوت بني الخزرج  
 وتلكم جميلة زين النساء إذا هي تزدان للمخزرج  
 إذا جئتُها بذلتُ ودها بوجه من لها أبلج  
 وكانت مقيم الهشامية لا تخرج إلا متممبة ، وقدمت يوماً إلى ابن عبيد الله بن  
 الحسين العنبري القاضي ، فاحتاج إلى أن يشهد عليها ، فأمرها أن تسفر ، ففعلت  
 فقيل لعبد الصمد بن العُدل — وكان يهواها — لورأبت متمم وقد أسفرها القاضي  
 لرأيت شيئاً عجيباً ! فقال :

ولما سرت عنها القناع متمم تروح منها العنبري متيما  
 رأى ابن عبيد الله وهو محكم عليها لها طرفا عليه محكما  
 وكان قديماً كالح الوجه عابساً فلما رأى منها السفور تبسما  
 فإن يصب قلب العنبري فقبله صبا باليتامى قلب يجيى بن أكتما  
 وقال<sup>(١)</sup> هارون بن محمد عبد الملك — ابن ذى الزوائد — فى بصص  
 جارية ابن نهيس :

بصص أنت الشمسُ مزدانة فإن تبدلت فأنت الهلال  
 سبحانك اللهم ما هكذا فيما مضى كان يكون الجمال  
 إذا دعت بالعود فى مشهد وعاونت يمنى يديها الشمال  
 غنت غناءً يستفز الفتى — ذقاً وزان الحدق منها الدلال

وقال<sup>(٢)</sup> العباس بن الأحنف فى عنان جارية الناطقى :

لو تجودين لصبِّ راح ذا وجد شديد  
 وأخى جهل بما قد كان يجنى بالصدود  
 ليس من أحدث هجرا أصدى بصدود

(٢) نهاية الأرب ج ٥ ص ٨٠

(١) نهاية الأرب ج ٥ ص ٧٣



حياء منك حتى سُلَّ جسمي      وشقَّ عليَّ كتمانى وطالاً  
وقول ابن الرومي في وحيد المغنية :  
يا حليلي ! تيمنتني وحيدُ      ففؤادى بها مُعنى عميد  
عادة زانها من الغصن قدَّ      وهن الظبي مقلتان وجيد  
وزهاها من فرعها ومن الخ      دين ذلك السواد والتوريد  
فهى برد بخدها وسلام      وهى للعاشقين جهد جهيد  
ويقول في مظلومة :

مظلوم ما أنت بمظلومة      فى حكم أهل الشرق والغرب  
بل إنما المظلوم عبد لكم      أصبح مقتولا بلا ذنب  
هذا جانب من المغنيات . وجانب من الغزل فيهن . وهناك مغنيات أخريات .  
ما زهنَّ الله بحظ من الجمال . من أمثال : عزة الميلاء . وخبابة . ودقاق . وقلم الصالحية  
وشارية . وبذل . ومحبوبة .

وبجانب هذه الكثرة من المغنيات ترى من مشهورى المغنين أمثال :  
سعيد بن مسجع . مَعْبِد . الغرييض . محمد بن عائشة . ابن محرز . ابن سريج .  
مالك بن أبي السمح . يونس الكاتب . حنين . سيات . عَمْر الوادى . ابن جامع . يحيى  
ابن مرزوق . يزيد خوراء . فليح . ابراهيم الموصلى . اسحاق بن ابراهيم . علوية .  
محمد بن الأشعث . عمرو بن بانه .

فهؤلاء جميعاً من مغنيات ومغنين لهم أثر كبير على الغزل ، فهم قد نشروا  
فى أغانيهم رقة الغزل ، وعاطفته بين القلوب ، فراحت بها مشوفة طروبة ، وكثير  
من هؤلاء شعراء ، وأكثر شعرهم فى الغزل ، يلحنونه ، ويبعثونه إلى الأئمة  
والأسماع نغماً حلواً لذيذاً ، وكثير من شعراء الغزل كان شعرهم أو طائفة منه وحياً  
من هؤلاء المغنين والمغنيات . ذلك أنهم أنسوا إليهم ، وطرخوا إلى غنائهم ، فتابقوا

في أن ينظموا الشعر ، حتى يكون غناء ، يجمله الأثير إلى كل مكان ، وإلى كل قلب .  
 وإن المألوف والحكام كانت لهم أحوال ، أسباب ، أكتبتها في الحب والهوى ، أرادوا  
 أن يسجها الشعر ، وأن يلقها الغناء ، فكان لهم ما أرادوا ، ومنه الشيء الكثير .  
 أما المغنيات فكان هن فوق ذلك أثر آخر ، هو أسهن كى جميلات ، فأنات فى الحسن ،  
 فاجتمع حولهن الشعراء ، فظروا لجمالهن ، وعذوبة غنائهن ، فاهتزت قلوبهم  
 — وهى حساسة مرهفة — بالشعر ، وكان جميلا ، جمال المغنيات . عذبا ،  
 عذوبة الخابن .

واعلم هذا كله ، بمسلك أن بين الغناء والغزل أصرة قوية ، تجمعهما فى رباط  
 وثيق . بحيث يكون الغناء يكون الغزل .

# الباب الثالث

## شغف العرب بالغزل

كان الغزل في الشعر حبيباً إلى نفس العربي ، قريباً إلى هواه منذ القدم ، وما زال ينمو ويرقى بنمو الزمن ورق الحضارة ، حتى وصل إلى غايته في العصر العباسي .

ولعله يصور لك هذا الحب قول محرز العسكلي :

يظنُّ فؤادي شاخصاً من مكانه      لذكر الغواني مُستهماً متيماً  
إذا قلت: مات الشوق مني، تنسمت      به أريحياتُ الهوى فتنسما  
وقول مجنون بنى عامر :

ملا خير في الدنيا إذا أنت لم تزر      حبسباً ولم بطرب إليك حبيب  
وقول غيلان الثقفي :

وإذا كان النسب بسامى      لد في سامى وطاب النسب  
وقول كثير :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى      فكُن حجراً من يابس الصخر جاهداً<sup>(١)</sup>  
وكان<sup>(٢)</sup> المفضل الضبي يسير مع المهدي فسأله أن يحدثه حديثاً عجيباً، فسأله المفضل :

أي الحديث عجيب ؟

قال المهدي : حدث النساء .

لا يكاد يخاو شاعر في كل عصر من أن يجول في الغزل وأن يكون له فيه حظ  
يناسب هواه ، وهوى جمهرة الناس، التي تسمع شعره ، وبعجب به .  
ولاتكاد تخاو فصيحة من بدئها بالغزل، عدا قصائد الرثاء . فإن لها شأنًا من الحزن  
والبكاء لا يوافق شأن الغزل من بهجة ومنتعة وسرور .

وقد ذكر ابن قتيبة ، كما قلنا ، العلة في ذلك والدافع الذي أوحى إلى العرب أن يسيروا  
على هذا الغرار . حتى الهجاء كثيراً ما نرى الشاعر يقدمه بأبيات من الغزل . وعلة  
ذلك أن الغزل يصل إلى السمع ثم إلى القلب فيكون برداً وسلاماً ، حتى إذا جاء الهجاء  
كان فاسياً مقذعاً عنيفاً .

وقد أشار إلى هذا المعنى ابن الرومي في قوله (١) :

ألم تر أنني قبيل الأهاجي      أقدم في أوائلها النسبها  
لتعترق في المسامع ثم تتساو      هجائي مُحرقاً يكوى القلوبا  
كصاعقة أتت في إثر غيث      ونحك البيض يُنبعه المحببا

حدثنا علي بن يحيى المنجم قال : سمعت من لا أحصى من الرواة يقولون : أحسن  
الناس ابتداء قصيد في الجاهلية امرؤ القيس ، حيث يقول :

ألا عم صباحاً أيها الطللُ البالي  
وحيث يقول :

فما نبك من ذكرى حبيب ومنزل  
وفي الإسلاميين القطامي حيث يقول :

إنا مُحَيُّوك فاسلم أيها الطلل  
وفي المحدثين بشار حيث يقول :

أبي طلل بالجزع أن يتكلماً      وماذا عليه لو أجاب متسماً

وبالمرع آثار لهند وباللوى . سلاء ما يُعرون إلا نوبها  
 وحديث على س يحيى المصموم وإن كان منجهاً إلى بيان حسن البدء في القصائد  
 ولكنه بجانب ذلك بيان إلى أن بداية هذه القصائد كلها كانت عـ لا ، وكانت  
 تصويراً دقيقاً لناحية من نواحي الغزل ، وعن بكاء الأطلال والدهن .  
 وقد مر بنا أن يريد من صفة الشاعر كان مع الوائد يوماً في صيد ، وصفه  
 في قصيدة عصماء . ولكن لم يبدأها بالنسب ، فردها الوليد ، ليجعل في أولها تشبيهاً  
 حتى يعنى به ، وكان أن فعل .

وكان الرشيد<sup>(١)</sup> يستقبل الشعراء بالرقعة في يوم جمعة ، وكانوا ثمانية . فأخذوا ينشدونه  
 ولما جاء دور أشجع السامى ، وكان قد نظم قصيدة في مدحه واتدأها بالنسب  
 — كما هي العادة — وكان وقت الصلاة قد أرف وخاف إن أنشده القصيدة من أولها  
 حانت الصلاة ولم يسمع ما قاله فيه مدحاً ترك التشبيب وأنشده من موضع المديح ، فضحك  
 الرشيد وقال له : خفت أن بقوت وقت الصلاة فمتقطع المديح عليك . فبدأت به وتركت  
 التشبيب ، وأمره بأن ينسده المنسب ، فأشده إباد . فأمر لكل شاعر بعشرة آلاف  
 درهم ، وأمر لأشجع تضعها .

وقد بلغ حبهم للغزل أنهم يؤثرون الشاعر وندمونه ويفضلونه إذا كان ذا حظ  
 من الغزل والنسب . وقد اختلف علماء الأدب كثيراً في أى الشعراء أفضل : « جرير  
 والهرزدق والأخطل » . فأثر جماعة جريراً على صاحبيه . وكان الذى جملهم يحكمون  
 له بالغلبة والسبق أنه كان في الغزل مجالياً مجوداً .

ولعل أباغ دليل على تقدير شعراء الغزل وعلى تكريمهم حتى وهم أموات ما حدثنا  
 به هشام بن عبد الملك الخراسانى قال :

كنا بالرقعة مع هرون الرشيد فكتب إليه صاحب الخبر بموت الكسائى وإبراهيم

(١) الأغاني ج ١٧ طبعة فداء س ٢١



الموصلى والعباس من الأحنف في وقت واحد، فقال لأبنيه المأمون : اخرج فصلّ عليهم .  
فخرج المأمون في وجوه هواده وأهل خاصته وقد ضفوا له . فقالوا له من ترى أن يقدم ؟  
قال الذي يقول :

يا بعيد الدار عن وطنه      هايمًا يبكي على شجنه  
كلما جدَّ البكاء به      زادت الأستقامُ في بدنه

قيل له : هذا . وأساروا إلى العباس من الأحنف فقال : قدموه . فقدم عليهم .  
بل قد وصل بهم الأمر حيناً من الزمن أنهم كانوا يتفاخرون . وأن قبيلة غلبت في هذا  
التفاخر قبيلة أخرى لأنها رزفت شاعراً كان مجوداً في الغزل .  
سئل رجل من قبيلة عُذرة<sup>(١)</sup> : أتم أرق قلوباً أم بنو عامر؟ قال :  
إنا لأرق الناس قلوباً ، ولكن غلبتنا بنو عامر بمجنونها .  
بل هذه عشيرة الحاربية<sup>(٢)</sup> ، وكانت ظريفة وفيها بقية من السباب ، نفاخر بأه  
كان لها العلبة والسبق في حلبة الهوى . قالت :

جرت من العشاق في حلبة الهوى      ففقتهمو سبقاً وجئت على رسلتي  
فما لبس العشاق من حلل الهوى      ولا خلعوا إلا الثياب التي أبلتني  
ولا شربوا كأساً من الحب مُرّةً      ولا حاوّةً إلا شراهمُ فضلتني

كلما بلغ من حهم للغزل أن ننقل أشعاره إلى أسماعهم في سرعة حاطقة فيتناشدها  
في كل حفل وناد ، ويتذاكروا أخبارها وحوادثها ، ويتدارسوها بحثاً وتحليلاً .  
أما شغف نساء العرب بشعر الغزل فلا يحتاج إلى بسط أو بيان .

فالعرل وإن كان فيه تشهير بالمرأة ، وهذا ينافي ما طبع عليه العربي من المحافظة على  
العرض ، فإن فيه إشهاراً لها ، وإشادة بحساسنها ، وتكرماً لفعالها . ولم أصابت من ذلك خيراً !  
وإذا كان حب الثناء من طبيعة الإنسان فهو في طبيعة المرأة أقوى

(١) الأغاني ج ٣ ص ٣٤ (٢) نضحي الاسلام ص ٢٧١

وأكثر ، فالغيرة تدفعها إلى أن تكون خيراً من غيرها ، والدلال يدفعها إلى أن يكون حظها من الجمال لا يدانيه حظ . وكم رأينا من نساء نارعات في الحسن ! لم يجدن التقدير والإعجاب ، فذبلت نضارة حسنها ، وتهدل غصن هذا الجمال الذي كان قائماً مياماً .  
تسمع المرأة العربية شعر الغزل ، وهي بحكم فطرتها ، وبحكم تربيتها ، وبحكم ما يحيط بها من مقتضيات البيئة ، تتذوق هذا الشعر ويصل إلى سمعها ، ثم إلى قلبها ، فتعجب به وتطرب . وإذا كان هذا الشعر مقولاً في غيرها فلم لا يقال فيها ؟ أليست بذات حسن وجمال ؟ فلم لا يتحدث الشعر عن حسنها وجمالها ؟ أليست بذات زهو ودلال ؟ فلم لا يترجم الشعر عن زهوها ودلالها ؟  
وما السبيل إلى ذلك ؟

إنها لا تحجب نفسها ، بل تكشف عن وجهها المشرق الوضاح .  
إنها لا تقبع في دارها . بل تنتقل ، وتساfer ، وترتحل .  
إنها تذهب إلى الحج فيراها الشعراء ، ويتحدثون عن جمالها .  
إنها تجلس في المنزهات ولا ترى من الحرج أن تدعو شاعراً من شعراء الغزل تسمع إلى شعره فيهتز قلبها بخفقة الحب . وبلك هي أمنية الحياة .  
وإذا كان الرجل العربي مشغولاً بحب الغزل لأنه صافي الذهن ، متوقد الطبع ، رقيق العاطفة ، فالمرأة العربية أكثر شغفاً به ، لأنها أكثر صفاء وأشد توقداً ، وأقوى حساسية . لذلك كن يستمعن إلى شعر الغزل ، يتذوقونه ويندارسنه كما يتدارسه الرجال .  
هذه عائشة<sup>(١)</sup> بنت طلحة بعد أن تأيّم ، كانت تقيم بمكة سنة وبالمدينة سنة وتخرج إلى مال لها عظيم بالطائف ، وقصر كان لها هناك ، فتتزه فيه وتسمع إلى النُميري حيث بنشدها الكثير من أشعار الغزل .

(١) الأغانى ج ٦ ص ٢٠٣

(٢) مات عنها زوجها ولم تتزوج سواه .

وهند<sup>(١)</sup> والرباب خرجتا إلى متنزعهما بالعقيق وبينما هما تتحدثان إذ أقبل خالد القسري فنياه الأمانى إذا هو أحضر عمر بن أبى ربيعة، وكان أن حضر عمر وجلس بتحدث إليهن وإلى سائر النساء فى هذا المكان وينشدن من شعره الغزلى حتى المساء . وغاصرة<sup>(٢)</sup> أم ولد لبشر بن مروان كانت بالمدينة وقد مر بها السائب راوية كثير، ولما عرفت أنه من أهل الحجاز سألته : هل يروى لكثير شيئاً ؟ قال : نعم . قالت : أما والله ما كان بالمدينة من شىء هو أحب إلى من أن أرى كثيراً، وأسمع شعره . وفى نهاية الخبر رغبت إلى كثير وكان مع السائب أن يخرج إلى العراق، ويلقى بشر بن مروان، وتضمن له إن فعل مائة ألف درهم . ثم أعطته عشرة آلاف درهم وأعطت السائب خمسة آلاف درهم .

وهذه<sup>(٣)</sup> عنيزة بنت سرحبيل يلتقى بها امرؤ الغيس مع صاحبات لها من نساء العرب ويختمن به بعد أن تركن غدِير « دارة جلجل » وفى هذا المجلس كان طعام، وكان شراب، وكان حديث لهو وغزل ومجون .

ورى المرأة العربية تعرى الشاعر العربى بشتى الوسائل حتى يكون لها الخطوة فى أن يشبب بها، وأن ينفل الشعر إلى أسمع الناس وأفئدتهم اسمها وذكرها . كانت بمَلِّ<sup>(٤)</sup> امرأة ينزل بها الناس فنزل بها رجلان من قريش، كما نزل نصيب الشاعر . أما القرسيان فقد أعطياها جزاء نزولها مالا . ولم يكن مع نصيب شىء، فقال لها : احتارى إن شئت أن أضمن لك مثل ما أعطيك إذا قدمت ، وإن شئت فلت فيك أيباناً نفعك . قالت : بل الشعر أحب إلى فقال : —

الأحى قمل البين أم حبيب      وإن لم تكن منا غداً بفريب  
لئن لم يكن حبيبي حباً صدفته      فما أحد عندي إذاً بحبيب

(١) الأغاني ج ١٩ ص ٥٦  
(٢) الأغاني ح ١١ طبعة قس ٥١  
(٣) آداب اللغة العربية ج ١ ص ١٠٤  
(٤) الأغاني ح ١ ص ٣٤٦

تَهَامٍ<sup>(١)</sup> أَصَابَتْ قَلْبَهُ مَالِيَةٌ غَرِيبُ الْهَوَى، يَأْوِيحُ كُلَّ غَرِيبٍ  
 وَحَجَّتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(٢)</sup> بِنْتُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ وَزَوْجَةَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ  
 فَأَرْسَلَتْ إِلَى كَثِيرٍ وَإِلَى وَضَّاحِ الْيَمِينِ أَنْ يَنْسَبَا بِهَا . أَمَّا كَثِيرٌ فَقَدِ هَابَ الْأَمْرَ وَخَافَ  
 مَغْبَتَهُ ، فَلَمْ يَشِبْ بِهَا بَلْ شَبَّ بِجَارِيَتِهَا غَاضِرَةَ فَقَالَ :

شَجَا أَطْعَانَ غَاضِرَةَ الْغَوَادِي      بَعِيرَ مَشُورَةَ ، عَرَضًا فَوَادِي  
 أَغَاضِرَ لَوْ شَهِدْتَ غَدَاةَ بَنَاتِمُ      حُنُوءَ الْعَائِدَاتِ عَلَى وَسَادِي  
 أَوَيْتَ<sup>(٣)</sup> لِعَاشِقٍ لَمْ تَشْكُبْهُ      بَوَاقِ دِدَةٍ تَدْعِي كَالزَّبَادِ  
 أَمَا وَضَّاحٌ فَانْسَبْ بِهَا فَبَلَغَ ذَلِكَ الْوَلِيدُ فَطَلَبَهُ فَقَتَلَهُ . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى جَفَاهُ وَدَبَّرَ  
 فِي قَتْلِهِ .

كَمَا حَجَّتْ عَاتِكَةَ<sup>(٤)</sup> بِنْتُ مَعَاوِيَةَ ، وَبَيْنَمَا كَانَتْ بِمَكَّةَ بَنَدَى طَوَيْ ، وَقَدْ اشْتَدَّ الْحَرُّ  
 وَانْقَطَعَ الطَّرِيقُ ، فَكَشَفَتْ وَجْهَهَا — مَرَّ بِهَا أَبُو ذَهَبِ بْنِ الْجَمْحِيِّ فَوَقَّفَ طَوِيلًا يَنْظُرُ  
 إِلَيْهَا ، وَإِلَى جَمَالِهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ عَنْهُ ، وَقَالَ فِيهَا بَضْعَةٌ مِنْ أَمْثَلِ شَاعَتِ بِمَكَّةَ ، وَغَنَى فِيهَا الْمَغْنُونُ  
 حَتَّى سَمِعَتْهَا عَاتِكَةُ إِسَادًا وَغَنَاءً فَأَعْجَبَتْهَا ، وَبَعَثَتْ إِلَيْهِ بِكَسْوَةٍ .

وَلَدُنَاكَ نَرَى نِسَاءَ الْعَرَبِ يَبْكِينَ شَاعِرَ الْغَزْلِ إِذَا مَاتَ بِكَاءٍ مَرًّا ، لِأَنَّ فِي مَوْتِهِ  
 خَسَارَةً لَا تَعْدِلُهَا خَسَارَةٌ . فِي مَوْتِهِ خَسَارَةٌ هَذَا الْغَزْلُ الَّذِي كَانَ لِهَوَاؤِ الْهِنِّ وَمَتَاعِهِ ، وَكَانَ  
 وَصْفًا لِلْحَاسِنِينَ ، وَإِشَادَةً بِمَا وَهَبَ اللَّهُ مِنْ حَسَنِ وَجَمَالٍ . ثُمَّ كَانَ تَصْوِيرًا لِعَاطِفَتِهِمْ  
 وَشَعُورِهِمْ . نَصُورًا لِلْأَحَادِيثِ وَمُحَافَلَةٍ . كَانَ صُورَةً مِنْ صُورِ الْحَيَاةِ ، تَمَثَّلُ مِنْ أَصْدَقِ  
 تَمَثِيلٍ فَكَيْفَ لَا يَحْزَنُ عَلَى هَذَا الشَّاعِرِ ؟ وَكَيْفَ لَا يَبْكِيهِ ؟ وَكَيْفَ لَا يَطْلُبُنِ مِنَ اللَّهِ  
 ضَارِعَاتٍ خَيْرَ عَوْضٍ وَبَدِيلٍ .

مَاتَ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فَبَكَاهُ نِسَاءُ مَكَّةَ بِكَاءٍ شَدِيدًا ، وَقَالَتْ إِحْدَاهُنَّ :

(١) نسبة إلى تهام . وقيل «تهام» وهو عندي أحسن (٢) الأغانى ج ٦ ص ٢٢١  
 (٣) أي رثيت له وأشفت عليه (٤) الأغانى ج ٧ ص ١٢١

من لمكة<sup>(١)</sup> وشعابها ، وأباطحها ، وزهها ، ووصف نساءها وحسنهن وجمالهن  
ووصف ما فيها ! ففيل لها :

خفّضى عليك فقد نشأ فتى من ولد عثمان رضى الله عنه — أوى العرجى —  
بأخذ مأخذه ويسلك مسلكه . فقالت - أسدوى من شعره . فأنشدها ، فسحت  
عينها ونكتت وقالت : — الحمد لله الذى لم يُصَيِّع حرّمه .  
ومات كثير كما مات عكرمة وولى ابن عباس فى يوم واحد .  
فالوا :

فاجتمعت فرّيس فى جنازة كثير ولم يوجد لعكرمة من يحمله .  
وفالوا :

وغلب النساء<sup>(٢)</sup> على جنازة كثير بيكينه ، ويذكرون عذرة فى نذبتن له . وأقبل  
محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب يشق طريقه ويضرب السادات بكمه ،  
ويقول : تنحين يا صواحبات يوسف ، فانتدبت له امرأة منهن . فقالت يا بن رسول الله  
لقد صدقت . إنا لصواحبات يوسف ، وقد كئنا له خيراً منكم له . وأوصى محمد بعض  
مواليه أن يجيئه هذه المرأة بعد انصرافه . فأتى بها وقال لها محمد أنت القائلة : إنك  
ليوسف خيرٌ مما . قالت : نعم ! نؤمننى غضبك يا بن رسول الله ؟ قال : أنت آمنة من  
عضبى فأينى . قالت : نحن يا بن رسول الله دعونا إلى اللذات من المطعم والمشرب والتمتع  
والتنعم ، وأنتم معاشر الرجال أقيتموه فى الجب ، وبعتموه بأبخس الأثمان وحبستموه  
فى السجن ! فأيننا كان عليه أحنى وبه أرأف ؟ فقال محمد : لله درك ! ولان تغالب  
امرأة إلا غلبت .

وحين مات مجنون بنى عامر فالوا :

(١) الأغانى ج ١ ص ٢٨٧

(٢) الأغانى ج ٩ ص ٣٧

لم تبق فتاة<sup>(١)</sup> من بنى جمدة ولا بنى الحريش إلا خرجت حاسرة صارخة عليه تندبه . واجتمع فتيان الحى يبكون عليه أحر بكاء ، وحضرهم حى ليلي معزين وأبوها مهم فكان أشد القوم جزعا وبكاء عليه ، وجعل يقول : ما علمت أن الأمر يبلغ كل هذا ، ولكنى كنت امرأة عربياً أخاف من العار ، وقبح الأحداث ما يخافه مثلى ، فزوجتها ، وخرجت عن يدي ، ولو علمت أن أمره يجرى على هذا ما أخرجتها عن يده ، ولا احتملت ما كان علىّ في ذلك .

فالوا : وما رؤى يوم كان أكثر باكية وبا كيا على ميت من يومئذ .  
وكذلك فعل النساء حين مات جميل .

نعاه الناعى بهذه الأبيات التى فالها جميل وهو بلفظ النفس الأخير :

صدع<sup>(٢)</sup> النَّعْبَى وَمَا كُنَى بِجَمِيلٍ      وَثَوَى بِمِصْرٍ ثَوَاءً غَيْرِ قُفُولٍ  
وَلَقَدْ أَجْرَ الذَّبَلِ فِي وَادَى الْقُرَى      نَشَوَانٍ بَيْنَ مِزَارِعٍ وَنَحِيلٍ  
فَوَى بَثِينَةً فَاثِدْبَى بِعَوَيْلٍ      وَابْكِي خَلِيلَكَ دُونَ كُلِّ خَلِيلٍ  
وما سمعت بئينة نعى الناعى حتى أتته حزينه باكية القلب ، وقالت : —  
يا هذا والله لئن كنت صادقاً لقد قتلتنى ، ولئن كنت كاذباً فضحتنى .

وكان صادقاً إذ أخرج إليها حلتها فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها ، وصكّت وجهها ، واجتمع نساء الحى يبكين معها ويندبنه .

وفى هذا تقول بئينة :

وَإِنَّ سَاوَى عَنِ جَمِيلٍ لَسَاعَةً      مِنَ الدَّهْرِ مَا حَانَتْ وَلَا حَانَ جِئِهَا  
سِوَاءَ عَلَيْنَا يَا جَمِيلُ بِنِ مَعْمَرٍ      إِذَا مِتَ بِأَسَاءِ الْحَيَاةِ وَلِيئِهَا

وهذه طائفة من الأقوال والأمثلة والآراء تبين أيضاً مدى شغف العرب بالفرز :

(١) الأغاني ج ٢ ص ٩٠

(٢) صدع : جاهر وصرح

روى أن دخل كعب بن زهير على النبي — ص — قبل صلاة الصبح فمثل بين يديه وأنشده :

بانث سعاد فقلبي اليوم متبول      متمم إثرها لم يُفد مكبول  
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا      إلا أغن غضيض الطرف مكحول  
هيفاء ، مقبلةً عجزاء مدبرة      لا يشتكى قصر منها ولا طول  
وخرج كعب بعد غزله في هذه الأبيات وأبيات أخرى إلى مدح النبي — ص —  
فكساه برداً اشتراه منه معاوية بعشرين ألفاً .

والحسين بن علي بن أبي طالب وقد استشفع به قيس ليتزوج لبني فكان للمحبين شفيماً رحيماً ، وكان أن جمع بين قلبين تحابا وتصافياً ، وقال لقيس حين جاءه : أنا أكتفيك . وقد كفاه فسار إلى أبي لبني ، فلما بصر به وثب إليه ، وقال : يا بن رسول الله ما جاء بك ؟ ألا بعثت إليّ فأنبئتك . ولما كاشفه بما جاء به قال : يا بن رسول الله ما كنا لنعصى لك أمراً . وكان أن قبل أبوها زواجها منه ، ولكن رغب في أن يخطبها أبوه ذريح حتى لا تكون سبة وعار عليهم . فأتى الحسين رضى الله عنه ذريحاً وقومه ، ورغب إليه أن يخطب لبني لابنه قيس فقال :

السمع والطاعة لأمرك ، وتمت هذه الخطبة بين قيس ولبنى بفضل ما فعل الحسين بن رسول الله .

وكثيراً ما كان بنسند شعر الغزل في المساجد ، وفي حضور أئمة العلم والفقهاء والدين ، يسمعون ، ولا يرون في ذلك بأساً .

كان عبد الله بن عباس في المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق ، وناس من الخوارج يسألونه إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة فقال له ابن عباس : أنشدنا ، فأنشده :

أمن آل نعم أنت غاد مُبَكِّرُ      غداة غد أم راحٍ فهُجِّرُ

حتى أتى على آخرها فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال :

الله يا بن عباس !!

إننا نضرب إليك أكباد الإبل من أفاصي الملاد، وسألك عن الحلال والحرام

فتتناقل عنا، ويأتيتك غلام مترف من مترفي قريش فينشدك :

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيخزى ، وأما بالعشى فيخصر

فقال : ليس هكذا ! قال : فكيف قال ؟ فقال : قال :

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت<sup>(١)</sup> فيضحى ، وأما بالعشى فيخصر<sup>(٢)</sup>

فقال : ما أراك إلا وقد حفظت البيت ! فال أجل ! وإن شئت أن أنشدك

التعميدة أنشدتك إياها .

وكثيراً ما نقرأ شعر الغزل لجماعة من رجال الفقه والعلم والقضاء أمثال شريح

القاضي، وعبدالله بن المبارك، وعروة بن أذينة، وعبدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود .

قال عروة بن أذينة :

قالت وأبثتها وجدى وبحت به قد كنت عندي تحت الستر فاستتر

أأنت تبصر من حولى؟ فقلت لها : غطى هوك وما ألقى على بصرى

وقد وقفت عليه امرأة فقالت له : أنت الذى يقال فيك الرجل الصالح ؟

وأنت القائل :

وإذا وجدت أوار الحب فى كبدى غدوت نحو سقاء الماء أبرد

هذا بردت ببرد الماء ظاهره فمن لنار على الأحشاء تنقد ؟ !

والله ما قال هذا رجل صالح !

فالوا : كذبت عدوة الله عليها لعنة الله . بلى . لم يكن مرثياً ولكنه كان

مصدوراً فنفت !



شغف العرب بالعزل وفاض به الشعر ، وآزره الملوك والأمراء والحكام ، وأثابوا عليه ورأوا فيه صفلاً للهموس وتهديبا للبيضان ، فأشاروا على المؤذنين أن يرووه لأولادهم ، حتى تعذب ألسنتهم ويرق إحساسهم . ثم لم ير فيه الدين ناساً إذا كان عمماً بريئاً ، فقد سمعه النبي ، وقد أنشدوه في بيوت الله ، وقد أصعبى إليه جمهرة من رجال الفقه والدين ، ورأبنا أن جاننت صدور بعضهم بتقليل منه .

ولكننا مع هذا نقرأ في بعض شعر العرب ، ويرى من بعض أعمال ملوكهم وخلفائهم ما لا يدل على هذا الشغف الذي تحدثنا عنه :

قال معاوية<sup>(١)</sup> لعبد الرحمن بن الحكم :

يأخى إناك شهرت بالشعر فإناك والشيب بالساء . فإناك تعز الشريمة في قومها  
والعفيفة في نفسها . والهجاء . فإناك لا نعدو أن تعادى به كريماً أو تستشير به لثيماً .  
ولكن احتر ببت قومك ، وقل من الأمثال ما توجر به بمسك ، ونؤدب به غيرك .  
وقال عبد الملك بن مروان انصت الشاعر . أنشدني ، فأنشده قصيدته

التي يقول فيها :

وَمُضْتَرُّ الكَسْحِ يطويه الضجيجُ ، طيَّ الحَمَائِلَ لا جافٍ ولا فقيرٍ<sup>(٢)</sup>

فقال له عبد الملك : يا أصيب ، من هذه ؟ قال : بنت عم لي نوبية لورأتها

ما شربت من يدها الماء .

فقال له : لو غير هذا قلت لصرت الذي في عيبك .

ونهى المهدي بشاراً عن العرب وأبدره بالمرت إن لم يكف عنه وفي ذلك

يقول بشار :

يا منظرا حسنا رأته من وجه جارية فديته

بعثت إلى تسومني برد الشام وقد طوينه

(١) الأغاني ج ١ ص ٣٥١ (٢) نهر : اشكي «هارة

والله رب محمد ما إن غدرت ولا نويته  
 أمسكت عنك وربما عرض البلاء وما ابتغيته  
 إن الخليفة هد أبي وإذا أبي شيئاً أبتته  
 ومخضب رحص البنا ن بكى على وما بكيته  
 ويشوقني بيت الحبيب إذا ادكرت وأين بيته  
 قام الخليفة دونه فصبرت عنه وما قليته  
 ونهاني الملك الهمام عن النساء وما عصيته  
 لا بل وفيت فلم أضع عهداً ولا رأياً رأيتته

قالوا :

وضرب المهدي أبا العتاهية بسبب عشقه « عتبة » وفي ذلك يقول  
 أبو دحمان الشاعر :

لولا الذي أحدث الخليفة في العش ساق من ضرهم إذا عشقوا  
 لبحت باسم الذي أحب ولكى نى امرؤ قد ثناني الفرق  
 ودخل النصيب على عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة فقال له :  
 إيه يا أسود ! أنت الذي تشهر النساء بنسيبك . فقال إني قد تركت ذلك يا أمير  
 المؤمنين ، وعاهدت الله ألا أقول نسيباً .  
 وكان قد نسك فأنى عليه القوم وقالوا فيه قولاً جميلاً .  
 فقال له : أما إذ أنى عليك القوم فسل حاجتك .  
 فقال : يا أمير المؤمنين - لى بنيات سويداوات أرغب بهن عن السودان ، ويرغب  
 عنهن البيضان فإن رأيت أن تفرض لهن فافعل . ففعل .  
 فكيف السبيل إلى التوفيق بين ما ذكرنا وهذه الآراء والأقوال ؟

يقول الأستاذ العقاد<sup>(١)</sup>:

- ° إن شعر بشار هو شعر المتحدثين والمتحدثات في مجالس اللهو والفراع ، فهو مادة الحديث في تلك المجالس ومادة الحديث عنها ، وهو وسيلة الإغراء بها، ورسول الدعوة إليها. ومن هنا كان إغراؤه بالفساد ومحاكاة ما يتخيله ويرويه بين الظرفاء والظريقات . أما شعر كثير وأمثاله فهو كالرسالة الخاصة من رجل واحد إلى امرأة واحدة ، وهو وإن أغرى بشيء فلا يغرى المرأة بأن تذهب إلى ملاقة الرجال الكثيرين والنساء الكثيرات ، ولكنه يغريها بعلاقات قلبية كالعلاقة بين كثير وعزة ، وجميل وبثينة ، وعروة وعفراء ، وقيس ولبنى ، وليس هذا مما يدفع العاشقة إلى مجالس الظرفاء والظريقات ، بل لعلة مما يدفع إلى العكوف والاعتزال .
- ويقول<sup>(٢)</sup> الدكتور طه حسين بك :

ومن الغريب أن هؤلاء الشعراء والفلاسفة الذين كانوا يلقون في العصر العباسي ضروباً من الحن تختلف قوة وضعفاً باختلاف الخلفاء والوزراء كانوا محببين إلى هؤلاء الخلفاء والوزراء . فكثير من هؤلاء الخلفاء والوزراء كان يجب شعر بشار ويولد شعر أبي نواس ، ومع ذلك فقد ضرب بشار حتى مات ، وحبس أبو نواس في عصر الرشيد ، كما حبس في عصر الأمين ، ولو أدركه المأمون لقتله ولو كان إعجاب المأمون بأبي نواس شديداً جداً .

ومصدر هذا التناقض في سيرة الخلفاء والوزراء مع الشعراء والفلاسفة أن هؤلاء الخلفاء ومشيرهم كانوا يحبون حياتين مختلفتين : حياة للشعب يحتفظون فيها بجلال الدين ومجده وعظمة الخلافة وقوتها السياسية ، فهم من هذه الناحية محافظون . وحياة لأنفسهم وللصائم في القصور ومن وراء الحجب يتركون فيها لأنفسهم حريتها الفطرية ، فيلهون ويلعبون ، وينادون ويشربون ، ويقترفون ضروباً من الآثام .

(٢) حديث الأربعاء ج ٢ ص ١٣

(١) شاعر الغزل ص ٧٩

وفي رأي أن العزل البرى، حسن وجميل . ومروءة في كثير من الشعر العربي ، حتى من غير العذر بين .

ولم يعرض أحد لهذا بالتدح ، أو الذم . أو التجريح . فهو إما أن يكون رسالته بين فامين ؛ نمثل فيها الإخلاص ، والوفاء ، وصفاء الروح ، وطمهارة القلب .

وأكرم بهذا من مثل طيبة ، ومن صفات نبيلة ! وهو إما أن يكون صورة للخيال الفسيح ، والمعنى الدقيق ، واللفظ العذب . وأكرم بهذا من فن ! له روعته وتأثيره . أما العزل المالحن ، الذى يثير الشهوة ، ويتحرك له العاطفة الجارحة ، فهو المقصود بهذا النهى ، والذم ، والتجافى .

وقد يؤكد هذا المعنى أننا نعرف فى شعر بشار ، وفى شعر أبى نواس لربنا ، بن الغزل المالحن . وهذا سر ما أصابهما بن حرج ، وعنت ، وتضييق . على أن شعرهما ليس كله فى العزل المالحن ، حتى يكون كله ذمياً فى أعين الناس ، وفى أعين الحاكمين . بل فى شعرهما معاني أخرى ، وأخيلة أخرى ، هى حسنة فى عيوننا ، كما كانت حسنة فى عيون هذا العصر الذى عاشنا فيه . ولا أعتبر هذا مناقضاً فى حياة هؤلاء الحكام .

إن اختلاف الحكم على بشار وأبى نواس ، والإعجاب بشعرهما تارة ، والإعراض عنه طوراً ليس باعثه تناقض سيرة الخلفاء . يحنظون بجلال الدين ، ويحد الخسافة ، فيصيقون على بشار وأبى نواس . ويخاون إلى أنفسهم ، ويتركون لها حرتهما ، فيروقههم شعر بشار وأبى نواس . ولكن باعثه لون الشعر . فإن كان ماجناً فاجراً كرهوه ، ودموه ، كما نكرهه الآن ونذمه . وإن لم يكن كذلك أحبوه ، وارتضوه ، كما نحبه الآن ونرتضيه .

# الباء بالراء

## أثر الغزل

أعله بان لك فيما نقدم مدى شعف العرب بالغزل ، وأنهم جروا على سننه منذ  
البداءة ، وطال فائماً بينهم في عصر يولونه مريداً من العناية وحسن التفدير .  
أنشدوه في بيوت الله وامتدحوه بمثل هذه الأقوال التي قدمت شرطاً منها لطائفة  
من رجال العلم والعفة والدين .

ولا يخفى ما في الغزل من آثار كريمة تهذب النفس ، وتصقل الحس ، وتوظف  
الهمم ، وسعت المروءة . كما لا يخفى أن بعض الملوك والحكام والأمراء اتخذوا الشعر ،  
ومنه الغزل ، أداة صالحة لترسية أبنائهم ، وتزويدهم بهذه الآثار .

كان ذو الرياستين<sup>(١)</sup> يبعث مولى له وأحدانا من أهله إلى شيخ عالم بخراسان ،  
له أدب وحسن معرفة بالأمر ، فقال لهم يوماً : أنتم أدباء وقد سمعتم بالحكمة ، ولكم  
حداء وعم قال : فهل منكم عاشق ؟ قالوا : لا ، قال : اعشتموا ، فإن العشق يطلق  
اللسان ويفتح جيبلة البليد والبجيل وبعث على التلطف ، وتحسين اللباس ، وتطبيب  
المطعم ، ويدعو إلى الحركة والذكاء وتشريف الهممة .

وقال ذو الرباستين إن بهرام جور كان له ابن وكان يرشحه للأمر من بعده ،  
ولكنه نشأ ناقص الهممة ، سافط المروءة ، حامل النفس ، سيء الأدب ، فغمه ذلك ، فوكل به  
من المؤدبين والمنجمين والحكماء من بلازمه ويعلمه ، وكان يسألهم عنه ، فيحكون له

(١) المستطرف ج ٢ ص ١٣٥

ما يغمه من سوء فهمه ، وقلة أدبه ، إلى أن سأل بعض مؤدبيه يوماً فقال له المؤدب :  
 قد كنا نخاف سوء أدبه ، فحدث من أمره ما صيرنا إلى الرجاء في فلاحه . قال :  
 وماذا الذى حدث ؟ قال : رأى ابنة فلان الرزبان فعشقتها فغلبت عليه فهو لا يهدأ  
 إلا بها ، ولا يتشاغل إلا بها .

قال بهرام : الآن رجوت فلاحه .

وقال <sup>(١)</sup> الرشيد يوماً لجلسائه : أنشدونى شعراً حسناً فى امرأة خفزة كريمة .  
 فأنشدوا وأكثروا . ثم أنشده ابن مصعب قول محمد بن بشير الخارجى :  
 بيضاء خالصة البياض كأنها قمر توسط جُحج ليل مبرد  
 موسومة بالحسن ذات حواسد إن الحسان مظنة للحسد  
 فقال الرشيد : هذا والله الشعر . لا ما أنشدتمونيه سائر اليوم ، ثم أمره مؤدب  
 ابنه محمد الأمين وعبد الله المأمون فرواها الأبيات .

ورأى <sup>(٢)</sup> سعيد بن مسلم ابناً له قد شرع فى رقيق الشعر وروايته فأنكر عليه ،  
 فقيل له : إنه قد عشق . فقال دعوه فإنه يلفظ ، وينظف ، ويظرف .  
 وسئل <sup>(٣)</sup> أبو نوفل هل يسلم أحد من العشق ؟ فقال : نعم ، الجاف الجافى الذى  
 ليس له فضل ولا عنده فهم . فأما من فى طبعه أدنى ظرف أو معه دماثة أهل الحجاز  
 ورقة أهل العراق فهيات !

ولم كان للغزل هذه المنزلة الرفيعة ؟

الغزل ضرب من ضروب الشعر يحمل اللفظ العذب ، والمعنى الشائق ، والخيال  
 الرائع . وفى ذلك خير للأدب ومنتعة للأدباء .

(١) الأغاني ج ١٤ طبعة وديعة ص ١٥٣

(٢) زهر الآداب ج ٤ ص ٨٩

(٣) نهاية الأرب ج ٢ ص ١٣٩

والغزل يمثل المرأة ، ويصفها ، ويحدثنا عن حسنها وجمالها . والمرأة زينة الحياة  
وبهجتها ، فالحدث عنها لذيذ ، ووصفها حلو جميل .  
يقول الدكتور أحمد ضيف<sup>(١)</sup> :

إن النساء منبع من منابع الشعر ، والشعراء مدبنون لهم بأفضل الصفات لديهم ،  
وهي وصف شعور الناس . والشاعر الذي يشعر بالحب لا يتكلم عن نفسه فحسب وإنما  
يجمع آلام العشاق وأنينهم فيتألم ويئن معهم . ولبس أعذب من هذه الآلام ولا أحب  
إلى النفس من سماع هذا الأنين . إن الشاعر يصوغ بكلماته اهتزازات القلوب ، ورنات  
ما يجول بها من المعاني ليدفعها إلى النفوس فتصبو إليها ويدفعها بين العشاق ، فيرى  
كل قلبه ، وكأنه بنظر في مرآة يرى فيها صورته . وذلك لا يكون إلا في الشعر .  
وإذا كنا نجد في الشعر ما يروّح عن أنفسنا ، ويذهب عنها عناء العمل ، وأعباء  
الحياة فإن للغزل في الترويح عن النفس حظاً عظيماً لا يعدله حظ المدح أو الهجاء  
أو الوصف أو الحماسة أو الأدب أو الرثاء .

والحياة ثقيلة الأعباء ، والأعمال كثيرة الأشواك . وما أحوجنا إلى ما يذهب  
عنا الهم والحزن ! .

على أن الباحث المدقق حين يقرأ شعر الغزل ، وحين تتأثر عاطفته بما يحوى  
من آيات الحب والهوى قد يرى فيه لوناً آخر من ألوان الجمال .  
يرى أمثلة حية لرفة الحس ، وحدة الذهن ، والتضحية ، والطموح ، والوفاء ،  
والصبر .

وإليك البيان :

# الفصل الأول

## رقة الحس

ليس من شك في أن الغزل لعة القلوب. لذلك كان الغزل يناجى القلوب، وكانت القلوب تهفو إليه وتصبو .

لا أريد هذه القلوب القاسية التي لا تحركها إلا المادة ، ولا يثيرها إلا روح الانتقام، بل أريد القلوب الحية الطموحة التي ترى الجمال أبناً كان نوعه ، فتهتبه وترنو إليه . إن الله قد وهب للمرأة جمالا فائتاً ، وخلق لنا قلوباً . فكيف لا تتفتح لما وهبه الله ؟ .

إن من شأن القلوب أن ترق وتلين .

إن من شأن القلوب أن تعجب ونطرب .

فكيف بها أمام المرأة ؟ أمام فتنتها وزينتها . أمام دهلها وجمالها !

إنها لاشك ترق إليها ، وتعجب بها ، وقد ينقلب الإعجاب إلى حب وعشام .  
والمرأة رقيقة لينة .

والرجل حتى يستحوذ على لها وهوها لا بد أن يكون مثال الرقة واللين .

والمرأة ذات تجنّ ودلال :

تهجر الرجل وتطلب أن يسعى إلى ودّها .

وتظلم الرجل وتطالب أن يعترف أنه المذنب الملوّم .

وتسىء إلى الرجل ولا تعترف أنها أساءت .

وتقسو على الرجل ولا تعترف أنها قست .

والرجل أمام هذا كله لا بد أن يكون مرهف الحس صافي القلب .

فإذا حدثها كان عذب الحديث .



وإذا ناجاها كان رقيق النجوى .  
 يبثها حزنه وآلامه ، في قوة وروعة تأثير .  
 يتوسل إليها بماء العيون وحمقات القلوب .  
 لا يشكو منها آلاماً ، فهي لا تبعث الآلام !  
 ولا ينسب إليها ذنباً ، فهي لا ترتكب الذنوب .  
 ولا يرد إليها قولاً ، فهي ذات الحول والسلطان !  
 ألا ترى في هذا كله الحس الرفيق ، والطبع الصافي ؟ .  
 بلى .

تصفح أحوال المحبين واحدة واحدة . فإنك ترى في كل حال أمثلة للرقعة واللين  
 والمودة والرحمة .

واقراً غزل المحبين . فإنك ترى كيف يكون الرجل حين يتحدث إلى حبيبته ،  
 وحين بناجى طيفها وحيالها . وحين يشكو إليها حرفة الحب ولوعة المراقى . بل حين  
 تتفرح العيون ، وتصفر الوجوه ، وتذبل الأجسام .  
 ترى ذلك كله ويروقك ما ترى ، وتتمنى أن تكون بين المحبين ، حتى تكون  
 لك هذه العاطفة الرقيقة ، وهذا القلب النقي الصافي .

وقد مر بك أن بعض الناس ينتقصون الحب لما فيه من سهاد وبحول ، وحيرة  
 وقلق ، وحزن وآلام . ولا يخفى أن هؤلاء على جانب من الغفلة والجهل ، فإن هذه  
 العيوب التي تنتقصونها بها الحب هي في الحقيقة من حسامته ومحامده ، فهي مظهر  
 من مظاهر العاطفة ورقعة القلب .

وماذا نكون الحياة إذا خلت من العاطفة والقلب ؟ .

للحياة مظهران يسعى الناس جاهدين إليهما : مظهر المادة ، ومظهر الروح . وكلما  
 تسامى الناس وتصافت نفوسهم كانوا أقرب إلى مظهر الروح . فلم لا تكون هذه

الأحوال بين المحبين مظهراً من مظاهر الروح ؟ . وهو الذى ينشده كثير من الناس  
 فلا يجدونه ، وقد وجده المحبون ونعموا به ، وإن جرّ عليهم ألواناً من النعمة والعذاب .  
 وصدق بشار إذ يقول :

فقلت: دعوا قلبي وما اختار وارتضى      فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب  
 فما تبصر العينان في موضع الهوى      ولا تسمع الأذنان إلا من القلب  
 وما الحسن إلا كل حسن دعا الصبّا      وألّف بين العشق والعاشق الصّبّ  
 ثم تعال لننظر من أحوال المحبين ومن غزل المحبين :

كان الصيد عادة من عادات العرب يتخذون منه أداة للنسلية ، وسبيلا للحصول  
 على الغذاء . وكثيراً ما كانوا يصيدون الطباء . ولكننا نرى كثيراً من المحبين يطلقون  
 سراحها ، ويفكرون فيودها ، فقد عرفوا في الحب مرارة الأسر والضيق ، فكانوا مثال  
 الرحمة والحنان ، ثم عرفوا في الحب قيمة الحسن والجمال ، وفي الطباء عيون تشبه عيون  
 الحبيب ، ومن أجل هذه العيون تكرم العيون جميعاً ، فلا يصيب أصحابها ذل وهوان .  
 قالوا :

مر الجنون<sup>(١)</sup> برجلين قدصادا ظبية ، فربطها بحبل وذهب بها ،  
 فلما نظر إليها وهى تركض فى فيود من الجبال دمعت عيناه ، وقال لهما :  
 حُلّاها ، وخُذا مكانها شاة من غنمى ، فأعطاها ، وحلّاها فولّت تعدو هاربة  
 وفى ذلك يقول :

أيا شبه ليلي لا تُراعى فإننى      لك ، اليومَ من وحشية لصديق  
 ويا شبه ليلي لو تلبّنت ساعة      لعلّ فؤادى من هواه يُفسيق  
 تفرّ ، وقد أطلقتها من وثاقها      فأنت لليلي ، لو علمت ، طليق

(١) الأغاني ج ٢ ص ٨١

وخرج الوليد<sup>(١)</sup> يتصيد ذات يوم فصادت كلابه غزالا فأتى به ، فقال خلوه ،  
فما رأيت أشبه منه جيدا وعينين بسامى ، ثم أنشأ يقول :

واقصد صيدنا غزالا سانحاً      قد أردنا ذبحه لما سنح<sup>(٢)</sup>  
فإذا سبهُك ما ننكره      حين أزعجى طرفه ثم لمح  
فتركناه ، ولولا حبكم      فاعلمى ذلك لقد كان انذبح  
أنت يا ظبي طليق آمن      فاعد في الغزلان مسرورا وروح

وكان لكثير<sup>(٣)</sup> غلام تاجر فباع من عنزة بعض سلعه ، ومطأته مدة ، وهو  
لا يعرفها فقال لها يوماً : أنت والله كما قال مولاي : —

قضى كل ذي دين فوق غريمه      وعنزة تمطول مُمسى غريمها

فانصرفت عنه خجلة — فقالت له امرأة — : أتعرف عنزة ؟ قال : لا والله .

قالت : فهذه والله عنزة . فقال : لا جرم والله لا آخذ منها شيئاً أبداً ولا أفتنضيها .

وعرف كثير الخبز فرق لرقته ، وجازاه على إحسانه فأعتقه . ووهب له المال الذي

كان في يده .

يقولون : لا يعرف الشوق إلا من يكابده .

وقد عرف المحبون الشوق لأنهم كابدوه ، وذاقوا حلوه ومره ، فأكرم بعضهم

بعضاً ورحم بعضهم بعضاً .

كم رأينا أنهم يجتمعون ويتحدث بعضهم إلى بعض فيذكرون ما يقع بينهم وبين هوى

نفوسهم ؟ فإن كان خيراً طربوا له وفرحوا به ، وإن كان بؤساً بكتته العيون وتنفطرت له القلوب .

قال العباس بن الأحنف :

رق قلبي لأهل العشق إنهم      إذا رأوني وما ألقى يرقبوا

(١) الأغاني ج ٧ ص ٤٨

(٢) بهال سنح الطائر أو غيره : أتى من يعينك إلى يسارك .

(٣) الأغاني ج ٩ ص ٢٨

وكم رأينا ما فعله كثير حين كان يرسله جميل إلى حبيبته بثينة ليأخذ منها موعداً  
أو بائناً ما في نفسه من حب وهيام . والمحب أدرى بما يشجى المحبين .  
وكتبراً ما كانا يلتقيان ويتذاكران النسيب فتسجيهما غصص الهوى .  
التقيا<sup>(١)</sup> ذات مرة فقال كثير : يا جميل أترى بثينة لم تسمع بقولك ؟  
يقميك جميل كل سوء ، أماله      لديك حديث أو إليك رسول  
وقد قلت في حى لكم وصباتي      تحاسن شعر ذكرهن يطول  
بان لم يكن قولى رضاك فعلمى      هبوب الصبايا بن كيف أفول  
فاغاب عن عيني حيالك لحظةً      ولا زال عنها والخيال يزول  
فقال جميل : أترى عزة يا كثير لم تسمع بقولك ؟ .

يقول العدا : يا عزة قد حال دونكم      شجاع على ظهر الطربق مصمم  
فقلت لها : والله لو كان دونكم      جهنم ما راعت فؤادى جهنم  
وكيف يروع القلب يا عزة راع      ووجهك في الظلماء للسفر معلم  
وما ظلمتك النفس يا عزة في الهوى      فلا تنقبي حى فما فيه ممتم  
فالوا : فبكيا قطعة من الله ثم انصرفا .

والتقى عمر بن أبى ربيعة بجميل : فقال له عمر : أنشدنى ، فأنشده :  
حلىلى فيما عشتما هل رأيتما ؟      قتيلا بكى من حب فأنله قبلى  
ثم قال جميل : أنشدنى يا أبا الخطاب . فأنشده :  
ألم تسأل الأطلال والمتربعا      ببطن حليات دوارس بلقعا  
ونرى مثل هذه النجوى بين المحبوتين .

وكأنى بهما نجتعمان فى خلوة من الرقباء ، وفى هدأة من شواغل الحياة ، فتناجى  
كل واحدة الأخرى ، وتحدثها أحاديث الغرام والهوى . ماذا فعل حبيب فلها ؟ ،

وماذا فعلت هي؟ وماذا فال لها؟ وماذا أجابت؟ وماذا كتبت لها؟ وماذا أردت كتابه؟

هذه النجوى أكثر من تلك روعة .

لأنها صورة عن عاطفة المرأة . وهي — كما عرف — قوية ، نائرة ، جامحة .

ثم انظر كيف يكون المحبوب أمام حبيبته .

يقول عبد الله بن طاهر :

نحن قوم نلينا الخدق الثجيل ، على أننا نلين الحديد

طوع أيدي الأطباء تقتادنا المئين وقتاد بالطمان الأسود

تملك الصيد ثم تملكنا الميـض المصونات أعبناً وحدودا

تتقى سخطنا الأسود ونخشى سخط الخشيف<sup>(١)</sup> حين يبدى الصدودا

فترانا يوم الكريهة أحرا ، وفي السلم للفواى عبيدا

ويقول ابن الرومي<sup>(٢)</sup> :

أصحت مملوكاً لأحسن مالك لو كان كليل حسنه إنبجائه<sup>(٣)</sup>

لم يعنه أرقى وفيه لقيته حتى أضر نمتاتي إلحاحه

كلا ، ولا دمعى وفيه سفحته حتى أصر بوجنتى تسفاحه

ويقول يزيد بن الطثرية :

أنا الهائم الصب الذي فاده الهوى إليك فأسمى في حبالك مسلماً<sup>(٥)</sup>

برته دواعى الحب حتى تركه سقيماً ولم يترك لهماً ولا دما

ويقول البحتري<sup>(٦)</sup> :

ألا هل أناها بالمغيب سلامي وهل خبرت وجدى بها وغرامي

وهل علمت أبى ضنيت وأنها شفائي من داء الضنى وسقامي

(١) الخشيف ولد العزال (٢) ديوان ابن الرومي للأستاذ كيلاني ص ٢١٣

(٣) يقال أسجج الرجل: ترفق وسهل ألفاظه (٤) الأعانى ج ٨ ص ١٦٥

(٥) يقال أسلم: انقاد (٦) ديوان البحتري ص ٢٢٢

ومهزوزة هز القضيبي إذا امتت  
أحلت دمي من غير جرم وحرمت  
فداؤك ما ألفيت مني فإنه  
صلى مغرماً قد وائر<sup>(٢)</sup> الشوق دمعته  
ويقول<sup>(٤)</sup> ابن زيدون :

أني تضيع عهدك أم كيف تخلف وعذك  
وفد زأتك الأمانى رِضا فلم تتعدك  
يا ليت شعري وعندي ما ليس في الحب عندك  
هل طال ليلاك بعدى كطول لبلى بعدك  
سأنى حياتى أههبها فلست أملك ردك  
الدهر عبدى لما أصبحت في الحب عندك

فأنت ترى من هذه الأمثلة أن الرجل ضعيف أمام حبيبته ، وإن كان في ميدان  
الوفى بطلا مغواراً ، وأنه عبد ذليل لها ، أصابه بسببها السقم والضى . ومع ذلك فإنه  
يحبها ويهواها ، ومع ذلك فإنه يفديها بما أبقت من حشاشة جسمه ، يهب لها حياتته  
فإنه لا يملك أن يرد لها سؤالاً ، وهى البخيلة المنعّة فى حبه ووصاله .

ليست العبودية عند المحبين عيباً ، يكسر من أنفهم وعزة نفوسهم ، فذل الحبيبية  
لا يفوقه عز السلطان . ألا ترى ابن زيدون يقول وقد أصبح فى الحب عبداً : إنه

ملك الدهر وساد الناس جميعاً ؟

وانظر ما يجرى بين المحبين :

يقول أبو إسحاق الموصلى :

(١) أى يقبه جسم (٢) أى إلى إنزال دمعته (٣) سجع الدمع : سأل .

(٤) بلاغة العرب فى الأندلس ص ٨٢

حدّرت قلبي أن يعود إلى الهوى      لما تبدل بالنزاع نزوعا  
فأجابني لا تخش مني بعدما      أفلت من شرك الغرام وقوعا  
حتى إذا داع دعاه إلى الهوى      أصغى إليه سامعاً ومطيعاً  
كذباًلة أخذتها فكما دنا      منها الضّرام تعلقتّه سريعاً  
ويقول الهذلي :

ويعنى من بعض إظهار ظلمها      إذا ظلمت يوماً وإن كان لي عذر  
مخافة أني قد علمت إذا بدا      لي الهجر منها ما على هجرها صبر  
وإني لأدرى إذا النفس أشرفت      على هجرها ما يباغن بي الهجر  
ويقول<sup>(١)</sup> ابن الرومي .

أبكيتني فبكيت      من غير ذنب جنيت  
وقلت لي امض عني      مصاحباً فمضيت  
ولو أمرت بأن أقضى      الحياة قضيت  
أضعتني فرعيت      وخننتني فوفيت  
أطعت في الأعدى      وكلهم قد عصيت  
ويقول عمر بن أبي ربيعة<sup>(٢)</sup> :

كدت يوم الرحيل أقضى حياتي      ليتني مت قبل يوم الرحيل  
لا أطيق الكلام من شدة الخو      ف ودمعي يسيل كل مسيل  
ذرفت عينها وفاضت دموعي      وكلانا يلسق بلُبِّ أصيل  
ويقول قيس بن ذريح<sup>(٣)</sup> :

وإني لأهوى النوم في غير حينه      لعل لقاء في المنام يكون

(٢) الأغانى ح ١ ص ١٩٥

(١) ديوان ابن الرومي للأستاذ كيلاني ص ٩٢

(٣) الأغانى ح ٩ ص ٢١٤

تحمدني الأحلام أني أراكم  
شهدتُ بأنني لم أحلُ عن مودةٍ  
وأن فؤادي لا يلين إلى هوى  
ويقول جميل<sup>(١)</sup> :

وما زلتُم يا بنن حتى لو اني  
إذا خدرت رجلي وقيل شفاؤها  
وما زادني النَّأىُ المَفرَّقُ بعدكم  
وما رادى الواشون إلا صِباةً  
ألم تعلمي يا عذبة الربق أنني  
لقد خفت أن ألقى المنيّة بعتة  
ويقول وضاح المين<sup>(٢)</sup> :

فالت فزرتنا قلت كيف أزوركُم  
فالت فكُن لعمومتي سَما معاً  
فتزورنا معهم زيارة آمن  
ويقول مرداس بن همام الطائي<sup>(٣)</sup> :

هو يترك حتى كاد يقتلني الهوى  
وحتي رأوا مني أدانيك رقة  
وماذا ترى في هذه الأبيات ؟  
رى بعض أمثلة للرقعة بين الأحباب .

(١) الأعاني ج ٨ ص ١٢٦

(٢) الأعاني ج ٦ ص ٢١٧

(٣) ديوان الحماسة ج ٢ ص ١٦٣



فالقلب الرقيق بلهى دعاء الحبيب ،  
والقلب الرقيق يرضى بظلم الحبيب لأنه يخاف هجرها . وكم فى الهجر من ألم وعذاب !  
والقلب الرقيق يطيع الحبيب مهما كان ظالوما ، ويرعى وده مهما كان  
للعهد خائنا .

والقلب الرقيق يلتمس لحبيبتة المعاذير فيما تقول وتفعل . فهجر الحبيبة فى نظر  
الحبيب تدلل ، وعذاب الحب فى نظر الحبيب ابتلاء .

والقلب الرقيق حين يلم بصاحبه داء يدعو الحبيب فيزول ما به من أوجاع .  
وبعد الحبيب يدكى فى قلبه نار الشوق والحنين ، كما أن كثرة لقائه لا تجعل للملل  
سبيلا إلى نفسه . بل يسعى الوشاة للوقية بينه وبين حبيبته فلا يزيده ذلك  
إلا حبالها وكلفا بها .

يظل طول أيامه لا يطفىء غلة عطشه إلا أن يرى وجهها الضاحك الوسيم . يخاف  
أن يأتية الموت بعتة وفى نفسه حاجة إليها . وما أكثر حاجات المحبين !  
والقلب فى سبيل الحبيب يلطف مع الأخوة ، ويرق للأعمام ، حتى يزورها معهم ،  
وهو آمن مطمئن ، لا يخاف العيون .

بل يكون لئين الجانب مع العواذل والوشاة حتى لا يحولوا بينه وبين الحبيب ،  
حين يود أن يراه وما أكثر ما يود أن يراه ! وإنا لنرى من مظاهر الرقة أن الحبيب  
يضرع إلى حبيبته ويتوسل إليه بما يكتنه قلبه من حب وغرام ، وما يجره عليه هذا الحب  
من آلام وأسقام ، لعل الحبيب يكون رحما شفيقا ، فيجود له بالوصال ، وكم فى الوصال  
من لذة ونعيم ! .

يقول بشار بن برد<sup>(١)</sup> :

يا عبدُ بالله فرجى كُربى      فقد برانى وشفتى نصبى

(١) الأغانى ج ٦ ص ٢٤٨

وضِقتُ ذَرعاً بما كَلِمْتُ به      من حُبِّكم والحَبِّ في تعب  
فقرَّجني كُرْبَةً شَجِيتُ بها      وحرَّ حُزُنٍ في الصدر كاللَّهب  
ويقول :

رفَّهي يا عبد عني واعلمي      أنني يا عبد من لحم ودم  
إنَّ في بردىِّ جسمنا نحالا      لو توكت على لا نهدم  
ختم الحُبُّ لها في عنقي      مَوْضِعَ الخاتمِ من أهل الذم  
ويقول الأحموس<sup>(١)</sup> — في سلامة القس :

أَسَلام هل لمتيم تنويل      أم هل صرمتِ وغال ودكِ غول  
لا تصرِّفي عني دلالك إنسه      حسنٌ لدى وإن بنجات جميل  
أزعمت أن صبابتي أكذوبةٌ      يوماً وأنت زبارتي تعليل

كما نرى من مظاهر الرقة ما يكون بين المحبين من حديث . وحديث المحبين حلو  
لذيذ ، لأنه يترجم عن إحساسهم وشعورهم ، ولأنه يعبر عما تكنه قلوبهم من لوعة  
وحرقة ، وغرام ، وهيام . ولذلك كان الحديث عذبا رقيقا . ولذلك كان عند المرأة فنا  
من فنون الجمال ، رغب فيه المحبون ، وامتدحه شعراء الغزل .

وإني أضرب هنا بعض الأمثلة ، وحين أتحدث في الكتاب الثالث عن شعون  
الغزل وشجونته سترى من الحديث قولا مفعلا :

قال المهذلي<sup>(٢)</sup> :

فإنلنا سقاطاً من حديث كأنه      جنى النحل أو أبقار كرم تقطفُ  
حديثاً لو أن البقل يؤلى بمثله      زها البقل واخضر العِضاهُ<sup>(٣)</sup> المصيفُ  
وقال ابن الرومي<sup>(٤)</sup> :

وحديثها السحر الحلال لو أنه      لم يجن قتل العاشق المتحرز

(١) الأغانى ج ٨ ص ٣٣٧ (٢) البيان والتبيين ص ١٩١ (٣) العضاء : شجر له شوك

(٤) نهاية الأرب ج ٢ ص ٧١

إن طال لم يملل وإن هي أوجزت ود المحدث أنها لم توجيز  
وفال عمر بن أبي ربيعة :

قد دعاني وقد دعا هن للهـ وشجون مهمة<sup>(١)</sup> الأشجان  
فاجتنبنا من الحديث ثماراً ما جنى مثلها لعمر ك جاني  
وفال كثير :

وكنت إذا ماجئت سعدى بأرضها أرى الأرض تطوى لى ويدنو بعيدها  
من الخفرات البيض ود جليسا إذا ما انقضت أحداثه لوتعيدها  
فأنت ترى من هذا كله أن فى شعر الغزل صورة صادقة عن حال المحبوب .  
تنبين فى هذه الحال : كيف يكون الحس المرهف ، والعاطفة الرقيقة ، والطبع  
الصافى ، والقلب النقى ؟

ولم كان الحبيب تروفه الحرية ؟

ذلك لأنه يروقه أن يكون حرّاً طليقاً فى حياة الهوى .

يلقى حبيبته حيث شاء . ويطلب وصلها ورضاها فى كل وقت . ينعم معها  
بالابتناسامة الحاوة ، والحديث العذب . ويكره القيود ، وما أكثر قيود الحب ! :  
فالدلال ، والرحيل ، والمواذل ، والوشاة ، والغيرة ، كل هذه قيود ، بغيضة إلى قلب  
الحبيب ، ثقيلة على نفسه .

ومن هنا كان المحبون أحراراً كراماً ، يبعون كل ما هو حر كريم .

ولم كان الحبيب حاو الحديث ؟

ذلك لأنه يريد كسب الرضا ، وأن يصل إلى القلب ، ويستشير كوامن النفس ،  
وإن يكون كذلك إلا إذا أوتى حسن القول ، وحلاوة الحديث ، ورقة التعبير ،  
وجمال المعنى .

(١) مشيرة الأحزان .

ولم كان الحبيب يقبل ظلم الحبيب ؟

يقبل ظاهها في كل شيء : تسيء فيحسن ، وتصد فيصبل ، وتحنون فيبني .  
ذلك لأن التسول الطيب ، والعمل الطيب يميلان القلوب فترق ، وتصفو .  
وفي ذلك كسب للرضا ، وكسب للوصال .

أرأيت لم كان المحب رفيق العاطفة ، مرهف الوجدان ، طيب الإحساس ؟  
وهل رأبت أن المحبونة لا ترضى من حبيبها أن يكون غليظ القلب ، جافى الطبع ،  
إذن لا نفضت من حوله ، وانقطع ما بينهما من ود ، وعاشا في احتراب ، يولد بينهما  
ألوانا من الشرور والآنام .

وهيهات أن بفوم في هذه الحرب صفاء ، ووفاء !.

## الفصل التانى

### سعة الحيلة

يحدثنا شعر الغزل عن أعمال المحبين ، وهى تتطلب فطنة وذكاء ، وتتطلب حيلة ودهاء ! .

وإذا كانت الحاجة تفتق الحيلة ، كما يقولون ، فما أكثر حاجات المحبين ! .  
هو فى حاجة إلى رضاها ، فليكدح ذهنه حتى ينعم بهذا الرضا .  
هو فى حاجة إلى عفوها ، فليسلك شتى الوسائل حتى يمحو من قلبها آثار الخطيئة والمهجران .

هو فى حاجة إلى أن يلقاها حتى يفوز بلذة اللقاء ، وما يوحيه من حديث ونجوى .  
وما السبيل إلى ذلك ؟  
إن عيون العوازل ترقبه ، وعيون النهار نفضحه ، وعيون الأهل والأقارب تحرسها وترعاها .

فكيف بالمحب أن يفقأ هذه العيون ، وأن يتخطى هذه الأسوار ، وأن يكافح هذه الصعاب ؟

إنها بعيدة الدار . ارتحل بها أهلها ، خوف الفضيحة والعار ، أو انتقل بها زوجها حيث بلده وهو ناء بعيد .

فليرتحل . ولكن كيف الوصول إليها ؟ فليعمل الحيلة حتى يفكر فى طريق الوصول ، ثم فى طريق اللقاء .

وحين اللقاء ، كيف يحذر عيون الرقباء ، وما أكثرها ؟ !

إن للمحبين لغة يعرفونها ويفهمونها ، لغة الحركات والإشارات والغمزات  
واللحظات ، فإذا لم يكونوا أهل فطنة وذكاء ما عرفوا حل هذه الرموز .  
يعيشون حيناً حتى لا يعرف العذول أن هناك قلوباً تخفق بالحب فلا يفضحها ،  
ولكن يمهلهما حتى تنعم بالحب فترة من الزمن ، بل يتجاوزون هذا العبوس إلى اللوم  
والتعنيف ، مبالغة في التخفي والحيلة ، بل يتجاوزونه إلى القطيعة والهجر حتى لا ينكشف  
أمرهم بين الناس .

يقول عمر بن أبي ربيعة :

فما توقفتنا وسلمتُ أشرفتُ  
وجوه زهاها الحسن أن نتقنعا  
تباهنُ بالعرفان لما رأيتني  
وقلن: امرؤ باغ أكل<sup>(١)</sup> وأوضعا  
ويقول العباس بن الأحنف :

الله يعلم ما أردت بهجرم  
إلا مساترة العدو الكاشح  
وعامت أن تسترى وتباعدى  
أبقى لوصلك من دُنُو فاضح  
ويقول :

بالرجال العاشقين توقفا  
وتخاطباً من غير أن يتكلما  
حتى إذا خافا العيون وأشغفا  
جعلوا الإشارة بالأنامل سلماً  
وإنما لئى فى أحوال المحبين وفى أبيات الغزل كثيراً من الأمثلة ، نعرف فيها  
حدة الذهن ، وسعة الحيلة ، وقدرة الفكر والعقل .

نرى أن كثيراً من رجال الغزل يحتالون حين يزورون هوى نفوسهم ، فينكرون  
فى أزيائهم ويفيرون هيئتهم حتى لا يفتضح أمرهم ، وحتى يعوزوا بما يبتغون .  
هذا جميل<sup>(٢)</sup> بن معمر العذرى أتى بشينة ليلا فى ثياب راع لبعض الحى ويتم

(١) أعباه السفر وأسرع فى السير .

(٢) الأغاني ج ٨ ص ١١٣

دارها سائلا ، يتظاهر أمام الناس بأنه يسأل الصدقة والعطاء وكان في الحق يسأل الود والوصال .

انتحى ناحية حيث كانت حبيبة قلبه تكرم ضيفانها ، ولودرت لأسرعت إليه بقلبها . وقد سألته : من أنت ؟ فقال : مسكين ! مجلس وحده ، فعشت ضيفانها وعشته وحده ، ثم جلست هي وجارية لها على صلالتهما واضطجع القوم منتحين .  
وأراد جميل أن يسمعها صوته حتى تعرف أمره .  
فقال :

هل البأس المرقور دانٍ فصطل من النار ، أو مُعطى لحافاً ملبسُ  
فقلت لجاريتها : صوت جميل والله ! اذهبي فانظري . فرجعت إليها فقالت :  
هو والله جميل ! فشقت شهمة سمعها القوم فأقبلوا يجرون ، وقالوا : مالك ! فطرحت برداً  
لها من حبرية في النار وقالت : احترق بردى ، فرجع القوم ، وأرسلت جاريتها إلى جميل  
فجاءتها به ، وجادت له باللقاء .

انظر ماذا فعل جميل ؟ وماذا فعلت بثينة ، وكيف التقيا ؟ .

ألا يدل هذا على ذكاء ، وفطنة ، وسعة حيلة ؟

وكان العرجي<sup>(١)</sup> يحب أم الأوقص . خرج ذات يوم إلى جنبات الطائف متنزهاً  
فبصر بها في نسوة جالسة فعرفها وأحب أن يتأملها من قرب ، فدفعته الحيلة إلى مادمت  
إليه جميلاً إذ رأت أعرابياً ومعه سقاء لبن فرفع إليه العرجي ثيابه وأخذ قعوده ولبنه ،  
ولبس ثيابه وسر قريباً من النسوة ، فصحن به : أمعك لبن ؟ . قال : نعم ، ومال إليهن  
وجعل يتأمل أم الأوقص ، وينظر أحياناً إلى الأرض ، كأنه يطلب شيئاً ، وهن يشربن  
من اللبن ، فقالت امرأة منهن : أى شيء تطلب يا أعرابي في الأرض ؟ ، أضاع منك  
شيء ؟ قال : نعم ، قلبي . فلما سمعت أم الأوقص كلامه نظرت إليه ، وكان أزرق

(١) الأغاني ج ١ ص ٣٩٦

فمرفته . فقالت : العرجى ورب الكعبة ! ووُثبت وسترها نساؤها ، وقلن : انصرف عنا  
لا حاجة بنا إلى لبنك .

فضى منصرفاً وقال فى ذلك :

أقول لصاحبى ، ومثل ما بى      شكاه المرء ذو الوجد الأليم  
إلى الأخوين مثلهما إذا ما      نأوبه مورفةُ الهموم  
لحيفى والبلاء لقيتُ ظُهرأ      بأعلى النقع<sup>(١)</sup> أختَ بنى تميم

ونرى كثيراً من رجال الغزل يحتالون فى سبيل وصال الحبيبة ، فيرسون الرسل  
ويغرونهم بالغريرات ، ویرسون لهم الفكرة الصائبة ، والحيلة البصيرة ، ويطلبون منهم الفطنة  
واليقظة والحذر . وهؤلاء الرسل كم يحتالون ؟ حتى يصلوا إلى ما يريدون .  
انظر وتأمل .

ماذا فعل قيس حتى رأى حبيته لبنى ؟

طالت علة قيس ، وطال عذابه بفراق لبنى . فليطلب الشفاء بالقرب منها .  
ارتحل إلى المدينة وأتى امرأة من موالى بنى زهرة يقال لها - بُريكة - ولم يشأ  
أن ينزل رحله حتى وعده أن تقضى حاجته كائنة ما كانت ، فنزل ودنا منها فقال :

أذكر حاجتى ؟

قالت - إن شئت .

قال - أنا قيس بن دريح .

قالت - حياك الله وقربك ! إن ذكرك الجديد عندنا فى كل وقت .

قال - وحاجتى أن أرى لبنى . نظرة واحدة كيف شئت .

قالت - ذلك لك على .

فأقام عندها فترة من الزمن وأخفت أمره على الناس حتى لا يتكشف السر .

(١) موضع قرب مكة .



وهنا رسماً الخطة ، ودبراً الفكرة ، وأعمالاً الحيلة .

فماذا كان ؟

كان أن زارت بريكة لبني وزوجها ، وكان أن حملت معها كثيراً من الهدايا .  
وكان أن لاطقتها وزوجها بهذا ، حتى يأنس بها ، كما أشار بذلك فوس .  
نفذت بريكة هذه الخطة ، وكانت لبقة فطنة ظريفة ، وأكثرت من الزيارة حتى  
أنس بها زوج لبني .

وحين شعرت بريكة ببارقه الأمل قالت لزوج لبني : اخبرني عنك : أنت خير  
من زوجي ؟ قال : لا . قالت : ولبني خير مني ، قال لها : لا . قالت : فما بالي أرورها  
ولا تزورني ؟ قال : ذلك إليها .

فأنتها ، وسألتهما الزيارة وأعلمتهما أن فيسأ عندها ، فأسرعت لبني إلى أن تلقى  
حبيبها ، وكان ما كان من شكوى وبكاء ، ومن شئون وشجون .  
وأنشدها هذه الأبيات التي فالها في علة فراقها :

أعالج من همسى بقابا حُشاسَة على رفق والعائدات تعود  
وإن ذكرت لبني هَشِشْت لذكراها كما هَش لِالْتُدَى الدَّرور وليد  
أجيب بلبني من دعاني تجلدا وبني زفرات تنجلى وتعود  
وماذا فعل عمر بن أبي ريبة حتى رأى هواه كلثم الخزومية ؟

كانت كلثم<sup>(١)</sup> هذه تضرب رسل عمر وتؤذيهم حتى لا يعودوا إليها . ولكن عمر  
أعمل الحيلة حتى يصل إلى كلثم . ابتاع أمة سوداء . وكانت لطيفة رقيقة ، وأحسن إليها  
وكساها وآسها وعرفها خبره . وقال لها : إن أوصلت لي ربة إلى كلثم فقرأتها فأت حرة  
ولك معشتك ما بقيت . فقالت : اكتب لي مكاتبة<sup>(٢)</sup> واكتب حاجتك في آخرها .

(١) الأمازي ح ١ من ٢٠٤

(٢) أن مكاتب الرجل عنده على مال يؤديه إليه مقطاً فإذا أداه صار حراً .

ففعل ذلك عمر .

وهنا جاء دور هذه الأمة السوداء ، وجاء دور لباقتها وفطنتها وذكاؤها .  
ذهبت واستعانت ببعض بنات جنسها ، ولعلها ذكرت الحرية ، ورق لها قلبها  
حتى أدخلتها على سيدتها كلثم ، وكان أن حادثتها ولأطفتها - وكانت رقيقة في الحديث  
لبقة في الملاطفة دفعت إليها المكاتبة ، وتوسلت إليها أن تقرأها ، وأن يصيبها من هذه  
القراءة خير ، فعاهدتها وأعطتها الكتاب فإذا أوله :

من عاشقٍ صبٍّ يُسِرُّ الهوى	قد شفه الوجد إلى كلثم
رأتك عيني فدعاني الهوى	إليك للحين ولم أعلم
قتلنا ، يا جبذا أنتم ،	في غير ما جرم ولا مآثم
والله قد أنزل في وحيه	مبيناً في آية الحكم
من يقتل النفس كذا ظالماً	ولم يقدها نفسه يظلم
وأنت تارى فتلافى دمي	ثم اجعليه نعمة تُنعى
وحكى عدلا يكن بيننا	أو أنت فيما بيننا فاحكى
وجالسيني مجلساً واحداً	من غير ما عارٍ ولا تحرم
وخبّرتني : ما الذى عندكم	بالله في قتل امرئ مسلم

وكان كلثم حين قرأت هذا الشعر رق قلبها ، ولكن خافت أن يكون من عمر  
ملياً ونفاقاً فدفعت رسوله هذا الظن دفعاً كريماً . قالت : يا مولاتى : فما عليك  
من امتحانه ؟ وما زالت بها حتى أخذت منها موعداً للقاء . وتلاقيا ومكث عندها  
شهرًا لا يدرى أهله أين هو ؟ ثم تزوجها وأنجب منها ولدين أحدهما جُوان .  
فأصبحت حرة طليقة جزاء ما فعلت من حيلة وذكاء وتديير .  
واستطاع عمر بهذا كله أن يصل إلى ما يريد ، وإلى أكثر مما يريد .  
والفضل في ذلك يرجع إلى هذه الأمة السوداء ؟ ولولا ما كان لهذه الأمة

من ذكاء ووطنية وحسن تدبير ما أفلحت في الوصول إلى ما تبغى ، ويبغى عمر .  
كيف أثرت على خادم كلثم حتى أدخلتها عليها ؟  
في ذلك حيلة ، وحسن تدبير .

ثم كيف أثرت على كلثم نفسها حتى أصغت إلى قولها ، وقرأت كتاب عمر  
وكانت من قبل جامحة نافرة ، تؤذى الرسل ، وتكره ذكر عمر ؟  
في ذلك حيلة ، وأية حيلة !

حانت كلثم أن يكون شعر عمر فيها نوعاً من الملق والرياء لا يحمل قلباً خالصاً ،  
وحباً صافياً ، فعاد لها شيء من النفور والجروح ، بعد أن كاد يرق له القلب . ولكن  
هذه الأمة السوداء استطاعت أن تزيج عن كلثم هذا الخوف ، واستطاعت أن تزين  
أن تختبره ، وتمتحنه ، لعلها تظفر بخير من وراء هذا الامتحان .

وكيف تعرف الحبيبة أمر حبيبها ، وأنه جاء يسعى إليها ، طالباً ودها ووصالها .  
كان الجليل<sup>(١)</sup> ابن عم أخذ يومه على حب بثينة لوما عنيفاً ، ولما رأى ألا مناص  
من هيامه بها رقى له وكان عونته في رؤيتها فلجأ إلى رجل من رهط بثينة ، وأخبره  
الخبر واستعدهه كتماناً ، وسأله مساعدته فيه .

فقال له : لقد جئتني بإحدى العظامم . ويحك ! إن في هذا معاداتي الحى جميعاً  
إن فطن به . فقال : أنا أتحرز في أمره من أن يظهر . ثم أتياه وأماما عنده ، وأرسل  
إلى بثينة بوليدة له بخاتم جميل ، فدفعه إليها فلما رآته عرفت وجاءته وتحدثا ليلتهما ،  
وفي ليل أخرى .

وفي مرة أخرى أرسل لها كثيراً يسألها موعداً ولقاء ، ولم يجعل العلامة بينه  
وبينها خاتماً يدسه إليها بل ألياتاً من الشعر تسمعها ثم يجيب على هذا السؤال ، وأبوها  
حاضر لا يعرف من الأمر شيئاً .

(١) الأغانى ج ٨ ص ١٢٩

لقي جميل بثينة آخر مرة حيث كانت تغسل ثيابها في مكان يقال له « وادي الدّوم » فذكر هذه العلامة في بضعة أبيات خاطب فيها عزة ، وكان الأولى أن يكون الخطاب إلى بثينة ، ولكن هي الحيلة حتى لا يعرف أبوها وحتى لا يفتضح الأمر . قال ينشد أباهما وبثينة تسمع :

فقلت لها : يا عزر أرسل صاحبي إليك رسولا ، والموكل مرسل  
بأن تجعلي بيني وبينك موعداً وأن تأمريني ما الذي فيه أفعل  
وآخر عهدى منك يوم لقيتني بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

قالوا : فضربت بثينة خدرها وقالت اخساً اخساً ! فقال لها أبوها مَهْمَ (١) يا بثينة . فقالت : كلب يأتينا إذا نوم الناس من وراء الرابية ، ثم قالت للجارية : ابغينا من الدومات حطباً لنذبح لكثير شاة ونشويها له ، ولكن كثيراً كان عجولاً لأن صاحبه جميلاً ينتظره في شوق ولهفة ، وما كان كثير يريد قري ولكنه أراد موعداً للجميل . وقد ظفر بما أراد ، فليذهب إلى جميل ليزف إليه بشري أن بثينة ستلقاه وأن مواعدها الدومات . وفي هذا احتيال وذكاء . لا ينكر كثير نفسه إعجابه بهما . فيقول : مارأيت مثل علم أحدهما بضمير الآخر ! ما أدري أيهما كان أفهم .

وكان أن تواعد عمر أبي ربيعة (٢) مع بنت محمد بن الأشعث الكندية حتى يلتقاهما وجعل الآية بينه وبينها أن تسمع ناشداً ينشد — إن لم يمكنه أن يرسل رسولا يعلمها بمصيره إلى المكان الذي وعدتها وذلك قوله :

وآية ذلك أن تسمعي إذا جئتم ناشداً ينشدُ

ولجأ إلى رجل اسمه بُدَيْحٌ ليكون رسوله إليها فأبي . وقال :

مثلي لا يعين على مثل هذا .

ولكن عمر كان صاحب حيلة ووطنه ودهاء فغيب بغلته بعيداً ثم جاء بديحاً

(١) كلمة يمانية معناها : ماذا بك ؟ (٢) الأغانى ج ١ ص ٨١

نفسه ، وقال له : قد أضللت بغلتى فأنشدها لى فى زقاق الحاج ، وذهب بديح عن طيبة قلب فأنشدها فخرجت بنت محمد بن الأشعث وقد فهمت الآية وأتت عمر لموعده وعرف بديح أن حده عمر ، وقال له : سحر ننى وأنا رجل ! مكيف برقة النساء وضعف رأين وما آمنك بعدها ولو دخلت الطواف ظننت أنك دخلته لبلية !

فأنت ترى من هذا : ماذا فعل جميل حتى علمت حبيته بحضوره ليراها ، إذ دس إليها طورا خاتمه مع وليدة لانكاد تبين ، وطورا علامة ضمنها كثير بضعة أبيات من الشعر . وماذا فعل عمر حتى علمت هواه بموعد اللقاء ، إذ دس لها من ينشد ضياع بغلته ، ولم يكن هناك فقد ولا ضياع ، بل كان موعد ولقاء !

وماذا ترى من حيل النساء ؟ وهن أصحاب فطنة وخداع وذكاء ! المرأة دائما ذات وسوسة وشك وأوهام . فهى أقرب فى حها إلى القلق والحيرة والاضطراب . مهما أظهر الرجل من حبه وعطفه وهيامه . ومهما كان له من سقمه وصهرته ونحوه خير شاهد ودليل . فإن المرأة تنهمه بما ليس فيه ، تنهمه بكرهيتها والإعراض عنها ، وهو الذى يذوب قلبه فى سبيل حبه وتذبل زهرة شبابه كلفهاها ، وشوقا إليها . وهل ترى مثل كثير فى حبه عزة ؟

وهل ترى مثل مجنون بنى عامر فى حبه ليلي ؟

إننا نضرب بهذا الحب أصدق الأمثال فى القوة والتمسك ووحدة البناء .

ومع ذلك لا ترى من عزة ولا ترى من ليلي قفاعة ورضا ، ويذهب بهما ضعف هذا الرضا إلى اتهام صاحبيهما ، وإلى أن يحتالا حتى يعرفا مدى هذا الاتهام من خطأ أو صواب ، ومن كذب أو صدق .

وكيف السبيل ؟

أما عزة<sup>(١)</sup> فقد أغرت بنينة صاحبة جميل أن تنصدى لكثير وتطمعه فى نفسها

(١) الأمانى ج ٩ ص ٣٦

حتى تسمع ما يجيبها به . فأقبلت بثينة إلى كثير وعزة تمشى وراءها مخفية ، وعرضت عليه الوصل ، ولكن كثيرا كان أكثر وفاء لصاحبته وأكثر حباً لها ، فلم يحقق لبثينة سؤالها ، وأعرض عنها في أدب ورفق وقال :

رمتني على عمد بثينة بعد ما  
تولّى شبابي وارحجن<sup>(١)</sup> شبابها  
وقال :

ولكنما ترّمين نفساً سريضة  
لعزة منها صفوها ولبابها  
وليلي حيث كان الحب بينها وبين المجنون لا يزال غضاً حديث العهد . أرادت أن تحتال حتى تعرف مدى حبه لها وكفه بها ، وأتاها المجنون ذات يوم وكانت تجلس بفناء بيتها وعندها جويزات يتحدثن معها ، فجعلت تعرض عن حديثه ساعة بعد ساعة وتحدث غيره ، وزاد الطين بلةً ، كما يقولون ، أنها أقبلت على فتى من الحى فحدثته فترة طويلة ، وسارته طويلاً ، وتظاهرت بمودته والانتناس به .

فعلت ليللي هذا حتى تعرف حال المجنون ، ولم تكن حاله في حاجة إلى معرفه وبيان ، ولكنها المرأة لا تكاد تصدق إلا بعد بحث واحتمال . أما المجنون فقد أكفر وجهه ، وزاد وجيب قلبه ، وتطير الشرر في بريق عينيه ، ولم تمهله ليللي على هذه الحال طويلاً شفقة عليه ، ورحمة به ، فأعلنت حبها له ، وأنشأت تقول :

كلانا مُظهِرٌ للناس بفضاً  
وكلُّ عند صاحبه مكين

نباغنا العيونُ بما أردنا  
وفي القلبين نَمَّ هوى دفين

وتمكن الحب بين قلميها وأصبح لنا في هذا الحب أصدق الأمثال .

وترى نوعاً آخر من حيل النساء لا تبلو به المرأة حبيبها ، ولكن تصونه من العدوان والأذى .

كان تونة بن الحُمَيْرِ يجب ليللي الأخييلية ، وكان يلقاها حتى شهر أمره فعاتبه

(١) اهتز شبابها نضارة وحسنا .

أحوها وقومها فلم يُعْتَب (١)، وشكوه إلى قومه فلم يقطع، فتظاموا إلى السلطان فأهدر دمهم إن أتاهم، وعامت لذلك ليلي .

وكيف تخبره ليلي؟ وكيف تحتال في هذا الخبر؟

إن زوجها كان غيوراً عليها، وحلف لئن لم تعامه بمجيئه ليقتلنها، ولئن أنذرتها بذلك ليقتلنها. وكان من عاداتها أن تبرقع حين تلقاه .

وخرج ذات مرة إليها وكان أهلها يرصدونه وخافت عليه السوء والأذى فخرجت وجلست في طريقه، ولما اقترب منها ألقت البرقع عن رأسها، ففطن لما أرادت وعلم أن قومها يتربصون به، وكرر راجعاً، وبذلك نجا من الموت .  
وفي ذلك يقول :

وكنت إذا ما جئت ليلي تبرقت  
وقد رابني منها الغداة سُفُورُها  
ولولا فطنة توبة، ولولا حيلة ليلي لكان البلاء العظيم .

ثم اقرأ هذه الأبيات لعمر بن أبي ربيعة :

لما وقفنا نُحْيِيهِمْ وقد صرخت	هواتفُ البين واستولت بهم أُصُلاً (٢)
صدت بِمَادَأْ وقالت لتي معها	بالله لوميه في بعض الذي فعلا
وحدثيه بما حَدَّثتِ واستمعي	ماذا يقول ولا تَعْيِيْ به جَدلاً
حتى يرى أن ما قال الوشاة له	فيينا لديه إينساكله نُقِلا
وعرفيه به كالهزل واحتفظي	في بعض مَعْتَبَةٍ أن تُغْضِي الرجال
فإن عهدي به والله يحفظه	وإن أتى الذنبَ ممن يكره العَدْلَا
لو عندنا اغتیب أو نيلت نقيصته	ما آب مُعْتَابُهُ من عندنا جَدلاً
قلت اسمعي فلقد أبلغت في لطفٍ	وليس يخفي على ذى اللب من هزلَا
هذا أرادت به بُحْلَا لِأَعْذَرها	وقد أرى أنها لن تَهْدَم العِلْلا

(٢) جمع أصيل وهو العشى .

(١) أي لم يرضهم .

ما سُمِّيَ القلب إلا من نقلبه ولا الفؤاد فؤاداً غير أن عقلا  
هذه الأبيات قالها عمر في وداع الثريا ، حين انتقلت إلى الشام مع زوجها  
سُهَيْل بن عبد العزيز .

اقرأ هذه الأبيات ، وتأمل هذه الألفاظ :  
لَا تَعْدِيَّ بِهِ جَدَلًا . وليس يخفى على ذى اللب من هزلا . أرادت به بخلا لأعذرهما .  
لن تعدم العللا . ولا الفؤاد فؤاداً غير أن عقلا .

ألا تدل هذه العبارات على سعة الحيلة ، وبقظة العقل ؟  
إذا وقعت خصومة بين المحبين فالغلبة لمن يتسلح لها بالحيلة والقفنة ، وفصاحة القول .  
وإذا جرت بينهم أحوال فإن ذا اللب يستطيع أن يميز الخبيث من الطيب ،  
وأن يعرف الجد من الهزل .

وإن المرأة في كثير من شجون الحب تتلمس الأسباب ، حتى يكون لها العذر  
في الصد والهجران .

وإن للمحبين عقولا ، وعقولا مرهفة ، تستطيع أن تدرك بها الأمور ، وأن تتبين  
الحق من الباطل .

ثم تأمل القضية التي تحدثنا عنها هذه الأبيات :  
أو بعبارة أخرى كيف تكون المرأة واسعة الحيلة ، إذ تهم الرجل ليكون لها العذر  
في أن تجفوه ، وكيف يدفع الرجل عن نفسه هذه الآثام ؟

نفس المرأة على حبيبها وتهجره تدللا منها وتجنباً ، وقد بتذلل لها الرجل ويتوسل ،  
فتمعن هي في الجفوة والهجر ، حتى يزداد بها الرجل كلفاً كما قال الشاعر :

وزادني شغفاً بالحب أن منعت أحبُّ شيء إلى الإنسان ما مُنعا  
وكذلك حبيبة عمر تهجره ، ولا تجود له بالوصل ، ثم ترسل إليه رسولا

نالومه وتعنفه وتزجره .



ماذا فعل عمر حتى يلقي هذه العاصفة من اللوم والتفريع؟  
لم يفعل شيئاً .

ولكنها المرأة تعمن في تعذيب الرجل ، وفي اتهامه بالسوء حتى يعود إليها أكثر  
ما يكون تذلاً وتوسلاً .

أرسلت إليه رسولها بعد أن أوحى إليها أن تكون فطنة حذرة ، وأن تكون  
لينة رقيقة ، حتى لا تثير غضبه ، فإنه يكره العدل ، وأوصتها أن تبثه هذه الدعوى  
التي تتلخص في أن الوشاة سببها لدى عمر وانتقاصها ، وأسأوا إليها واحتمل عمر  
هذه الإساءة ، كأنه يصدفها ، فلم يدفع عن الثريا هذه المنكرات ، وان هذا الكلام  
نقل إليها من صدوق أمين ، دون زيادة أو نقصان .

كيف يعصى عمر عن قول الوشاة ؟ إنه لظلم .  
وكيف لا يفعل مثل فعلها ، إذا جاءها واش ينتقصه ؟ فإنه لا يعود إلا كثيراً حزيناً .  
إنه إذن كاره ، جافى القلب ، يستحق منها البعد والصد ، والهجران .  
هذه هي الدعوى وتلك هي المدّعية .

فماذا يرى المدّعى عليه ؟

يرى عمر أن ذلك كله حيلة ، لا تجوز في شرعة العقلاء .

قلت : اسمي فلقد أبلغت في لطف ولبس يخفى على ذى اللب من هزلا  
ويرى أن الثريا بهذه الحيلة تريد أن تبرر أمامه هجرها له وبعدها عنه ،  
حتى يكون لها العذر وما فعلت ، وذلك شأنها تلجأ إلى الحيلة ، حين تضيق  
بها السبيل .

هذا أرادت به بخلاً لأعذرها وقد أرى أنها لن تعلم العلالا  
ويرى أن للرجل عقلاً بنير له مسالك الحياة ، ويجنبه مواطن التفات والخطل .  
وعقل عمر لا يصدق هذه الأحابيل ، ولا تجد إلى عقله سبيلا .

واقراً ما يقول أبو نواس<sup>(١)</sup> :

لما جفاني الحبيب وامتنعتُ	عنى الرسالات منه والخبرُ
واشدد شوقى فكاد يقتلنى	ذكرُ حبيبي والهَم والفِكرُ
دعوتُ إبليسَ ثم قلتُ له	فى خلوة والدموع تنحدر
أما ترى كيف قد بُليتُ وقد	أقْرَحَ جَفْنِي البكاءَ والسَّهْرَ
إن أنت لم تُلقِ لى المودة فى	صدر حبيبي وأنت مقتدر
لا قلتُ شعراً ولا سمعتُ غنّاً	ولا جرى فى مفاصلي السَّكر
ولا أزالُ القرآنَ أدرسه	أرُوحُ فى درسه وأبتكر
وأزُومُ الصومَ والصلاةَ ولا	أزال دهرى بالخير آتمر
فما مضت بعد ذلك ثلاثةُ	حتى أتانى الحبيبُ يعتذر
ويطلب الودَّ والوصالَ على	أفضل ما كان قبلَ يَهْتَجِرُ <sup>(٢)</sup>
فيا لها منةٌ لقد عَظُمَتْ	عندى لإبليس ما لها خطرُ

ألا تضحك معى حين تقرأ هذه الأبيات ؟ لأنها تدل على ظرف ودعابة حاوة .  
ثم ألا تعجب معى حين تقرأ هذه الأبيات ؟ لأنها تدل على معنى دقيق ، وتصوير  
رقيق وخيال جميل .

ثم تدل على يقظة واحتيال ، وحسن تدبير .

أبو نواس هجره الحبيب فماذا يفعل ؟

يشدد به الشوق حتى كاد يقتله ، فهل يسلم نفسه إلى الرضا والخنوع ؟

ليس أبو نواس بالرجل الخامل ، حتى يقنع بالذل والهوان ، وليس بالرجل الغافل

الذى تعييه الحيلة ، وينقصه الرأى السديد .

لا بد أن يَحْتال حتى ينعم برضا الحبيب .

(١) عصر المأمون ملحق ج ٣ ص ٢٢٣ (٢) قال هجره واهتجره بمعنى جفاه .

فكيف الخيلة ؟

يعرف أن إبليس يفرى الإنسان ويفويه حتى ينساق إلى هواه .  
فلم لا يتخذ من الشيطان رسوله للحبيب ، حتى يزين له الوصال بعد الجفوة ،  
والرضا بعد الصمود ؟

فكيف وصل أبو نواس إلى الشيطان ؟

دعاه في خاوة ، وبكى بين يديه ، وكشف له عن آلامه وأسقامه ، لعله  
يرق ويرحم .

ثم بين أنه من أشياعه وأتباعه ، فهو يقول الشعر ويسمع الغناء ، ويحتسى الخمر ،  
ومن الحق على إبليس أن يساعد شيعته وتابعيه .

ثم أنذره إن لم يكن رسوله إلى حبيبه أن يتخلى عن نصرته وتأييده ، بل يجاهده  
ويغالبه ، فيقرأ القرآن ، ويلزم الصوم والصلاة ، ويفعل الخير .

رقّ إبليس لركة حاله ، وخاف أن ينتقص واحداً من سرّيه ، فأتى الحبيب ، وأخذ  
يوسوس له ، حتى جاء بعد قليل من الزمن ، يعتذر إلى أبي نواس ، وكان من قبل  
أبياً جوحاً .

ثم اقرأ ما يقول بشار<sup>(١)</sup> :

يا مَنْظَرًا حَسَنًا رَأَيْتُهُ	مِنْ وَجْهِ جَارِيَةٍ قَدَيْتُهُ
بَعَثْتُ إِلَى تَسْوَمِي	تَوْبَ الشَّبَابِ وَقَدْ طَوَيْتُهُ
وَاللَّهِ رَبِّ مُحَمَّدٍ	مَا إِنْ غَدَرْتُ وَلَا نَوَيْتُهُ
أَمْسَكْتُ عَنْكَ وَرَبَّمَا	عَرَضَ الْبَلَاءُ وَمَا ابْتَغَيْتُهُ
إِنْ الْخَلِيفَةُ قَدِ أَبِي	وَإِذَا أُنِي شَيْئًا أَبَيْتُهُ

(١) عصر المأمون ملحق ج ٢ ص ٢٦٥

وَمُخَضَّبٌ<sup>(١)</sup> رَخِصٌ<sup>(٢)</sup> الْبِنَا  
نِ كَيْ عَلِيٍّ وَمَا بَكَيْتُهُ  
وَيَشُوقُنِي بَيْتُ الْحَبِيبِ  
إِذَا أَدَّكَرْتُ وَأَيْنَ بَيْتُهُ  
قَامَ الْخَلِيفَةُ دُونَهُ  
فَصَبِرْتُ عَنْهُ وَمَا قَلَيْتُهُ  
وَنَهَانِي الْمَلِكُ الْهَمَامُ  
عَنِ النِّسَاءِ وَمَا عَصَيْتُهُ  
لَا بَلَّ وَقَيْتُ فَلَمْ أُضِغْ  
عَهْدًا وَلَا رَأْيًا رَأَيْتُهُ

فإننا نرى بشاراً وقد منعه المهدي عن الغزل كيف يكدرح الذهن؟ وكيف يحتمل؟  
حتى يقول هذا الشعر .

وفي هذا الشعر غزل .

فيه ذكر لجمال المرأة وأنه يفدى هذا الجمال بروحه .

وفيه ما يقع بين الحبين أول الأمر من سوم ، وإغراء ، ومنافاة .

وفيه شوق لبيت الحبيب وما في هذا البيت من ذكريات وشجون .

أليس هذا كله غزلاً؟

بلى . . !

ولكن بشاراً كان ما كراً خبيثاً فتظاهراً بأنه أعرض عن هذا طاعة للخليفة  
وإذعاناً لأمره .

خاف بشار أن يناله من المهدي مكروه ، ومال إلى أن يشبع في الغزل هوى نفسه ،  
فتلطف ، وتحايل ، حتى كان منه غزل على هذه الصورة الرائعة الجميلة فلم يفضب الخليفة  
ولم يتعرض لأذاه .

ونرى في شعر الغزل أمثلة كثيرة نقرأ فيها كلمات الحيلة والعقل ، والعلم ، والجهل ،  
بل نرى أن بعض الشعراء يضيق ذرعاً وينتشد الناس أن يبتغوا له حيلة ، حتى يصل  
إلى حب المرأة ورضاها .

(٢) رخص البنان : ناعم لين الملمس .

(١) خضب يده بالخصاب لونها .

قال الشاعر<sup>(١)</sup> :

شكوتُ فقالت كلُّ هذا تبرُّمٌ  
فأما كتمتُ الحبَّ قالت لشدَّ ما  
وأذنو فتعصيني ، فأبعد طالباً  
فشكواى تؤذيها وصبرى يسوءها  
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها  
وقال الأعمى التَّطيلي<sup>(٢)</sup> :

فانظر بعقلك إن العين كاذبة  
ولا تقل كلُّ ذى عين له نظر  
وقال العباس بن الأحنف<sup>(٣)</sup> :

لو كنت عاتبةً لسكن رَوْعِي  
لكن ملأتُ فلم تكن لى حيلةً  
وقال إبراهيم الموصلي<sup>(٤)</sup> :

وعلمتى كيف الهوى وجهلته  
وأعلم مالى عندكم فيردنى  
وقال فيس بن الملوح — المجنون — :

خليلى هل من حيلة تعاملانها  
فإن أتيت لم تعاملها فلستما  
وقال عمر بن أبي ربيعة :

فقم من وقد أفهمن ذا اللب أوما

(٢) بلاغة العرب ص ٦٩

(١) نزيين الأسواق ص ١٠

(٤) معجم الأدباء ج ١ ص ١٨٠

(٣) الأغاني ج ٨ ص ٣٥٥

ولعل القارىء حين يدرك هذا كله يؤمن معى أن للعقل شأنًا عظيمًا فى الغزل ، وأن الحب إذا لم يكن ذا فطنة ، وذكاء وحيلة ، وتدبير ، لم يكن أهلاً لهذا الغزل . وقد قدمت لك أن من شئون الغزل ما يتطلب الفطنة وسعة الحيلة ، وأن فى لغة الغزل إشارات وحركات يتطلب فهمها فطنة وسعة حيلة ، وأن فى شعر الغزل ما يصف رجال الغزل ونساءه بالفطنة وسعة الحيلة . وفوق ذلك فالغفلة صفة ذميمة لا يرضاها الحب فى حبيبتة ولا الحبيبة فى محبوبها ، ومن شأن الحبين أن يتجافوا كل ما هو ذميم سقيم .

وفى حياة الغزل سمو وفن وجمال ولا يحيا هذه الحياة ولا ينعم بظلالها الوارفة الكريمة إلا الأذكاء النابهون .

فلنا إن من أثر الغزل العاطفة . ونقول هنا إن من أثره العقل أيضاً .

وقد يصح أن نتساءل :

كيف يجتمع القلب والعقل فى الغزل؟ وما أمران قد يكون بينهما شىء من التباعد والتنافر . فذو العاطفة يصبح أسير عاطفته ، لا يبالي ما تأتى به صروف القدر ، لا يفكر فى شىء إلا فى أن يروى ظمأه ، ويشبع غليله ، وذو العقل يزن مسائل الحياة وزناً دقيقاً ويحسب لكل شىء حسابه ، ولا يأبه فى كثير لمسائل القلب والروح .

لا شك فى هذا التباعد بين القلب والعقل ، ولكنى لا أرى هذا التباعد بينهما فى حياة الغزل ؛ بل أرى أنهما يتساندان ويتعاونان لخير الرجل والمرأة ؛ ذلك أن القلب إذا غلبه الحب فإن العقل لا يعرقل هذا الحب ، ولا يقف فى سبيله ، بل يسعى جاهداً فى أن يغذى عاطفته ، ويحقق لها ما ترنو إليه وتصبو .

## الفصل الثالث

### الطموح

الطموح هو الرغبة في الوصول إلى الأمل البعيد .  
وفي سبيل تحقيق هذا الأمل لا بد أن يركب صاحبه الأخطار والأهوال .  
فالجندى في ساحة القتال حين يكون بعيد الأمل لا بد أن يجاهد ويناضل  
ولو أدى ذلك إلى حتفه وهلاكه . وحينئذ يكون له الفوز والنصر المبين . فإذا خاف  
الشدايئ ، وتقاوس منه العزم وفترت الهمة أصابته الخيبة والإخفاق .  
وكذلك المحب حين يهفو قلبه إلى الحبيب لا بد أن يكون طموحاً حتى يظهر  
بتحقيق ما يريد .  
فإن في الحب آلاماً . وإن في الحب أهوالاً . وإن في الحب نضالاً . فإذا لم يكن  
المحب طموحاً وقف عند أول صدمة يلقاها من الحبيب وبذلك يموت حبه قبل  
أن يولد وتنطفئ جذوته قبل أن تشتعل .  
أما إذا كان طموحاً فإن عزمه لن يثنى ، وإن قوته لا تضعف أمام غصص  
الحب ، مهما كانت مريرة المذاق ، فإن قوة عزمه تصهر الخطوب ، وإن نور أمه  
ليكشف له ظلام الطريق ، ويهديه سواء السبيل .  
يلقى من الحبيب هجراً طويلاً ، فيحتمل ، حتى تدنو ساعة الوصال .  
يقف العوازل بينه وبين الحبيب سداً منيعاً ، فلا يقنط من رحمة الله ، بل يجاهد  
حتى يظهر باللقاء .  
يقسو الأهل والأقرباء ويلومونه كما يلومونها ، ويقفون حجر عثرة في سبيله كما

يقفون في سبيلها . ولكن الأمل يحدوها إلى تحطيم هذه الأحجار حتى تتلاقى القلوب .  
 يحولون بينه وبينها ، بالرحيل تارة وبالزواج طوراً ، وهم بذلك يحولون بين الأجسام  
 أما الأرواح فهي تتسآخى وتتناجى . حتى الأجسام لا يحولون بينها . فإنه يرتحل إليها  
 ويتحمل عناء السفر حتى يلقاها وتلقاه .

ما أكثر فيود الحب !

وما أكثر آلامه !

والرجل الطموح تهون أمامه عظام الأمور . وبسمة الآمال يهون أمامها كل  
 صعب جموح ، فما بالنا إذن نسخر من هؤلاء الأحاب ، ونرميهم تارة بالسفاهة ، وتارة  
 بالخيل ، وتارة بالجنون ؟ .

ولم لا نقول : إن لهم في الحياة رسالة عقدوا العزم على أدائها ، يسوقهم الأمل ،  
 ويحدوهم الرجاء ؟

ولكنها رسالة شاقة عنيفة لأنها تنصل بالقلب ، تنصل بالروح ، تنصل بالمرأة  
 وهي سر الحياة . صدمتهم في هذه السبيل رياح عاصفة هوجاء ، فأبلوا في كفاحها بلاء  
 حسناً ، نشيد الآن بآثاره ، وتحدث عن ذكره .

وإننا لنرى في الحب ضرباً من الطموح .

فالحب لا يفتأ يطلب حبيبه ، ويجاهد في سبيل طلبه ، ولا يجد اليأس سبيلاً  
 إلى قلبه حتى يظفر بقلبه .

يقول جميل العذري :

أفقتُ أيها القلب اللجوج عن الجهل      ودع عنكُ مجملاً لاسبيل إلى مجمل  
 فلو تركتُ عقلي معي ما طلبتها      ولكن طلبتها<sup>(١)</sup> لما فات من عقلي

(١) طلى إياها .



و بقول قيس بن ذريح :

خليلي إني ميت أو مُكَلَّمٌ      لُبَّتِي سِرِّي فامضيا وذرائي

ويقول عمر بن أبي ربيعة :

أَمْسَى بِأَسْمَاءِ هَذَا الْقَلْبِ مَعْمُوداً      إِذَا أَقْسُولُ صَحَا يَعْتَادُهُ عِيداً  
أَجْرِي عَلَى مَوْعِدِ مِنْهَا فُتَخَلَّفُنِي      فَمَا أَمَلٌ وَلَا تُوفِي الْمَوَاعِيدَا  
و بقول أبو نواس :

ألم تر أنني أفنيت عمري      بمطلبها ومطلبها عسير  
فأما لم أجد سبباً إليها      يقربني وأعيتني الأمور  
حَبَّجَّتْ وَقَلَّتْ فَدَحِجَّتْ جِنَانٌ      فَيَجْمَعُنِي وَإِيَّاهَا الْمَسِيرُ

فإن جميلاً يابى عليه طموحه إلا أن يطلبها، وأن يسعى في طلبها، ولو كانت عزيزة المال . وكأنه شقى بهذا فيخطأ قلبه اللجوج بأن يرعوى عن حبه . ولكن هيهات ! ويعمل طلبه إياها بأنها سلبته عقله ، والأمر ليس كذلك . إنما هو الطموح يدفعه إلى أن يراها ، ولو أباح الوالى قتله إن فعل .

وفيس — كما حدثنا الرواة — حين قال هذا البيت — يرتحل متعللاً بالصيد ليرى لبنى ، فلما أعياه الجهد ، ولم يرها ، ولم يجد من يرسله ، قال له رفاقه : قد عرفنا ما أردت بإحراجنا معك . إنك لم ترد الصيد وإنما أردت لقاء لبنى . وقد تعذر عليك فأنصرف الآن . ولكن طموحه أبى عليه أن يبرح المسكان حتى يراها ، وقد تم له ما أراد . وعمر لا يمل محبوبته مهما تجنت وأخلفت فهو لا يزال يطلب وصلها حتى يظفر به .

وأبو نواس أعيته الأمور في طلبها ، ولكن أبى عليه طموحه إلا أن يجتمع بها في الحجج إلى بيت الله . والحب يعيش بالأمل في وصال الحبيب ، الذي يراه قريباً وإن رأوه بعيداً ، والذي لا يقنع فيه بالقليل ، والقليل منه جميل .

ويقول مُحَرِّزُ<sup>(١)</sup> المُكَلِّي :

كفى حَزَنًا أَلَا يَزَالُ يَعُودُنِي      عَلَى الْيَأْسِ طَيْفٌ مِّنْ خِيَالِكِ يَا نُعْمُ  
وَأَنْتِ مَكَانَ النُّجْمِ مَنَّا وَهَلْ لَنَا      مِنَ النُّجْمِ إِلَّا أَنْ يُقَابِلَنَا النُّجْمُ

ويقول ابن الرومي :

سَعِدَتْ مَقَلَّتِي بِوَجْهِكَ لَوْلَا      أَنَّهَا أَعْقَبَتْ بِطُولِ السَّهَادِ  
لَيْسَ فِيمَا كَسَيْتِ مِنْ حِلِّ الْحَسَنِ      وَلَا فِي هَوَايَ مِنْ مَسْتَزَادِ  
ويقول عمر بن أبي ربيعة :

فَعِدِّي نَائِلًا وَإِنْ لَمْ تَنْيَلِي      إِنَّهُ يَنْفَعُ الْحَبَّ الرَّجَاءُ  
ويقول كثير :

وَلَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ خَلِيلِ بَنَائِلِ      قَلِيلٍ وَلَا أَرْضَى لَهُ بِقَلِيلِ  
ويقول جميل :

وَقَدْ تَلْتَقَى الْأَشْتَاتُ بَعْدَ تَفَرُّقِ      وَلَا تُدْرِكُ الْحَاجَاتُ وَهِيَ بَعِيدِ  
يرى محرز أن محبوبته منه بمكان النجم يقابله وينعم برؤياه .

وابن الرومي يرى أنها بالغة في الحسن والجمال إلى حد أنه لا يقبل المزيد .

والحُبُّ كما يقول عمر ينفعه الطموح ، ولذا يطلب من حبيبته أن تعده بالوصال

ولو لم تجد به .

والحُبُّ كما يقول كثير طموح لا يرضى في هذا الوصال بالقليل .

وطموح الحُبِّ كما يقول جميل يحمل صاحبه على أن يرتقب اللقاء بعد طول افتراق

ويدرك الحاجة ، ولو كانت بعيدة المنال .

والحُبُّ طموح يترفع بحبيبته إلى مكان رفيع كريم ، فهي تسكن السماء ، وهي

فاثقة الحسن والجمال ، وهي سيدة الناس ، وهي أكرم من أن تباع وتشترى بالمال .

(١) الأمل ج ٢ ص ٢٦

يقول العباس بن الأحنف :

هي الشمس مسكنها في السماء      فعز الفؤاد عراء جميلا  
فلن تستطيع إليها الصعود      ولن تستطيع إليك النزولا  
ويقول عمر بن أبي ربيعة في زينب بنت موسى يذكر نسوة معها :  
قد وزن بالحسن والجمال معاً      ووزن رسلاً بالدل والخمر  
يُنصتن يوماً لها إذا نطقت      كما يُشرفها على البشر  
ويقول قيس بن الملوح — المجنون — في حبيته ليلي :

ألا إن ليلى كالمليحة <sup>(١)</sup> أصبحت      تقطعُ إلا من نقيفِ حبّالها  
فقد حبسوها محبّسَ البدنِ وابتغى      بها الريح أقوام تساحت <sup>(٢)</sup> ماها  
نرى أن العباس يسمو بحبيته ، فيجعل لها في السماء مسكناً .

و يريد بهذا أن يجعلها عزيزة المنال ، وأنه ليس بمستطيع أن يصعد إليها ، وليست بمستطوعة أن تنزل إليه ، ولا أظن العباس وهو الصب المتيم يقف حيال محبوبته هذه عاجزاً ، ولا بد أن سيسعى لها مهما طال به الجهد ، حتى يصل إلى عليائها ويناجيها وتناجيهِ .

ونرى عمر يصف مجلس نسوة ، وهن يتحدثن وبينهن محبوبته ، وإنه ليسو بهذه المحبوبة حتى يجعلها سيدة الناس ، تتحدث فيصغى إليها النسوة كما يصغى المحكوم إلى الحاكم والرعية إلى الراعي .

أما قيس — المجنون — فإنه يسخر بالمال ويهزأ بهؤلاء الذين يعتبرون المرأة سلعة تباع وتشتري . فإنهم قد زوجوا ليلى إلى رجل من نقيف دفع من المهر قدراً عالياً ، تزوجها وارتمل بها . ايلي حبيبة نفسه يحبسونها كما تحبس الناقة التي لا تملك من أمرها

(١) المليحة : — بفتح الميم — الشاة أو الناقة يعطها صاحبها رجلاً يشرب لبنها ثم يردّها إذا انقطع اللبن ، وكثر استعمالها في كل موهوب .  
(٢) من السحت وهو المال الحرام .

حولاً ولا قوة ، يحبسونها كارهة مرغمة لأنها أسامت قلبها إلى قيس ، ولا ترضى سواه  
بديلاً . من أجل قليل من المال يحبسون هذا القلب النقي الصافي بعيداً عن حبه وهواه  
ألا تبس هذا المال !

لقد صدق قيس إنه يسمو بالحب فوق ما في الدنيا من عراض ومال ، إنه لا يباع  
بشئ ، ولا يعدله جزاء .

والحب طموح يرتفع بحبه إلى المثل الأعلى . فحبه لا يماثله حب ، ولا يبلى إذا طال  
به العهد . هو امتزاج بين روحين لا يفصم الموت عراه .

يقول وضاح الين في حبيته روضة .

س فما قست حبها بمشال	فست ما كان قبلنا من هوى النا
ولا وجدنا كوجد الرجال	لم أجد حبها يشاكله الحب
وهوى روضة المنى غيرُ بالي	كل حب إذا استطل سَيَبَلِي
جِدَّةً عندنا وحسن احتلال	لم يزدته تقادم العهد إلا

ويقول قيس بن ذريح :

ومن بعد ما كنا نطافاً وفي المهدي	تعلق روي روحها قبل خلقنا
وليس إذا متنا بمنصرم العهد	فزاد كما زدنا فأصبح نامياً
وزأرنا في ظلمة القبر واللاحد	ولكنه باق على كل حادث

نرى في هذه الأبيات أن وضاحاً إذا فاس حبه في روضة بحب من كان قبله من الناس

لم يجد له مثيلاً ، وأن حبه لها غير بال ، بل يزيده تقادم العهد جدة ونماء .

أما قيس فإنه قد جعل حبه امتزاجاً بين روحين ، قبل أن يخلقاً وفي النظمه والمهد .

ثم جعله باقياً خالداً لا تجوز عليه أحداث الزمن من زوال وفناء .

-- ١٢١ --

هذا وإن المحبوب لیتسامى فى جمیع صفاته وأحواله حتى ینال رضا الحبب فهو  
یکون دائماً مثال الأناقة فى هندامه ، مثال الرقة فى حديثه . مثال النبل فى سجایاه .  
یطلب العلا ویسعى إلى المجد حتى یرضى طموح نفسه، وحتى یحمد عند الحبيب وعائلته .  
وصدق كثير إذ یقول :

ویرتاح للمعروف فى طلب العلا      لتُحَمَّدَ يوماً عند لیلى شمائله

## الفصل الرابع

### التضحية

كل شيء في هذه الحياة يحتاج إلى طلب ، وكل طلب يحتاج إلى كد وعمل ، ويلقى الإنسان في سبيل هذا العمل كثيراً من الصعوبات والمشقات . فإذا احتملها ، وإذا ذلها ، وإذا غلبها فهو ذو العزم وهو ذو التضحية والقوة . وإذا لم يحتملها وناء بأعبائها الثقيل فهو ضعيف النفس ، فاتر الهمة . وسيكون له هذا الحظ المنكود من الخيبة والإخفاق .

وقد عرفت فيما سبق أن المحبين طموحاً ، يدفعهم هذا الطموح إلى الكد والجهد والعمل ، حتى يصلوا في حبه إلى تحقيق ما يريدون ، أو حتى ينالوا رضا الحبيبة ووصالها ودون هذا الرضا أحمال تقال ، وأهوال جسام .

في الحب لذة ومتمعة ، تدفع بالأحباب أن يضحوا بالرخيص والغالي .

في الحب صفاء ووفاء . يدفع بالمحبين أن يضحوا بما ملكت أيديهم ، ولو كانت أرواحهم ، وهي أعلى ما في الوجود .

في الحب أعمال تتطلب الجهاد العنيف ، والعزم القوي ، والتضحية البالغة ، والشجاعة النادرة .

فماذا يفعل المحبوب حين يفارقه الحبيب ؟

وماذا يفعل المحبوب حين يهجره الحبيب ؟

إنه يتوجع ويتألم ، ويشوقه الحنين إلى أن يذكره وأن بتصوره ، وقد يجره ذلك إلى أن يهجر النوم ، ويرعى النجوم ، وأن يرتحل وينتقل ، حتى يراها وتراه ، ويلقى في رحيله ضروباً من المصاعب والآلام .

وكم في هذا من أقدار يشقى بها الحبيب ! .  
 إنها ستنتال من راحته فلا يطيب له عيش ، ولا يهدأ له بال .  
 إنها ستنتال من جسمه فهو مصفر الوجه ، ناحل الجسم ، داعم العيون .  
 ولكن المحبوب يضحي في سبيل الحبيب ، فيحتمل هذه الأقدار ، ويأسو  
 هذه الجراح .

وماذا يفعل المحبوب حين يرقبه العواذل ، وحين يرصده الأهل والأقارب ؟  
 إنهم يضيقون عليه الخناق ، ويحيطونه بألوان من القلق والفرع ، والتهديد والوعيد .  
 إنهم يطلبون دمه ، ويجدون من الحاكم عوناً على إهدار هذا الدم البريء ، فلن  
 يكون منهم قصاص ، ولن ينالوا جزاء .

ولكن يضحي المحبوب في سبيل الحبيب . فليحارب هؤلاء جميعاً ، وليغالب  
 هؤلاء جميعاً . وكم يلقى في هذه الحرب وفي هذا الغلاب ضرراً من الخنة والبلاء ؟  
 بل إننا لنقرأ في سير الأحاب أن كثيراً منهم قد لقي حتفه في سبيل الحب .  
 ليس هناك دليل أبلغ في التضحية من أن يجود المحبوب بنفسه ، والجود بالنفس  
 أقصى غاية الجود .

وإذا كان لنا أن نظرب لهذا الفتى الذي خرّ في ميدان الوغى ، دفاعاً عن الوطن ،  
 فلم لا نظرب لهؤلاء الذين خروا صراعاً في ميدان الحب وفاء للحيبة .

إن هؤلاء جميعاً كبار النفس ، عظام الآمال ، ذوو عزم وشجاعة .  
 فلم لا نظرب لهؤلاء الأحاب الذين ماتوا في سبيل الحب ، ماتوا أطهاراً أحراراً ،  
 ماتوا كراماً أحراراً . فلنترحم عليهم ، ولنقرأ في صفحات حياتهم مثلاً كريماً للتضحية  
 في البطولة والشجاعة .

وإن الحديث عن التضحية يتطلب الحديث عن الشجاعة . فالشجاعة تدفع المحب  
 إلى أن يجاهد ويغالب ، إلى أن يناضل ويقاوم ، وفي ذلك مصائب وآلام ، فهو يضحي

باحتمالها وبما يلقى في سبيلها . أما الجبان الرعديد فإنه يخاف هذه الآلام ومسارتها في النفس ، ويدفعه هذا الخوف إلى أن يحجم ويستسلم ، إلى أن يقنع بالقليل ، وأن يرضى بالدل والهوان .

ولذلك نرى المحبوب يفخر بشجاعته ، وهو أهل لهذا الفخار ، فهذه الشجاعة هي الوسيلة التي تجعله يحتمل آلام الحب وصراع الهوى ، ولولا الشجاعة ما استطاع إلى حياة الحب سبيلا .

كيف يرضى المحبوب بحييته إذا لم يكن شجاعاً ، يغالب آلام المهجر والفرق ، والتدلل والتمنع ؟

كيف يرضى المحبوب بحييته إذا لم يكن شجاعاً يغالب آلام السفر ، وآلام السهر ، ويجاهد قسوة الرقباء من العواذل والأقرباء ؟ .  
إنه لن يستطيع ذلك إلا إذا كان له من الشجاعة حظ كبير .

كم ينال المحبوب رضا بحييته إذا عرفت أنه شجاع لا يخاف الردى ، ولا يهاب المنون ! ذلك لأن الحبيبة يروقها أن يكون حبيبها سابقاً إلى كل حميد كريم ، ولن يكون ذلك إذا لم يكن شجاعاً .

والحبيبة يروقها أن يتفانى الحبيب في حبها ، وأن يجاهد في هذه السبيل جهاداً شاقاً عنيفاً . ولن يستطيع ذلك إذا لم يكن شجاعاً .

وكم كان لهذا أثره في نفوس المحبين ، فهم يخاطرون لينالوا رضا الحبيب . وهم يبذلون في هذه المخاطرة حتى يكون لهم من هذا أوفى نصيب . بل كم دفع هذا الشعور إلى الغلبة والنور ! .

\*\*\*

واعلمك تقرأ في أحوال المحبين وفي شعر الغزلين بعض هذه الألوان التي تحدثنا عنها في معاني التضحية والشجاعة .



فالمجنون --- قيس بن الملوح --- في سبيل لقاء حبيبته ليلى كانت يغشى بيتها رغم أنهم كانوا يحولون بينه وبينها . ولم يكفهم ما كانوا يفعلون به من عنف وأذى فشكوه إلى الوالي فأهدر دمه ، ولما أخبروه لم يرعه ذلك ، وقال : الموت أروح لي فليتهم قتلوني ! . وكان من أثر الحب في نفسه أن أصابته لومة في عقله فترك الطعام والشراب . فذهبت أمه إلى ليلى . وقالت لها : إن قيساً قد ذهب حبك بعقله ، وترك الطعام والشراب فأوجعته وقتاً لرجوت أن يشوب إليه بعض عقله . فقالت ليلى : أما نهاراً فلا آمن قومي على نفسي ولكن ليلاً . فأتته ليلاً ، وتحادثا طويلاً ، ونصحته أن يتقى الله ، وأن يبقى على نفسه . ولعله كان آخر لقاء بينهما .

وجميل العذري لقي حبيبته بثينة ذات يوم وأخذنا يتحدathan أحاديث الهوى وكان الحديث طويلاً ، لأنه كان بعد غيبة وفاق ، فطال غياب بثينة . ولما طال غياب بثينة عن بيتها بحث عنها أبوها وأخوها حتى هجما عليهما حيث كانا يلتقيان . ولكن شجاعة المحب غلبت شجاعة الأبخ والأب فوثب عليهما جميل ، وانتضى سيفه ، وشد عليهما فاتقياه بالهرب وأخذت بثينة تنشده أن ينصرف وتقول له : إن أقت فضحتني ، ولعل الحى أن يلحقوك ، ويأتى جميل الهرب ويقول لها : أنا مقيم وامضى أنت وليصنعوا ما أحبوا ، وما زالت تناشده وتتوسل إليه حتى انصرف .

وذهب في يوم آخر ومعه صديق له ليرى بثينة وقد أجهدهما السفر وما أصابهما من جوع وعطش ولما كان اليوم الثالث من سفرهما ألقيا عصا التسيار وكان الرجال غيباً ، وأخذ جميل يتحدث إلى نسوة الحى ، ولكن الحديث لم يدم طويلاً فأقبل جماعة من الرجال ، وكان الوالى قد أباح دمه إن وجد في بلادهم ، فقالوا له : ويحك أبع وتقدم ! فهزى بهم وسخر منهم . وكان بينه وبينهم جهاد ونضال أبلى فيه بلاء حسناً ، ثم قفل راجعاً بعد أن ذاق من هذا النضال أهوالاً ، وبعد أن سارست ليال وستة أيام ما التفت إلى طعام .

وأراد الخروج إلى الشام فهجم ليلاً على بائنة فقالت له :  
 أهلكنى والله ، وأهلكك نفسك ! ويحك أما تخاف ؟ فقال لها : هذا وجهى  
 إلى الشام إنما جئتكَ مودعاً ، فحادثها طويلاً ، ثم قال لها وهو يبكي :  
 ألا لا أبالى جفوة الناس ما بدا لنا منك رأى يابسين جميل  
 وما لم تطيعى كاشحاً أو تبدلى بنا بدلا أو كان منك أهول  
 وقيس بن ذريح : حين حالوا بينه وبين حبيبتة لبني قد جد به الوجد ، وبلغت  
 به الصبابة حتى مرض ، وأعياه المرض إلى أن كان يشرف على الموت . فقال له أبوه .  
 يا بنى . الله الله فى نفسك ، فإنك ميت إن دمت على هذا . فقال :  
 وفى عروة<sup>(١)</sup> العذرى إن مت أسوةً وعمرو بن عجلان<sup>(٢)</sup> الذى قتلت هند  
 وبى مثل ما ماتا به غير أنى إلى أجل لم يأتنى وقتنه بعد  
 ولكن قيساً لا يسألبنى ، فهو يسعى إلى رؤيتها رغم أنه طلقها . فشكا أبوها  
 أمره إلى الحاكم فأباح دمه ، إن تعرض لها ولما بلغ أباه الخبر عاتبه وتجهمه ، وقال له :  
 انتهى بك الأمر إلى أن يهدر الحاكم دمك : ولم يعبا قيس بلوم أبيه ولا بإهدار  
 دمه . وقال :

إن تك لبني قد أتى دون قربها  
 فإن نسيم الجو يجمع بيننا  
 وأرواحنا بالليل فى الحى تلتقى  
 ونعلم أنا بالنهار نقيلاً  
 وتجمعنا الأرضُ القارُّ وفوقنا  
 سماء نرى فيها النجوم تجول  
 إلى أن يعود الدهر سلماً وتنقضى  
 ترات بغاها عندنا وذُحول<sup>(٣)</sup>

- (١) هو عروة بن حزام شاعر إسلامى كان متبياً فى بنت عمه عقراء .  
 (٢) هو عبد الله بن العجلان شاعر إسلامى كان متبياً فى هند مات أسفاً على فراقها حين طلقها .  
 (٣) جمع ذحل : الحقد ويقال طلب بذحله أى بثأره .

إذ رق له يزيد بن معاوية ، وحقن له دمه ، وأباح له أن ينتقل إلى حيث يشاء  
وأن يرتحل إلى أى بلد ولو كان بلد لبني .

وإنك لترى في هذه الأبيات من الشعر بعض هذه النواحي التي تحدثنا فيها  
عن تضحية المحبين وعن شجاعتهم ، وعن المخاطرة بنفوسهم في سبيل إرضاء الحبيب .

يقول قيس بن الملوح :

فوالله ما فى القرب لى منك راحة  
ووالله ما أدرى بأية حيلة  
ويقول :

ولا البعد يسلينى ولا أنا صابر  
وأى مرام أو خطارٍ أخطر  
وقد ببنتلى قوم ولا ككبلتى  
غزتنى جنود الحب من كل جانب  
ويقول جميل :

ولا مثل جدى<sup>(١)</sup> فى الشقاء بكم جدُّ  
إذا حان من جند قفول<sup>(٢)</sup> أتى جند  
ويقولون جاهد يا جميل بغزوة  
لكل حديث عندهن بشاشة  
ويقال :

والمثل جدى<sup>(١)</sup> فى الشقاء بكم جدُّ  
إذا حان من جند قفول<sup>(٢)</sup> أتى جند  
ولست بناس أهلها حين أقبلوا  
وفالوا جميلٌ بات فى الحى عندها  
وفى البيت لَيْثُ الغاب لولا مخافةُ  
هممت وقد كادت مراراً تطلَّعتُ  
وما مرّ فى غير الذى كان منهم  
فكم مرتجٍ أسراً أتيج له الردى  
وجالوا علينا بالسيوف وطوّفوا  
وقد جردوا أسيافهم ثم وقفوا  
على نفس جُلّ والإله لأرغفوا<sup>(٣)</sup>  
إلى حربهم نفسى وفى الكف مرهف  
ومنى وقد جاءوا إلىّ وأوجفوا  
ومن خائف لم ينتقصه التخوفُ

(١) حظى ونصبي . (٢) رجوع بعد الغزو . (٣) يقال أرغفه أى أعمله .

ويقول :

لقد ظن هذا القلب أن ليس لاقياً  
فليت رجالاً فيك قد نذروا دمي

سليمي ولا أم الجسير الحين  
وهموا بقتلي يا بشين لقونى

ويقول كثير :

يقول العدا يا عز قد حال دونكم  
فقلت لها والله لو كان دونكم  
وكيف يروع القلب يا عز رائع  
وما ظلمتك النفس يا عز في الهوى

شجاع على ظهر الطريق مصمم  
جهنم ما راعت فؤادى جهنم  
ووجهك فى الظلماء للسفر معلم  
فلا تنقمى حبي فما فيه منقم

ويقول وضاح اليمن :

قالت : ألا لا تلجى دارنا  
قلت : فإني طالب غرة  
قالت : فإن القصر من دوننا  
قالت : فإن البحر من دوننا  
قالت : فإلى إخوة سبعة  
قالت : فليث رابض بيننا  
قالت : فإن الله من فوقنا  
قالت : لقد أعينتنا حجة  
فأسقط علينا كسقوط الندى

إن أبانا رجل غائر  
منه وسيفى صارم باثر  
قلت : فإنى فوقه ظاهر  
قلت : فإنى سابح ماهر  
قلت : فإنى غالب قاهر  
قلت : فإنى أسد عاقر  
قلت : فإنى راحم غافر  
فأت إذا ما هجع السامر<sup>(١)</sup>  
ليلة لانا ولا زاجر

ويقول :

قد يكتم المرء حبه حقباً  
ماذا تريدن من فتى غزلاً

وهو عميد وقلبه كمد  
قد شفه السقم فيك والسهد

(١) أى التسامرون .

يهددوني كما أخافهم هيهات أني يهدد الأسد  
ويقول امرؤ القيس :

وبيضة<sup>(١)</sup> خدر لا يرام خباؤها<sup>(٢)</sup> تمتعت من لوبها غير مُعَجَل<sup>(٣)</sup>

تجاوزت أحراساً إليها ومعشراً على جِراساً لو يُسرّون مقتلى

فأنت ترى في هذا أن المجنون يذكر أنه في حبه معذب معني، لراحة في القرب من حبيته ولا صبر على فراها، وأنه لا يفتأ يجتال على لقائها ويخاطر في سبيل اللقاء بألوان من المخاطرة فيها محنة وفيها شدة وفيها بلاء . ثم يذكر أن مصابه في الحب لا يعدله مصاب ، وأن حظه مع الحبيب حظ عاثر جائر ، لا يجد فيه إلا الحن والآلام . ومع ذلك فإنه راض باسم لهذه الحادثات مها أظلمت واكفهرت .

ويصور لنا في البيت الأخير من أبياته ما يقع بينه وبين جنود الحب من غزو وقتال ، وما يلقي من هؤلاء الجنود من شدة البأس وقوة العزم ، وأنهم ذوو صبر وجلد ، لا يملون القتال ، ولا يتركون سبيلاً للراحة والطمأنينة ، وإذا أصاب فريقاً منهم جهد وإعياء جاء فريق آخر أكثر ما يكون قوة ، وأكثر ما يكون مروية .

وجميل يجعل حياته كلها جهاداً وغزواً ، وهو جهاد كريم شريف ، لأنه جهاد في سبيل الحب ، وفي سبيل القلب ، وإذا مات في هذا الجهاد فهو شهيد .

ثم يذكر لنا إحدى حداثاته وهو يطلب بثينة ، ويسعى إلى لقائها ، وماذا كان يقع بينه وبين أهلها من نزال ونضال ، وأنه كان لا يبالي فهو الليث الشجاع ، وهو ذو السيف المرهف الذي إن ضرب به أصاب مقتل الأعداء ، مها كانوا من القوة والكثرة ، لا سيما إذا كان يضرب في سبيل حبيته ، وفي هذه السبيل ترخص النفوس .

ثم يتمنى في البيتين الأخيرين أن يلتقي بخصومه الذين حالوا بينه وبين محبوبته

(١) المرأة شبهها بالبيضة لصفائها ورقها . (٢) الجباء ما كان على عمودين أو ثلاثة ، والبيت ما كان على سنة أعمدة إلى سعة والحيمه من الشعر . (٣) لم يعجلني أحد عملاً رزده فيها . العزل م - ٩

يتمنى لقاءهم ، كي يكسر شوكتهم ويغلبهم على أمرهم ، ويذيقهم ألواناً من العذاب جزاء ما أذاقوه ، وجزاء ما نال منهم من عدوان وأذى .

وكثير يتحدث إلى حبيبتة عزة فيترجم عن مخاطراته حين يطلب لقاءها ، فلا يحول بينه وبينها حائل ، ولو كان جهنم بما تحوى من سحير وشرور . وكيف يروع قلبه ظلمة الطريق ووحشة السفر ؟ إنه يتخذ من وجهها المشرق هاديا ودليلا . إنه يتخذ من ذكرها ما يبعث في نفسه العزم ، وفي قلبه الهمة والإقدام .

أما وضاح الين فإنه يصور لنا حواراً قام بينه وبين حبيبتة «روض» ، ويصور في هذا الحوار أنه ذو توضحية وعزم .

خوفته بأبيها ، وهو ذو مِرَّة وبأس ، فذكر سيفه الصارم البتار ، وأنه يغلب بهذا السيف من يعتززون سبيله مها كان لهم من حول وقوة .  
خوفته بإخوتها السبعة ، وأنهم أهل غلبة وقتال ، فذكر أنه حين يجد الجدد ، يكون غالباً لهم فاهراً .

خوفته بأن هناك ليثاً رابضاً بينهما ، فذكر لها أنه أسد عاقر .

خوفته بالله فذكر أن الله وإن كان قوياً جباراً فهو غفور رحيم .

وكان حبيبتة رأت فيه العزم والبأس فأجابت سؤاله في أن يأنبها ، إذا هجم السامرون ، وفي أن يسقط عليها سقوط الندى حتى يبلى غضنها الرطيب ، فيهتز نشوان بفرحة اللقاء ، وبسمة الحياة .

وتنجه أبياته الثلاثة إلى مثل هذا المعنى .

ويذكر امرؤ القيس أن دار الحبيبة بعيدة المنال .

فهناك جماعة من الحفظة والأحراس يتربصون به الدوائر إذا اقترب من حماها ، ولسكنه مع ذلك لا يبالي : فتراه يتجاوز هؤلاء الأحراس ، ويتخطى هذه الأهوال . وقد قدمنا أنه يسر الحبيبة ويرضيها أن تعرف أن حبيبتها فارس مغوار ، يخوض

معامع الحروب فيبلى فيها البلاء الحسن ، وفي ذلك يقول عنتره من معلته .  
 هلاً سألت الخليل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي  
 يخبرك من شهد الواقعة أبني أغشى الوغى وأعف عند المغم  
 كما يسيئها أن تعرف شيئاً عن جننه وخوفه . ومن هذا ما فعل يزيد بن الطثرية  
 وقد مر بأعداء له ، فأرادوا به كيداً ، فنزل عن راحلته وأخذ يسبهم عدواً ، فأدركوا  
 الراحلة ، وعقروها ولم يدركوه هو فنتجا ، وكان يزيد يرى في هذا الهرب ما يجعل  
 الغانيات لا يقبلن على مودته ، ويصرن ما كان بينه وبينهن من حب ووصال .  
 لأنهن يكرهن في الحبيب هذه الصفة الذميمة من الجبن والخوف . فقال :

ألا هل أنى ليلى على نأى دارها بأن لم أقاتل يوم صخر<sup>(١)</sup> مذوداً<sup>(٢)</sup>  
 وأنى أسامت الركاب فعمرت وقد كنت مقداما بسيفي مفردا  
 فهل تصرمن الغانيات مودتي إذا قيل قد هاب المنون فعرداً<sup>(٣)</sup>

وقد يكون قريباً من هذا ما رواه الرواة من أنه كان لفتى من قریش جارية  
 جميلة ، فأصابته فاقة ، فابتاعها منه الحجاج . وقدم عليه فتى من أقاربه ، وكان وسياً  
 جميلاً . أخذت الفتاة تسارقه النظر . ففطن الحجاج ، ووهبها له ، فأخذها وانصرف  
 وبانت معه ليلة ، وهربت قبل أن يطلع النهار .

عرف الحجاج ذلك ، فدعاها ، ليتبين أمرها ، فحدثته حديثاً طويلاً . حدثته  
 أن الفتى القرشى سمع ذات مرة زئير الأسد ، فوثب واخترط سيفه ، وحمل عليه ،  
 وأتى برأسه ، أما الفتى الذى اخترته لى وهو ابن عمك فقد غشى عليه حين وقعت فأرة  
 من السقف ، ومكث زماناً طويلاً ، وأنا أرش عليه الماء وهو لا يفيق .

قالت الفتاة للحجاج : وقد خفت أن يموت فتهمنى ، فهربت فرعا منك .  
 فضحك الحجاج كثيراً ، وخلي سبيلها .

(١) اليوم الذى قاتله فيه أعداؤه . (٢) ذاتها : أى مدافعاً . (٣) هرب وحين .

كما قدمنا أن المحبوب إذ يرى حبيبته يكون جريئاً مقداماً يغالب خصمه مهما كان شديد البأس قوى الشكيمة .

ورى في هذين المثالين ما يؤيد ذلك :

كان توبة<sup>(١)</sup> قد خرج إلى الشام فرببني عذرة فرأته بتينة فجعلت تنظر إليه فشق ذلك على جميل ، ولم يكن قد أظهر حبه لها ، وكان من أمرها أن تصارعا فصرعه جميل ، وأن تناضلا<sup>(٢)</sup> فنضله<sup>(٣)</sup> جميل ، وأن تسابقا فسبقه جميل . فقال توبة لجميل : يا هذا إنما تفعل هذا بريح هذه الجالسة ولكن اهبط بنا الوادى ، قالوا : فنزلنا إلى الوادى فصرعه توبة ، ونضله وسبقه .

وكان المجنون<sup>(٤)</sup> — قيس بن الملوح — يتحدث إلى جماعة من نساء الحى وطال معهن الحديث حتى أقبل غلام شاب حسن الوجه فجلس إليهن وأقبلن عليه فى الحديث وكأنه غاظه أن يرى المجنون يتحدث إليهن ، فقال له : هلم نتصارع أو تناضل . فقال له المجنون : إن شئت ذلك فقم إلى حيث لا تراهن ولا يرينك ثم ما شئت فافعل .

وقال :

إذا ما انتضلنا فى الخلاء نَضَلْتَهُ وإن يَرْمِ رشقاً عندها فهو ناضلى

ويفهم من سياق هذه الرواية أن المجنون لم يكن بعد قد علق قلبه حب لىلى ، ولم تكن قد عرفت فيه هذا الهوى ولو كان لتغير الوضع ، وأصبح المجنون لايبالى ، وأصبح الفتى هو الذى يطلب النضال بعيداً عن هؤلاء النساء .

وتحدثنا كتب الأدب عن أمثلة لألوان أخرى من التعذيب ، أصابت فريقاً من رجال الحب وشعراء الغزل . ثم أمثلة لمن ماتوا صرعى الحب ، واستشهدوا فى سبيله .

(٢) النضال : الماراة فى الرى .

(٤) الأعانى ح ٢ ص ٢٩

(١) الأعانى ج ١١ ص ٢٣٩

(٣) غلبه فى النضال .



## الفصل الخامس

### الصبر

وتلك هي الصفة الغالبة في كل عمل يتطلب طموحاً وتضحية .

فالطموح يدعو المرء إلى أن يسعى جاهداً في إدراك أوفى نصيب في الحياة .  
ويلقى المرء في هذا الجهاد صنوفاً من المتاعب والآلام . فإذا احتملها وغالبها أصابه  
النجاح والتوفيق . وذلك هو الرجل الجلد الصبور . وإذا لم يحتملها أصابته الخيبة  
والإخفاق . وذلك هو الرجل الفزع الجزع .  
إذن فالصبر من لوازم التضحية .

وقد بسطنا فيما مضى صفحات من طموح المحبين ، وبيننا ألوان التضحية التي دفعهم  
إليها هذا الطموح .

وكل ما ذكرناه وبسطناه ينساق إلى أذهاننا حين نتحدث عن الصبر في الحب .  
فأعمال الحب وما يجري فيها من غصص وآلام . وأحوال المحبين وما يرى فيها  
من متاعب — إذا لم يتسلح لها الأحباب بسلاح قوى من الصبر انفرط العقد قبل  
أن يبلتتم ، وانتثر الشمل قبل أن يجتمع ، ولم تصبح للحب هذه الميزة الرفيعة ،  
وللأحباب هذا الشأن الكريم فإنما نكون أكثر إعجاباً بالحب وأكثر تكريماً  
لأصحابه حين نرى في صفحات تاريخهم ألواناً من الطموح والتضحية ، وألواناً من الصبر  
على المنكاره واحتمال الأذى .

ونحن إذا طر بنا لهذا التاريخ فلا ننظر لما فيه من معان كريمة وصعقات طيبة .  
وقل لي ربك ماذا يكون في الحب من جمال ؟ إذا لم تصهر الآلام قلوب المحبين .  
ماذا يكون في الحب من خير ؟ إذا لم يكن فيه للأحباب محنة وبلاء .

وماذا يكون في الحب من فضل؟ إذا تجرد الأحباب من فضيلة الصبر .

بل ماذا يكون الحب إذا لم يكن الصبر؟ .

عرف الأحباب ما للصبر من قيمة وأثر فنسلحوا به في ميدان الحب ، حتى يذللوا صعابه ويحتملوا أساه . تراهم يتسلون به إذا حزَّ بهم كرب ، أو أصابهم مكره . يتسلون به حين يفارقون الحبيب ، وحين يطول به النوى ، وحين يجفو فيتمسو ، وحين تحيط بهم عيون الوشاة الكاشحين .

وترى شعراء الغزل يفيضون في ذكر الصبر ، ومنافاة النفس به ، حتى تتحمل الأذى .

وإليك بعض الأمثلة . وسنرى في الكتاب الثالث حيث نتحدث عن شئون الغزل وشجونه ما يكفي ويعنى .

تراهم يذمون الجزع ، ويحشون نفوسهم على الصبر .

يقول الجنون :

أَتَبْكِي عَلَى لَيْلِي وَنَفْسِكَ بَاعَدْتُ      مَزَارِكِ مِنْ لَيْلِي وَشِعْبًا كَمَا مَعَا  
فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا      وَتَجْزَعُ أَنْ دَاعَى الصَّبَابَةَ أَسْمَعَا  
ويقول :

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ النَّفْسَ هَالِكَةً      بِالْيَأْسِ مِنْكَ وَلَكِنِّي أَعْنِيهَا (١)  
مَنْبَتُكَ النَّفْسَ حَتَّى قَدْ أَضْرَبَهَا      وَاسْتَيْقَنْتِ خُلْفًا مِمَّا أَمْنِيهَا  
وَسَاعَةٌ مِنْكَ أَلْهَوْهَا وَإِنْ قَصُرَتْ      أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا  
وبقول كثير :

فَقُلْتُ لَهَا يَا عَزُّ كُلِّ مُصِيبَةٍ      إِذَا وُطِنَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسَ ذَلَّتْ  
أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسَنِي لَا مَلُومَةٌ      لَدِينَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتْ (٢)

(١) أعنيها : أكلفها ما يبتق عليها .

(٢) تبعت .

ويقول قيس بن ذريح :

كأني والله بفراق لبني      تهيم بفقد واحدٍها تَكُولُ  
ألا يا قلب ويحك كن جليداً      فقد رحلت وفات بها الذميل<sup>(١)</sup>  
فإنك لا تطيق رجوع لبني      إذا رحلت وإن كثر العويل  
ويقول العباس بن الأحنف :

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه      وإن كنت مظلوماً قتل أنا ظالم  
فإنك إلا تغفر الذنب في الهوى      يفارقك من تهوى وأنتك راغم  
ويقول جميل :

إني عشيةٌ رُحْتُ وهي حزينه      تشكو إليّ صبايةً لصبور  
وتقول بت عندي فديتك ليلة      أشكو إليك فإن ذاك يسير  
ويقول أبو الفصّل الميكالي :

إن كنت تأنس بالحبيب وقربه      فاصبر على حكم الرقيب وداره  
إن الرقيب إذا صبرت لحكمه      بواك<sup>(٢)</sup> في مشوى الحبيب وداره  
فالمجنون : يرى أن جزع الحب قبيح ذميم .

وهو : يعنى نفسه ، ويكلفها ما لا تطيق حتى تصبر في سبيل الحب ، وتحمّل مصائبه وآلامه .

وكثير : يروض نفسه على احتمال المصائب حتى تذلل وتهون .  
وقيس بن ذريح : يعيب على نفسه الجزع فإنه لا يعنى من الأمر شيئاً .  
والعباس بن الأحنف : يدعو إلى أن يحتمل أذى الحبيب ، وإلى أن يبرئه من الذنوب ولو كان ظالماً جائراً ، وتتهم أنفسنا بها ولو كنا أظهاراً أبرياء .  
وجميل : يصف نفسه بالصبر حين رآها ، وحين أخذت تشكو إليه صباية الهوى .

(٢) أى بواك أى إسكنك .

(١) السير اللين .

وأبو الفضل الميكالي : يحث على مجازاة الرقيب فإن ذلك يلين قلبه وعلنا نظفر  
من وراء هذا اللين بزيارة الحبيب .  
وتراهم يذكرون في أشعارهم أن الحب محنة وابتلاء لا يفوز فيه إلا من أوتوا  
حظاً كبيراً من الصبر والجلد فاحتملوا مسرارته وآلامه .  
أما هؤلاء الفرعون القانطون فإنهم لا ينعمون في الحب بنصيب ، لأنهم يفرون  
من ميدانه ، حين تبدو لهم صعابه وأهواله .  
يقول المجنون :

قضاها لغيري وابتلاني بحبها      فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا  
ويقول قيس بن ذريح :  
وحدثتني يا قلب أنك صابر      على البين من لبي فسوف تذوق  
وقال ابن ماكولا :  
علمتني بهجرها الصبر عنها      فهي مشكورة على التقبيح  
وأرادت بذلك قبح صنيع      فعلته فكان عين المليح

## الفصل السادس

### الوفاء

وما أجل الحب . لأن فيه الوفاء !  
بل ما أجل الحياة . لأن فيها الوفاء !  
فالوفاء خلق كريم . قلّ أن يكون إلا بين الأصفياء والخلصاء .  
وكم في الحياة من غدر ومكر ولؤم .  
ما أجل وفاء العربي ! حين يجود لأخيه بما ملكت يده ، وحين يصد عنه  
المدوان والأذى .

بل ما أجل وفاءه ! حين يكون محباً مغرماً .  
وسنرى فيما نذكر أمثلة للوفاء بين المحبين .  
تحل بهم ضروب من العذاب العنيف ولكنهم مع ذلك يوفون بالعهد . وتقسو  
الحياة عليهم ، فتسكبهم بالرقباء والعيون والأعداء . ولكنهم مع ذلك يوفون بالعهد .  
يبذل الوشاة الجهود الجبارة نارة مع الحبيب ، وطوراً مع الحبيبة ، حتى يفصموا  
عرا هذا الحب . ولكن المحبين لا يبالون ويوفون بالعهد .  
يجعل الحاكم دم الحبيب رخيصاً مباحاً ، إذا تعرض للحبيبة ، ومع ذلك فإن  
قلبه لا يجور ولا يقسو .

ويزوجون المرأة ذا مال وجاه ، ولكنها تميل حيث مال الهوى ولا تتحول .

فأكرم بهذا الوفاء !

وأكرم بهؤلاء الأحباب !

فما ذا نرى من وفاء المجنون ؟

كان يحب ليلي . وقد أعياه هذا الحب وأضناه ، حتى كان حديث الناس جميعاً .  
وهؤلاء نسوة جلسن إليه ، وأخذن يعرينه ، ويصورون مآله في صورة كريهة أليمة .  
لعله ينأى عن حبها ، وينفر منها . ولكن هذا لم يزد إلا حُباً لها وسعياً إليها .  
قالت النسوة : ما الذى دعاك إلى أن أحلت بنفesk ما ترى فى هوى ليلي ،  
وإنما هى امرأة من النساء ! هل لك فى أن تصرف هواك عنها إلى إحدانا فنساعفك  
ونجزيك بهواك ، ويرجع إليك ما عَزَبَ من عقلك وجسمك !  
قال المجنون : لو قد رت على صرف الهوى إليك ، لصرفته عنها ، وعن كل  
أحد بعدها .

وعشت فى الناس سوياً مستريحاً .

قالت النسوة : ما أعجبك منها ؟

قال المجنون : كل شىء رأيت وشاهدته وسمعت منها أعجبنى ، والله ما رأيت شيئاً  
منها قط إلا كان فى عيني حسناً وقلبي علقاً ، ولقد جهدت أن يفتح منها عندي شىء .  
أو يسمع أو يعاب ، لأسلو عنها فلم أجده .  
قال المجنون

بيضاء خالصة البياض كأنها قمر توسط جُحَحَ ليل مُبرِدِ  
موسومة بالحسن ذات حواسد إن الجمال مظنة للحسد

وهذا أبوه يلجأ إلى الخيلة حتى يوقع بينهما ، ويعكر حبه لها ، لعله ينفر منها ،  
ويعرض عنها ، ولكن هيهات !

سأل رجلا من الطائف أن يمر بالمجنون ويخبره أنه لقي ليلي وجلس إليها وتحدث  
معها ، وجر الحديث إلى أنها أخذت تذكر المجنون بالسوء وأنه يكذب عليها ، ويشهرها  
بفعله ، وأنها ما اجتمعت به قط كما كان يقول .

فعل الرجل ذلك وكان فطناً لبقاً فى التحدث إلى المجنون حتى استرعى سمعه ، وأثار

وعيه ، وأخذ يسرد له من صفاتها ما جعل الجنون يصدق قوله، ولما أخبره بأنها تنتقص سيرته ، وتهيجن عمله ، نأى عنه جانباً وقال غير مكترث بما حكى :

إذا هبَّت الرِّيحُ الشَّمَالُ فإِنَّمَا      جَوَاى بِمَا تُهْدِى إِلَى جَنُوبِهَا  
قَرِيبَةٌ عَهْدٍ بِالْحَبِيبِ وَإِنَّمَا      هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبِهَا  
وَحَسَبُ اللَّيَالِي أَنْ طَرَحْنَاكَ مَطْرَحًا      بَدَارَ قَلْبِي تَمْسَى وَأَنْتَ غَرِيبِهَا  
حَلَالٌ لِلْيَلَى شَتَمْنَا وَانْتَقَصْنَا      هُنَيْثًا وَمَغْفُورٌ لِّلْيَلَى ذُنُوبِهَا  
وهل ترى بعد ذلك وفاء ؟

يبلى جسمه فى سبيل الحب ويهده المرض والإعياء وهو لا يبالي . ثم يأخذونه بالحيلة وبالوعد المسول والوعيد المرير — فلا يصل هذا كله — وهو جد كثير — إلى قلبه ولا يثنى من عزمه ، بل يزداد كلفاً بحبيبة قلبه ، وهوى نفسه .

ومن وفاء جميل :

كان جميل يحب بثينة ويسعى لرؤيتها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وذهب يوماً ليلقاها ولكن أهلها وقد علموا بقدمه منعوها أن تلتقى جميلا . فانصرف حزينا كئيبا ، وعلم نساء الحى بذلك فأخذن يلمنه ، ويقرعنه ، ويفرينه بأنفسهن ، وفيهن من هى أحسن منها فتنة وجمالا ، ولكن جميلا لا يأبه لهن ، لأن حبه بثينة يشغله عن أية فتاة أخرى ، مهما كان حظها من الحسن والجمال .

وضاقت الدنيا بوجه جميل ماذا يفعل ؟ وقد أهدر الوالى دمه .

كان يصعد بالليل على أكمة من رمل يتنسم الريح من حى بثينة ، لعل هذه الريح تحمل إليه نسمة منها ، فيعلل نفسه بها . وفى ذلك يقول :

أيا رِيحَ الشَّمَالِ أَمَا تَرِينِي      أَهْسِمُ وَأَنْتِ بَادِي النُّحُولِ  
هَبِي لِي نَسْمَةً مِنْ رِيحِ بَثْنِ      وَمَنِي بِالْهَبُوبِ إِلَى جَمِيلِ  
وَقُولِي يَا بَثِينَةَ حَسَبُ نَفْسِي      قَلِيلًا أَوْ أَقَلُّ مِنَ الْقَلِيلِ

وهذا أبوه وقد شكّا إليه أهل بئينة فعل جميل من ريارتها والشغف بها ، يلومه ويعنفه ويفريه ، ويزين له فراقها ، ولكن قلب جميل يهوى بئينة ، فلا يسألو عنها ولا يتحول .

قال أبوه : يا بني حتى متى أنت عمه في ضلالك لا تأنف من أن تتعلق بذات بعمل يخاو بها وينسكحها ، وأنت عنها بمنزل . ثم تقوم من تحتها إليك فتغرك بخداعها ، وتريك الصفاء والمودة ، وهي مضمرة لبعلمها ما تُضمره الحرة لمن ملكها ويكون قولها لك تعليلاً وغروراً ، فإذا انصرفت عنها عادت إلى بعلمها على حالتها المبتذلة . إن هذا لذلّ وضيم ! ما أعرف أخيب سهماً ، ولا أضيع عمراً منك ! فأنسذك الله إلا كففت وتأملت أسرك فإنك تعلم أن ما قلته حق ولو كان إليها سبيل لبذلت ما أملكه فيها ولكن هذا أمر قد فات واستبدّ به من دّر له . وفي النساء عوض .

قال جميل :

الرأى ما رأيت والقول كما قلت . فهل رأيت قبلي أحداً قدر أن يدفع عن قلبه هواه ، أو ملك أن يسلي نفسه ، أو استطاع أن يدفع ما قضى عليه ؟ ! والله لو قدرت أن أمحو ذكرها من قلبي ، أو أزيل شخصها من عيني لفعلت ، ولكن لاسبيل إلى ذلك . قال ذلك جميل ، وأخذ يبكي ، فبكى أبوه ومن حضر ، جزعاً لما رأوا منه .

وفي ذلك يقول جميل :

ألا من لقلب لا يمل فيذهلُ      أرفق فالتعزّي عن بئينة أجمل  
سلا كل ذي ودٍ علمت مكانه      وأنت بها حتى الممات مؤكل  
فما هكذا أحببت من كان قبلها      ولا هكذا فيما مضى كنت تفعل  
وما أجمل وفاء قبس بن ذريح !

فالوا إنه تزوج لبني ، وعاشا في هذا الزواج سعيدين ، ناعى الببال ، ولكن عبوس الأيام أخذ يدنو من هذا العبتس رويداً رويداً ، وكانت أم قيس سبيلاً



إلى ذلك العبوس . إذ أنها أحست حين تزوج ولدها قيس أن تضاعل به لها ، فلا بد أن تسعى للفرقة بينه وبين من كانت سبباً في انقطاع به ، وهي لبني ، التي شغف بها حباً ، حتى شغلته عن أقرب الناس إليه ، وهي أمه التي حملته في بطنها تسعة أشهر . وكان أن مرض قيس ، فوجدت أمه أن الفرصة سانحة ، لو مات قيس في مرضه هذا ، ولم يترك ولداً ، ماذا يكون الأمر في هذا المال الذي سيرثه عن أبيه ، وهو جم كثير ؟ إذن من الخير أن يكون لقيس خلف ، يرث هذا المال . ويؤول إليه هذا التراث ، وأين هذا الخلف ؟ وهو متزوج من لبني ، التي حرم منها الولد . تلك هي الحيلة الدهياء التي تصل بها إلى الفرقة بين قيس ولبني .

وتحدثت أم قيس إلى أبيه في هذا الشأن ، وألحت عليه ، حتى إذا اجتمع قومه دعاه وقال له :

يا قيس إنك اعتلت هذه العلة فحمت عايك ولاولد لك ، ولا لى سواك . وهذه المرأة ليست بولود فتزوج إحدى بنات عمك لعل الله أن يهب لك ولداً ، تقر به عينك وأعيننا .

فقال قيس :

لست متزوجاً غيرها أبداً .

فقال له أبوه :

فإن في مالي سعة فتسر بالإماء .

قال :

ولا أسوءها بشيء أبداً والله .

قال أبوه :

فأني أقسم عليك إلا طلقتهما .

فأبى ، وقال :

الموت والله على أسهل من ذلك . ولكنى أخيرك خصلة من ثلاث خصال :

قال : وما هي ؟

قال : نتزوج أنت فلفل الله أن يرزقك ولداً غيرى .

قال : فما فيّ فضلة لذلك .

قال : فدعنى أرتحل عنك بأهلى ، واصنع ما كنت صانعاً لو مت في عاتى هذه .

قال : ولا هذه .

قال : فأدع لبنى عندك وأرتحل عنك ، فاعلى أسلوها فإنى ما أحب بعد أن

تكون نفسى طيبة أنها في خيالى .

قال : لا أرضى أو تطلقها . وحلف لا يكنه سقف ببت أبداً حتى يطلق لبنى ،

وقد هجره أبواه حتى يطلق لبنى ، ودام هذا المهجر طويلاً ، وقيل إنه بلغ عشر سنين ،

وكان أن طلق قبس لبنى مرغماً كارهاً .

ولما قيل له : هذه لبنى ترحل الليلة أو غداً ، جزع جزعا شديداً ، وسقط مغشياً

عليه ، لا يعقل ، ثم أفاق وهو يقول :

وإنى لمُنِّ دمعَ عيني بالبكا

وقالوا غداً أو بعد ذلك بليلة

وما كنت أخشى أن تكون مسيتى

ويقول :

يقولون لبنى فتنه كنت قبلها

فطاوعت أعدائى وعاصيت ناصحى

ووددتُ وبيتِ الله أنى عصيتهم

وكلفت حوض البحر والبحر زاجر

(٢) مهلك .

(١) الذى يتكلف ما ليس فى خلفه .

كأنى أرى الناس المحبين بعدها عصارة ماء الخنظل المتفلق  
فتتكرو عيني بعدها كل منظر ويكره سمعى بعدها كل منطق  
وكان يذكرها ، فتشير فى نفسه الذكرى الآلام والأسقام . وكان يأتى موضع  
خبائها ويتمرغ فيه ويبيكى ويقول :

بتّ والهمّ يا لبينى نجيبى وجرت منذ نأيت عنى دموى  
وتنفست إذ ذكرتك حتى زالت اليوم عن فؤادى ضلوى  
أتناساك كى يُرِيعَ (١) فؤادى ثم يشتد عند ذاك ولوى  
يا لبينى فدتك نفسى وأهلى هل لدهر مضى لنا من رجوع

وكان قيس يولم نفسه على إطاعة أبيه فى طلاق لبني . ويقول :  
وما كان على لو اعتزلته وأقت فى حياها أو فى بوادى العرب ، أو عصيته فلم  
أطعه . هذه جنائتي على نفسى فلا لوم على أحد . وهأنذا ميت مما فعلته . فمن يرد روحى  
إلى ؟ وهل لى سبيل إلى لبني بعد الطلاق ؟

وهذه أم قيس ترسل إليه فتيات من قومها . لعلهن فائنات فى الحسن والجمال .  
ويذهب إليه هؤلاء الفتيات ، يعرضن عليه ما وهبهن الله من فتنة وزينة ، ويتحدثن  
إليه حديث اللهو والدعابة والمرح ، ولكنه لا يلقى إليهن وعيه ، ولا يصغى إلى مواطن  
الظرف فى حديثهن وفى مظهرهن فهو واجم ، مطرق ، حزين ، كسير النفس . حتى  
إذا أعيتهن الحيلة ، ولم يظفرن منه بطائل ، أخذن يعين لبني ، ويسخرن من كلفه  
بها ، وهى لا تفوقهن فى الحسن والجمال . فلما أظن أقبل عليهن وقال :

يقرّ بعينى فرُبها ويزيدنى بها كلفاً من كان عندى يعيها  
وكم قائل قد فال تب فعصيته وتلك لعمري توبة لا أتوبها  
فيا نفس صبراً لست والله فاعلمى بأول نفس غاب عما حبيبها

وكان هؤلاء النسوة قرآن في هذا الشعر لوناً من ألوان وفاء قيس ، وأنه لا ينفك  
عن حب لبني مهما كانت المغريات ، فيئسن من هجره لها ، وذهبن إلى أمه يعرضن  
عليها ، أنهن أحققتن في الرسالة التي تصدّين لها وهي القطيعة أو الفراق بين قيس ولبنى .  
وانظر ماذا فعل الوفاء بين قيس ولبنى ؟ .

مرض قيس ، ولعله مرض الحب الذي أضناه ، وأعياه وأهلكه . وظن أبوه  
أن الفرصة سانحة لصرفه عن لبني . فدس إليه فتيات الحى ، وكن جميلات بارعات  
في الجلال ودخل إليه طبيب ليداويه ، وكان الفتيات يجادنه ، ويطلن السؤال  
عن سبب علته . أما سبب العلة فقد أبان لهن ولنا في هذه الأبيات :

عِيدَ قَيْسٍ مِنْ حَبِّ لَبْنَى وَلَبْنَى      دَاءَ قَيْسٍ وَالْحَبِّ دَاءَ شَدِيدِ  
وَإِذَا عَادَنِي الْعَوَائِدُ يَوْمًا      قَالَتِ الْعَيْنُ لَا أَرَى مِنْ أَرِيدِ  
لَيْتَ لَبْنَى تَعُودَنِي ثُمَّ أَقْضَى      إِنَّهَا لَا تَعُودُ فِيمَنْ يَعُودُ  
وَيَبْحَثُ قَيْسٌ لَقَدْ تَضَمَّنَ مِنْهَا      دَاءَ حَبْلِ فَالْقَلْبُ مِنْهُ عَمِيدُ

أعرفت أنه داء الحب ، والحب داء شديد ! ومن شأن المريض أن يجد في عيادة  
العواد ما يخفف عنه الهم والحزن . ولكن عواد قيس لم يكونوا سبباً من أسباب  
التخفيف والترويح ، لأنه لا يرى فيهم أو فيهن من يريد . وليته وجد لبني تعودة .  
إذن لخف عنه الألم ، وزال عنه المرض ، ليته يجدها ، ولو قضى نحبه بعد ذلك لقصام  
وهوراض مطمئن ، لأنه رآها ، ولأنه أشبع بصره من محياها ، ولأنه روى قلبه  
من حديثها ونجواها . وهل تتحقق الآمال ؟ لا . فلا لبني تعودة ، ولا هو بناج مما يترتب  
على هجرها إياه من مصائب ونكبات .

وتدبر معى هذه الأبيات :

تقول ليلي الأحيلية :

وذي حاجة قلنا له لا نسح بها      فليس إليها ما حيت سبيل

لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونه  
ويقول الصَّمَّةُ القشيري :  
وأنت لأخرى صاحبٌ وخليل

إذا نأت لم تفارقني علاقتها  
فخال عيني من يوميك واحدة  
وإن دنت فصدود العاتب الزارى  
تبكي لفرط صدود أو نوى دار  
ويقول داود بن سلم :

وكم لام فيها من أخ ذى نصيحة  
أتأمر إنساناً بفرقة قلبه  
فقلت له أقصر فغير مصيب  
أتصلح أجسام بغير قلوب  
ويقول بشار :

يا عبد حي عن قريب  
وارعَى ودادى غائباً  
ونأملى عين الرقيب  
أشكو إليك وإمما  
فأقد رعيتك فى الغيب  
عرضى إليك من الهوى  
يشكو الحب إلى الحبيب  
ويقول ابن الدمينه :

لك الله إني واصل ما وصلتني  
فلا تتركى نفسى شعاعاً فإنها  
بما أوليةً — نى ومثيب  
وإنى لأستحييك حتى كأنما  
من الوجد قد كادت عليك تدوب  
ويقول سعد بن مطرف ( وكان يهوى ابنة عم يقال لها سعاد ) :

أغار على طرفى لها فكأنتى  
وأحذر أن تصغى إذا بحت بالهوى  
إذا رام طرفى غيرها لست أبصر  
فأكتما جهدى هواى وأستر  
وكان من سعاد أن كرهت أن ينتشر بين الناس خبر حبه لها ، فهجرتة فكتب لها :  
ميتٌ شوقاً وكدتُ أهلكُ وجدا  
حين أبدى الحبيب هجرأً وصدأ  
زادنى فى القرب منه نأياً وبعدا  
بأبى من إذا دنوت إليه

لا وجبِهِ لا وحق هِواه      ما تناسيتُهُ ولا خُنت عهدا  
 حاش لله أن أكون خليفاً      من هِواه وقد تقطعت وجددا  
 كيف لا . كيف عن هِواه سُلوِي      وهوشمس الضحى إذا ما تبدى

ويقول ابن الأعرابي :

لقد عامت سمرأه أن حديثها      نجيع كما ماء السماء نجيع<sup>(١)</sup> .  
 إذا أمرتني العاذلات بصرمها      هفت كبد عما يقلن صديع  
 وكيف أطيع العاذلات وحبها      يؤرقني والعاذلات هوع  
 ويقول الحسين بن مطير :

فيا عجباً للناس يستشرفوني<sup>(٢)</sup>      كأن لم يروا بعدى محباً ولا قبلي  
 يقولون لي أصرم يرجع العقل كله      وصرم حبيب النفس أذهب للعقل  
 ويا عجباً من حُب من هو قاتلي      كأنني أجزيه المودة من قتلي<sup>(٣)</sup>  
 ومن بيتات الحب أن كان أهلها      أحب إلى قلبي وعيني من أهلي

ولعلك حين تتدبر هذه الأبيات تعرف فيها ألواناً من الوفاء ، يحدثك عنها الشعراء حديثاً شائقاً جذاباً .

فليسلى الأخيلية مثال الوفاء لمن تحب ، وتعلن في صراحة أنه لا ينبغي أن تخون هذا الحبيب ، ولو سولت للإنسان نفسه أن يبغي بها حاجة ، فإنها لا تحقق له هوى نفسه ، فهي لا ترضى أن تخون حبيبها ، ولا ترضى لهذا الإنسان ، الذي تسول له نفسه السوء أن يخون حبيبته إذا هي حققت له ما يريد .

والصمة القشيري مثال الوفاء لمن يحب . فإذا نأت فإنه يذكرها ، ويرعى ودها ،

(١) يقال ماء نجيع : حلو مرى . (٢) استشرفه : نظر إليه بصره .

(٣) أى نعت من حبى لمن يقبلنى كأن مودنى له جزاء اقتضاه لى .

ولا تفارقه علاقتها . وإن دنت فإنه يحتمل صداها ، وهجرها وتجنّبها عليه ، واتهامها له ، وذلك إخلاص منه ووفاء .

وداود بن سلم : لا يطيع فيها العواذل ، وهم يريدون أن تكون الفرقة بينهما ، وأن تقوم الخصومة بين الحبيب والحبيبة ، حتى لا يكون ود ، ولا يكون وصال . أما هو فيسخر من هؤلاء الناس ، ولا يصغى بقلبه إلى ما يشتهون ، وكيف له ذلك ؟ وهو جسم والحبيبة قلبه ، وإن تصلح أجسام بغير قلوب .

و بشار : يحمله الوفاء على أن يرهاها في المغيّب ، كما يحمله على أن يطلب منها ذلك تؤكداً لما بينهما من حب وهيام ، كما يدعو الوفاء إلى أن يشكو إليها ما في خبيثة نفسه ، وإنما يشكو المحب إلى الحبيب . ثم يختم هذه الأبيات بكثير من التذلل والتوسل فهو مريض بحبها ، وهو مُعْتَى بأوصاب الحب وآلامه ، وحاجته إليها في علاج ما به كحاجة المريض إلى الطبيب ، أو كحاجة من يشرف على الهلاك إلى من يأخذ بيده ، ويعيد إليه أمل الحياة ، وبسمة الوجود .

وإن المدينة : وفيّ إلى حبيته ، فهو يذكرها ، ويثني عليها ، ويتمدح فمالها ، مهما تجنّت وظلت ، ثم هو يضرع إليها ، حتى ترد إليه شيئاً من الأمن والطمأنينة ، وترد إليه شيئاً من الهدوء والاستقرار . ثم يحدثنا عن نوع من الوفاء ، جميل محبوب ، ذلك هو الوفاء الذي لا يكون رياء ونفاقاً ، بل يكون صادراً من القلب ، ومن القلب الحى البرىء ، وذلك هو الوفاء الذى يجعل المحب يرضى ود الحبيبة في الغياب .  
وهذا هو قوله :

وإني لأستحييك حتى كأنما علىّ بظهر الغيب منك رقيب

وما أجمل وء سعد بن مطرف !

هذا طرفه الذى يبصر به ويرى ، يريد أن يجعله خالصاً لمحبوبته ، يراها وحدها دون سائر الناس ، أو يتمثلها وحدها في كل ما يرى ، حتى كأنه إذا رام النظر إلى غيرها

فإنه يفقد حاسة الرؤية والإبصار ، أليس ذلك وفاء ؟ بلى . ولبس مثله وفاء .  
 وفي الأبيات الأخرى يظهر مزيد حبه لها ، وكفه بها ، وبقسم بحبها ، وهوهاها  
 — وإنه لقسم لو تعامون عظيم — أنه ما نسيها ، ولا خان عهدا . ثم هو بعد ذلك  
 يعتبرها المثل الأعلى ، يعتبرها الشمس في وقت إشراقها ولعانها ، تضىء العالم ، وتنير  
 ظلمات الوجود .

ويعلن ابن الأعرابي ، كما يعلن الحسين بن مطير أنهما لا يطيعان العواذل ،  
 وهم يريدون العفة بين الحب والحبيب . ويصور ابن الأعرابي أن هذه الرغبة  
 من العواذل لالتقى تأييداً فحسب ، بل تكون سبباً في المزيد من الوصال ، وفي المزيد  
 من الشوق والحنين إليها .

كما يصور الحسين بن مطير أن تحقيق هذه الرغبة من العواذل يودى إلى الهلاك ،  
 ويذهب بعقله وفؤاده ، ويزيد على ذلك أن حبيبته تقتله بصددها ودلالها ، وتجنينها ،  
 ورغم ذلك فإنه يحبها ، وهو في عجب من هذا ، كيف يحب من يقتله ، وكيف يكون  
 جزاء القاتل مودة ، وحناناً ورحمة ؟ كما يزيد على ذلك أن وفاءه لها يجعله يحب أهلها ،  
 وهم الرقباء عليها ، وهم العواذل بينه وبينها ! .

هذه صور من ألوان الشعر ، تحدثك عن وفاء الشعراء الغزلين ، وتريك فوق  
 ذلك كثيراً من المعاني الجميلة ، التي تربط بين قلوب المحبين ، فيظهر فيها الحب الصافي  
 والإخلاص الجميل .

\*\*\*

هذا الذي قدمت من أمثلة عن سعة الخيلة ، ورقة الحس ، والتضحية والطموح  
 والصبر ، والوفاء ، وما يتصل بهذه الصفات الطيبة — يعطينا صورة صادقة عن خلق  
 العربي ، يحملها إلينا الشعر ، في ضرب من ضروبه وهو الغزل .  
 وسواء كانت هذه الصفات من خلق أى عربي ، أو كانت من خلق العربي



المعزم المقيم . فما لاشك فيه أن كثيراً من العرب يتحلون بكثير من هذه الصفات فقد عرف عن العربي في الغالب أنه صبور ، وأنه وفي ، وأنه طموح .  
ولكن مما لاشك فيه أيضاً أن العربي المحب أكثر صبراً وأكثر وفاء ،  
وأكثر طموحاً ، وأكثر رقة في الحس ، فوق ما يمتاز به من صفات أخرى كركرة  
الحس وسعة الخيلة ، وحلاوة الحديث . وبعبارة أدق فإن الشعر العربي حين يتحدث  
عن الغزلين وأحوالهم ، وحين تتلمس في هذا الحديث صورة عن أخلاقهم ، فإننا لنعادو  
هذه الأمثلة التي بسطنا ذكرها من قبل .

وإذا كان الأمر كذلك فمن الواجب علينا نحن القارئين ، ونحن الناشئين أن  
نقدبر شعر الغزل ، وأن نتفهم في معانيه ومراميه ، لانك الصورة الهازلة الماخنة ،  
التي يجرى وراءها البسطاء والغفلاء ، بل تلك الصورة الطيبة ، التي تشع علينا قبساً  
من الخلق الكريم ، ومن التهذيب الصحيح .

إن من الجهل والغفلة حقاً أن يفهم بعض الناس أن الغزل عبث وهو وتسلية ،  
ولو تدبروا الأمر قليلاً لعرفوا أن الغزل أداة صالحة للتربية والتهذيب .  
فعلينا إذن أن نقرأ هذه المواقف الرائعة من الغزل ، وعلينا إذن أن ندرس هذه  
المعاني الرقيقة في شعر الغزل ، ونحن إن فعلنا ذلك عن صدق ومعرفة ، وطهارة قلب  
نكون بلا شك قد أفدنا عقولنا من طريق ما توحى من معان ، وأفكار ، وآراء ترتفع  
بالعقل الإنساني إلى درجات من الرقي ، والسعة ، والتوثب . ونكون بلا شك  
قد أفدنا نفوسنا من طريق ما توحى من مثل صالحة للخلق الكريم ، وما أحوجنا  
إلى هذه المثل الصالحة من تضحية ، وطموح ، وصبر ، ووفاء !

\*\*\*

وجميل بالغزل أن يدفع الناس إلى التحلى بهذه الصفات .  
فالطموح يدفع صاحبه إلى أن يتحلّى بالفضائل ، ويتخلّى عن الرذائل .

لا في دائرة الغزل فحسب ، بل في كل قول يقوله ، وفي كل عمل يعمله . لأن له نهجاً سليماً ، يخشى إذا تجاوره . وتخطاه أن تنتقصه حبيبة قلبه وهواه . فهو دائماً ينسأى في أخلاقه وأعماله ، حتى يكون قريباً من وصلها ورضاها .

والعقل سلاح المرء في الحياة . ينفذ به بين مسالكها إلى حيث تكون السلامة والعافية لأنه عرف كيف يقود نفسه في ظلمات الحب ، ومعامع الهوى . وهي كثيرة الغيوم ، كثيرة الأشواك ، كثيرة الأخطار . عرف كيف يصل بثاقب رأيه ، ونافذ بصيرته إلى تحقيق ما يريد ويبغى .

والعاطفة الرقيقة تدفع صاحبها إلى أن يكون مثال العطف ، والشفقة ، والرحمة . لأنه عرف في الغزل مرارة الحرمان ، وكره هذا النوع من البخل والهجر ، فأصبح لديه كل شيء يماثله كرهها ذمياً .

يجب الحرية لكل كائن حي . لأنه عرف نعمة الحرية في الغزل . يجب أن يكون عطوفاً رءوفاً ، شقيقاً محسناً . لأنه عرف لذة العطف في الوصل واللقاء .

يجب أن يكون هادئاً ، ليناً ، وادعاً ، حلو الحديث ، رقيق القول ، غرداً ، طروباً . لأنه عرف كيف تصل الكلمة الطيبة إلى القلب الطيب . لأنه عرف بالركة كيف ينال رضا الحبيب . ولأنه عرف كيف تكون اللذة ، ويكون الطرب حين الوصل ، وحين يزوره الطيف ، وحين النجوى .

والصبر يدفع صاحبه إلى احتمال صروف الزمن ، وما أكرت آلامها ! لأنه عرف في الغزل صنوفاً من الحن فاحتملها ، ولأنه تعلم على صعاب الحب ، واحتمل في سبيل ذلك ألواناً من المشقة والعناء . ولأنه تجدد وصابر ، حتى وصل إلى تحقيق مبتغاه .

والوفاء يحمل صاحبه إلى أن يكون وفيّاً إلى أسرته ، وإلى وطنه ، وإلى المجتمع الإنساني .

لأنه عرف في الغزل كيف يكون الوفاء جميلا ، وكيف يكون الغدر ذميا  
فخرى به أن يتبع كل ماهو حسن جميل ، وأن يطرح كل ماهو بغيض ذميم .  
وتلك هي الصفات الكريمة التي إذا تحلى بها الإنسان كان مثال الكمال والسمو .  
وتلك هي الصفات التي عرفناها في الغزل بين رجاله ، وفي شعره .  
فلم لا نتحلى بها ؟ ولا نهتدى بهديها ؟  
أو بعبارة أخرى :  
لم لا نقرأ شعر الغزل ؟ ولم لا نتدارسه ؟ حتى نظفر منه بهذه الحلية ، وبهذا الهدى .  
إننا حين نقرأ الغزل ، وحين نستخلص منه هذا الهدى الكريم ، من الطموح ،  
والتضحية ، والعقل ، والعاطفة ، والصبر والوفاء نكون قد جنينا أطيب الثمرات .  
وذلك هو أثر الغزل .

---

# الباب الخامس

## تطور الغزل

الغزل لون من ألوان الحياة ، كأي فن من الفنون ، ينشأ وينمو ، ويتوسع ، ويتأثر بما حوله من أسباب الحياة ، فيبقى أو يضعف ، ويزدهر أو يذبل .  
فإذا أصابه من أسباب الحياة ، ما كان عوناً له نما وانتشر ، وصال فيه الشعراء وجمال ، وعذبت ألفاظه ، ورقت معانيه ، وتناولته كثير من الشعراء ، واكتفى به بعضهم دون أبواب الشعر الأخرى . فجدوا فيه وتفننوا ، وأبدعوا وأتقنوا ، وجازاهم الملوك والحكام بألوان من البذل والعطاء ، وجمالوا من قصورهم ومن مجالسهم محافل سمر ، وأدب ، يتناشدون فيها ما تجود به قرائح الشعراء ، وكان من جمهرة الناس إعجاب بهم ، ودراسة لشعرهم ، وإشادة بما يحمله هذا الشعر من وصف الجمال ، وأحاديث الهوى .  
وإذا فقدت هذه الأسباب ذبل واضمحلت ، ورغب عنه الشعراء .

تطور الغزل في نواح كثيرة :

تطور من حيث النوع :

إذ وجد بجانب الغزل بالمرأة نوع آخر هو الغزل بالمدح .

وتطور من حيث الأقسام :

إذ وجد بجانب الغزل الصناعي الغزل العذري ، والغزل الماجن .

وتطور من حيث القلة والكثرة ، كما تطور من حيث المعنى والأسلوب .

وذلك ما أبينه في الفصول الآتية :

أما الأسباب التي دعت إلى هذا التطور فهي دواعي الغزل التي أشرنا إليها من قبل .

## الفصل الأول

### الغزل بالمذكر

والغزل كما قدمنا يتصل بالمرأة ، يصف الشعر حسنها ، ويتحدث عن جمالها .  
ويذكر حال المحب نحوها ، من شغف بها ، وتودد إليها .

هذا هو الغزل في معناه العام الذي جرى به العرف من قديم الزمن ولكن أصابه في هذه الناحية تطور ، سواء كان هذا التطور حسناً أو قبيحاً ، كريماً أو غير كريم ، ذلك هو الغزل بالمذكر ، وفي طائفة من الشعر العربي تقرأ هذا النوع من الغزل .  
يصف الشاعر جمال الفتى ، كما يصف الشاعر الآخر جمال الفتاة . ويصف شغفه به ، وميله إليه كما يصف الشاعر الآخر شغفه بالمرأة وميله إليها .

نشأ هذا الحب من الغزل أيام الحكم العباسي حين خالط العرب الفرس ، ونفذت الحضارة الفارسية إلى حياة العرب ، فبعثت فيها ألواناً من اللهو والجون ، ووصل بهم السرف في هذه النواحي إلى هذا التطور من الغزل بالمذكر ، وأصبح غير بعيد إلى طائفة من الشعراء أن يكون غزلهم بالمذكر ، وأصبح غير بعيد إلى جمهرة من الناس أن يصفوا إلى هذا الشعر ، وأن يتذوقوا ما فيه من روعة وجمال .

وهذه أمثلة من غزل الشعراء بالمذكر :

يقول أبو نواس في غلام اسمه رَحْمَة :

أحبيت من شعر بشار لحبكم	بيتاً كلفت به من شعر بشار
يارحمة الله حلى في منازلنا	وجاور بنا فدتك النفس من جارٍ
إذا ابتليت سألت الله رحمة	كثيت عنك وما يدوك إضماري

ويقول البحترى فى غلام اسمه « نسيم » :

دعا عبرتى تجرى على الجور والقصد      أظن نسيما فارف الهم من بعدى  
خلا ناظرى من طيفه بعد شخصه      وما عجباً للدهر فقدت على فقد

ويقول حماد عجز د فى غلام اسمه « بشر » :

أخى كف عن لومى فإنك لا تدرى      بما فعل الحب المبرح فى صدرى  
أخى إن تلحانى وقلبك فارغ      وقلبي مشغول الجوانح بالفسكر  
أخى إن دأى ليس عندى دواؤه      ولكن دوائى عند قلب أبى بشر  
دوائى ودأى عند من لو رأيتنه      يقلب عينيه لأقصرت عن زجرى  
فأقسم لو أصبحت فى لوعة الهوى      لأقصرت عن لومى وأطنبت فى عذرى  
ولكن بلائى منك أنك ناصح      وأنك لا تدرى بأنك لا تدرى

ويقول عبد الله بن المعتز فى غلام اسمه « نشوان » بترضاه بعد هجر وجفوة :

بأبى أنت قد تما      ديت فى الهجر والغضب  
واصطبارى على صدو      دك يوماً من العجب  
ليس لى إن فقدت وج      هك فى العيس من أرب  
رحم الله من أعا      ن على الصلح واحتسب

ويقول الحسين بن الضحاك فى غلام اسمه « يسر » :

سائل بطيفك عن ليلى وعن سهرى      وعن تتابع أنفاسى وعن فكري  
لم يخل قلبى من ذكراك إذ نظرت      عينى إليك على صحوى ولا سكرى  
سقىا ليوم سروى إذ تنازعتنى      صفو المدامة بين الأنس والخمر  
وبضل كأسك أتيتنى فأشربه      جهراً وتشرب كأسى غير مستتر  
وكيف أشمِّله لثمى وألزمه      بحرى وترفعه كفى إلى بصرى

فليت مدة يومي إذ مضى سلفاً      كانت ومدة أيامي على قَدَر  
حتى إذا ما انطوت عنا بشاشته      صرنا جميعاً كذا جارين في الحُفَر  
ويقول الفتح بن خاقان بن احمد في غلام اسمه «شاهك» :

أشاهك ليلي مذ هجرت طويل      وعيني دما بعد الدموع تسيل  
وَبِي منك والرحن مالا أطيعه      وليس إلى شكوى إليك سبيل  
أشاهك لو يجزى الحب بوده      جزيت ولكن الوفاء قليل  
ويقول<sup>(١)</sup> أمية بن عبد العزيز بن أبي الصَّلت في صبي مليح رآه في أحد  
متنزهاات مصر :

منفرد بالحسن والظرف      بحت لديه بالذي أخفى  
لهفي شكوت وهو من تبهه      في غفلة عنى وعن لهفي  
قد أزهـر الورد على خده      لكنه ممتنع القطف  
كأما الخال به نقطة قد      دَقَطرت من كحل الطرف

ويقول<sup>(٢)</sup> اسماعيل بن اسحق الأزدي في غلام اسمه «ابن البري» :

ألحظه ترجمان منطقته      ووجهه نزهة لعاشقه  
هذه الظرف والكمال فما      ير عيب على طرائقه  
قد كثرت قالة العباد فما      تسمع إلا سبحان خالقه

ويقول<sup>(٣)</sup> الحسن بن وهب في غلام اسمه «شفيع» خادم المتوكل — وقد أصابه

ما جعله يحتجم :—

ليت شعري يا أملح الناس عندي      هل تعالجت بالحجامة بعدي  
قد كتبت الهوى بمبلغ جهدي      ففشا منه بعض ما كنت أبدي  
وخلعت العذار فليعلم النا      سُ بأني إليك أصفى بوذي

(١) معجم الأدباء ج ٧ ص ٦٧ (٢) معجم الأدباء ج ٦ ص ١٣٧ (٣) المقدم الفريد ج ٨ ص ١١٣

من عذيري من مقلتيك ومن إشد — راق وجهه من حول حمرة خد  
ويقول محمد بن أحمد السكاكبي في غلام يكنى «أبا سعد» : —  
حاربتني الأيام فيك أبا سعد بسيف الهوى وسهم البعاد  
ليس لي مفزع سوى عبرات من جفون مكجولة بالسهاد  
في سهادي لطول أنسى بذكرا لك اعتياض من الكرى والرفاد  
وكان ابن داود يهوى غلاما اسمه «محمد بن جامع» هوى أفضى به إلى التلف .  
فدخل عليه أحد رفاقه ، وقال له : يا سيدي ما بك ؟ فقال : حب من تعلم أورثني  
ما ترى . فقلت : ما يمنحك من الاستمتاع به مع القدرة عليه . فقال :  
الاستمتاع نوعان : محظور ومباح ، أما المحظور فعاذ الله منه ، وأما المباح فهو  
الذي صيرني إلى ما ترى .

\* \* \*

ولعلك ترى أن هذا الغزل بالمدح لا يختلف عن الغزل العام ، في كثير  
من ألفاظه ومعانيه .  
فالمحبوب كلف بحبيبه ، مُعْتَنِي بحبه ، يتوجع من حرقة الهوى ، ولوعة الفراق .  
ويبتلى بألوان من الصد والهجر ، كما يبتلى بالعواذل والرقباء .  
وذلك كله تراه في كثير من هذه الأبيات .  
وللحبيب طيف يزور الحبيب لماما ، فينعم بأنسه ويناجيه ، ويتحدث إليه ،  
ويبته مكنون غرامه وهيامه ، وقد يغيب عنه هذا الطيف فيصبيه الهم والحزن ، كما  
يصيبه الأرق والسهر .  
وترى هذا في شعر الحسين بن الضحاك وغيره ممن نغزلوا في المذكر .  
وفي شعر الغزل العام تقرأ كثيراً من معاني الصبر والفرع ، والوفاء والغدر ،  
والرحمة والجور .



الفرع من هول ما يجرى بين المحبين ، تنذرع لها بالصبر تارة ، وقد يفلت منه الصبر ، فتنتابه الهموم والآلام .

والغدر وكثيراً ما يقع بين المحبين . نتيجة صروف الأيام . أو صروف الهوى ، أو صروف الأهل والأقارب .

والوفاء وهو الوجه الباسم ، الذى يقابل الغدر الكريه العابس .

والجور الذى يكون من الحبيبة ، فتزهو ، وتقسو ، وتتجنى ، وتظلم ، والحبيب لا جريمة له ولا ذنب ، يتوسل ، ويترحم ، ويتوب ، وينوب ، وقد يكون غفران ، وقد يكون انسياق فى التجنى والهجران .

وترى مثل هذا فى شعر أبى نواس ، وحماة ، وابن المعتز ، وابن الضحاك ، وغيرهم ممن تغزلوا فى المذكر .

وفى شعر الغزل بالمرأة تقرأ وصفاً لجمال المرأة : جمال البدن من وجه ، وخد ، وقوام ، وعيون ، وأرداف ، وجمال الحديث ، وجمال الدلال .

وفى الغزل بالمذكر تقرأ شيئاً من هذا :

فأمية بن عبد العزيز يصف انفرادة بالحسن ، وانفرادة بالظرف ، كما يصف خده . وإسماعيل الأزدى يصف ألحاطه ، ووجهه .

والحسن بن وهب يصف المقلتين ، وإشراق الوجه .

فى حب الفتى طهارة وعفة كما فى حب الفتاة . وهذا ما عناه ابن داود . وفى شعر الغزل بالمذكر طهارة وعفة كما فى شعر الغزل بالمرأة . كما أن فيهما سفهاً وفحشاً وإقذاعا . نتمسك القلم عن ذكر شيء من هذا كله .

ويكاد يخيل إلى أنك لو قرأت ما قيل فى المذكر دون أن تعرف المناسبة التى قيل فيها ، ودون أن تعرف ما يصح أن يكون فارقاً بين المذكر والأنثى من الضمائر ، كأن يكون الخطاب بالضمير أنت فلا تعرف التساء مفتوحة أو مكسورة ، أو يكون بالكاف فلا تعرفها مفتوحة أو مكسورة — لم تستطع أن تجزم بأن هذا غزل فى مذكر أو مؤنث .

## الفصل الثاني

### أقسام الغزل

#### ١ - الغزل الصناعي :

قد يتجه الشاعر إلى الغزل بوحى من الصناعة ، الصناعة الشعرية . التي تدفمه إلى هذا اللون من الشعر . فيأتي باللفظ العذب . والمعنى الرائع ، دون أن يعلأ الحب قلبه ، ودون أن يقصد بقوله هذا امرأة بعينها . شغف بها حباً ، وملكت عاطفته ، وشعوره . والشاعر إذ يتحدث عن هذه الناحية ، ويصفها كأنه يريد أن يستوعب أبواب الشعر . وهو إذ يحدثنا هذا الحديث يصور المعانى العامة . التي تجري بين المحبين . أما حالات المحبين الدقيقة . وأما ما يجري بينهم من حوادث خاصة فهو لا يصفها ، ولا يصورها ، لأنه لم يرها بعين نفسه .

وكان الشاعر بغزله الصناعي يريد أن يشبع عواطف الناس . لما يعرفه من مباحم لشعر الغزل ، وأنه قريب إلى نفوسهم . لأنه حديث عن المرأة ، أو بعبارة أدق عن حسن المرأة وجمالها . وذلك مظاهر تغرى بالإعجاب والتبجيل ولأنه رتيب للفضيلة ، رائع المعنى . ولا يخفى أن لهذا أثره في الإغراء والإعجاب .

وفي ظني أن الشاعر العربي في الجاهلية رأى المرأة ، وراقه حسنها وجمالها ، فكلف بها ، وتغزل فيها ، وتحدث في شعره عن حسنها وجمالها . ولكن هذا الشاعر شغفته أحداث كثيرة ، هي الأحداث التي كانت تسغل العرب في العصر الجاهلي . فلم يتسع وقته ، ولم يتسع أفق حياته ، ومظاهر عيشه عن أن يجرى في هذا المجال ، ويتفرغ له ، ويجعل عاطفته وحاسته طوع هواه . ولهذا اتعد في شعره عن الغزل الذي

يصور فيه امرأة بعينها ، ويتحدث عن حاله معها ، وهي كثيرة الشئون والشجون ،  
ابتعد عن هذا قليلا إلى المعانى العامة فى الغزل . أو بعبارة أخرى ابتعد عن هذا  
إلى الغزل الصناعى .

والغزل على هذه الصورة لا يمثل حبا خاصا . ولا لذة خاصة . ولكنه يصور  
كثيراً من المعانى العامة التى تجرى بين المحبين . والمقصود بهذا التصوير الفن فى ذاته ،  
والخيال فى ذاته ، والتشويق فى ذاته ، لا يتجاوزها إلى ما عداها من عاطفة حارة صادقة  
أو متعة عابرة سافرة .

وقد يطعن فى هذا القدر من الشعر أن صاحبه غير مدفوع بحمارة الحب ، وثار  
الهوى ، فتصويره المعانى ضعيف فاطر ، كمن يصف معركة ، لم ير أهوالها ، ولا أحداثها ،  
فهو يتخيل ، ويصور هذا الخيال .

وربما يدفع هذا الطعن أن تصوير المعانى ، وإن كان فاتراً ضعيفاً ، ولكنه يشير  
حساسية القارئ أو السامع ببضعة أبيات من الغزل ، فيعجب ويغرب . وحينذاك  
وقد نفتح قلبه ، وتفتق ذهنه ، يصفى إلى سائر القصيدة فى وعى ، ويقظة ، وحسن قبول .  
ولعل القارئ يحتاج إلى بعض الأمثلة لبسط ما نقول :

### فى العصر الجاهلى :

يقول امرؤ القيس فى معلقته :

قفا نباك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحو مل<sup>(١)</sup>

ويقول النابغة الذبياني :

عوجوا فخيوا النعم دمنة<sup>(٢)</sup> الدار ماذا تُحيمون من نؤى<sup>(٣)</sup> وأحجار

( ١ ) الدخول وحومل : مكانان بين البصرة وجبل بنجد .  
( ٢ ) الدمنة : ما اجتمع  
من آثار الديار .  
( ٣ ) النؤى : الحفير يكون حول الجباء يمنع المطر .

ويقول عنتره :

هل غادر الشعراء من مِتَرَدَمٍ (١)  
 أم هل عرفت الدار بعد تههم (٢)  
 يا دار عابثة بالجواء تكلمى  
 ويقول طرفة بن العبد :

نلوح كباقي الوشم (٦) في ظاهر اليد  
 نخولة (٣) أطلال بئرقة (٤) شهيد (٥)  
 ويقول عبيد بن الأبرص :  
 طاف الخيال علينا ليلة الوادي  
 من أم عمرو ولم يُلمِّم بميمسار

في العصر الإسلامي :

يقول جرير .

ما المنازل لا يُجِبُّن حزيننا  
 أصمِّين أم قدُم المدى فباينا ؟  
 ويقول الفرزدق من قصيدة يمدح بني شيبان :

ألمنا على أطلال سعدى تسلم  
 دوارس لما استنطقت لم تكلم  
 وقوفاً بها صحبي على وإنما  
 عرفت رسوم الدار بعد التوم  
 يقولان لانهلاك أسّي ولقد بدت  
 لهم عبرات المستهام المتسيم  
 فقلت لهم لا تعذّلونى فإنها  
 منازل كانت من نوار بمعلم  
 ويقول القطامي :

إنا محبوك فأسلم أيها الطلل  
 وإن بليت وإن طالت بك الطليل  
 ليس الجديد به تبقى بشاشته  
 إلا قليلا ولا ذو خلة يصل

(١) نردم الرجل ثوبه : رقعته .  
 الشعراء على شئناً أصلحه . ثم ساءل نفسه : هل عرفت دار محبوبك بعد شدة البحث عنها .  
 (٢) النوم : الفرس . معنى البيت : لم تترك  
 (٣) اسم محبوبته .  
 (٤) البرقة : مكان اختلط رايه بمباراة أو حصن .  
 (٥) موضع في دار بني عامر .  
 (٦) النقش على اليد ، وهو المسمى ( باللق )

والعيش إلا عيش ما تقرّ به عين ولا حال إلا سوف تنتقل  
ويقول<sup>(١)</sup> يزيد بن ضبة في مطاع قصيدة :

أرى سامي تصدّ وما صددنا      وغير صدودها ككنا أردنا  
لقد بَخِثَتْ بنا نالها علينا      ولو جادت بنا نالها حمدنا  
وقد ضنت بما وعدت وأمست      تغير عهدا عما عهدنا  
ولو علمت بما لا قيت سامي      فتخبيني وتعلم ما وجدنا  
تلمّ على تنائي الدار منا      فبسهرونا الخيال إذا رقدنا

في العصر العباسي :

يقول<sup>(٢)</sup> البحترى في مطاع قصيدة يمدح المتوكل :

ردى على المشتاق بعض رقاده      أو فاشركيه في اتصال سهاده  
أسهرته حتى إذا هجر الكرى      خلّيت عنه ونمت عن إسعاده  
وقسا فؤادك أن يابن للوعة      باتت تقلقل في صميم فؤاده  
ولقد عذرت فهان طوعاً للهوى      وجنبته فرأيت ذل قياده  
من منصفى من ظالم ملكته      ودى ولم أملك عزيز وداده  
إن كنت أملك غير سالف وده      فبليت بعد صدوده ببعاده

ويقول من مطاع قصيدة يمدح أحمد بن اسماعيل :

عرجوا فالدموع إن أبك في الربيع دموعي والاكتئاب اكتئابي  
وكثل الأحباب لو يعلم العا      ذل عندي منازل الأحباب  
ويقول<sup>(٣)</sup> المتنبي في مطاع قصيدة يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد :  
أرقّ على أرق ومثلي يأرق      وجوى<sup>(٤)</sup> يزيد وعبرة تترقرق

(٢) ديوان البحترى ج ٢ ص ١٢٩

(١) الأغانى ج ٧ ص ٩٥

(٤) الجوى : الحرقه من حزن أو عشق .

(٣) ديوان المتنبي ج ١ ص ٤٧٧

جهد الصبابة أن تكون كما أرى  
ما لاح برق أو ترنم طائر  
جربت من نار الهوى ما تنطفي  
وعذلت أهل العشق حتى ذقته  
وعذرتهم وعرفت ذنبي أنني  
عين مسهّدة وقلب يخفق  
إلا انثنت ولى فؤاد شتيق<sup>(١)</sup>  
نار الغضى<sup>(٢)</sup> وتكلّ عما تحرق  
فمجبت كيف يموت من لا يعشق  
غيرتهم فلقيت فيه ما لقوا

ويقول<sup>(٣)</sup> بشار في مطلع قصيدة يمدح سليمان بن هشام بن عبد الله :

نأنتك على طول النجاور زينب  
يرى الناس ما تلقى بزوينب إذ نأت  
وقائلة لى حين جد رحيلنا  
وما شعرت أن الهوى سوف تشعب  
عجيبا وما تُخفى بزوينب أعجب  
وأجفان عينها تجود ونسكب

ويقول<sup>(٤)</sup> أبو نواس في مطلع قصيدة يمدح العباس بن عبد الله بن جعفر :

فاسقنى طاب الصبوح<sup>(٥)</sup>  
اسقنى حتى ترانى  
قهوة تذكر نوحا  
حين شاد الفلك نوح  
طيبُ عَرف فيفوح<sup>(٦)</sup>

ويقول<sup>(٧)</sup> :

عاج الشقي على رسم يسائله  
يبكى على طلل الماضين من أسد  
ومن تميم ؟ ومن قيس ولفهما  
لا جف دمع الذى يبكى على حجر  
وعُجبت أسأل عن خمارة البلدي  
لا درّ درك قل لى من نو أسد ؟  
ليس الأعراب عند الله من أحد  
ولا صمّا قلب من يصبو إلى وتد

(١) الشيق : المشاق (٢) الغضى شجر معروف يستوقد به وتكون ناره أبيض . يريد أن يقول :  
إن نار الهوى أشد إحراقاً من نار الغضى .  
(٣) عصر المأمون ج ٢ ص ٢٧٣  
(٤) عصر المأمون ج ٣ ص ٢٤٠  
(٥) الصبوح : ما أكل أو شرب صباحاً .  
(٦) العرف : الرائحة مطلقاً ، ويكثر استعماله فى الرائحة الطيبة . (٧) حديث الأربعة ج ٢ ص ١٢٠

كم بين ناعت خمر في دَسَا كَرِهَا      وبين باك على نُؤى ومُنْتَضِد (١)  
دع ذا عَدِمْتُكَ وأشربها معْتَمَّةً      صمراء تفرق بين الرُّوح والجَسَد  
ويقول (٢) ابن هاني الأندلسي في قصيدة مدح :

فتنكات طرفك أم سيوفُ أبيض      وكؤوس خمر أم مراشفُ فيك  
أجِلَادُ مرهفة وفتك محاجر      ما أنتِ راحمةٌ ولا أهْلوك  
يا بنت ذى البرد الطويل نجاده      أكذا يجور الحكم في ناديك  
قد كان يدعوني خيالك طارقاً      حتى دعاني بالقتنا داعيك  
عينك أم مغناك موعِدُنَا وفي      وادي الكرى ألقاك أم واديك  
ويقول (٣) ابن عمار في مطلع قصيدة يمدح المعتضد :

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى      والنجم قد صرف العنان عن السرى  
والصبح قد أهدى لنا كافوره      لما استرد الليل منا العنبرا  
والروض كالحسنا كساه زهره      وشياً وقلده نداءه جوهره

### في العصر الحديث :

يقول (٤) حافظ إبراهيم في مطلع قصيدة يمدح محمود سامي البارودي :  
تعمدت قتلى في الهوى وتعمدا      فما أتمت عيني ولا لحظة اعتدى (٥)  
كلانا له عذر فعذري شبيبتى      وعذرك أنى هجت سيفاً مجردا  
هوينا فما هُنا كما هان غيرنا      ولكننا زدنا مع الحب سُودُدا  
ويقول (٦) أحمد شوقي :

أُنَادِي الرَّسْمَ لَوْ مَلَكَ الْجَوَابَا      وَأَجْزِيهِ بدمعِي لو أَنَابَا

(١) الدسكرة : بيت يكون فيه الشراب والملاهي ، ويقال ابتصد القوم بمكان كذا : أى اجتمعوا وأقاموا . (٢) بلاغة العرب ص ١٧٤ (٣) بلاغة العرب ص ١١٧  
(٤) ديوان حافظ ج ١ ص ٤٠ (٥) المعنى في هذا البيت والذي بعده أنني تعمدت قتل نفسي بتعرضي لهواك ، وتعمدته أنت أيضاً بنظرتك لى ولكن لا ذنب لى لأنى معذور بشبيبتى ، ولا أنت معتد لأنك معذور بتعرضى لك . (٦) ديوان شوقي ج ١ ص ٥٤

وقلّ لحقه العبراتُ تجري      وإن كانت سوادَ القلب ذابا  
سَمَنْ مُمَبَّلَاتِ التُّرْبِ عني      وأدّينَ النَّحِيَةَ والخطابا  
نثرن الدمعَ في الدَّمَنِ البوالى      كنظفى في كواعها الشبايا<sup>(١)</sup>  
وقفتُ بها كما شاءت وشاءوا      ووقوفاً علّم الصبرَ الذَّهابا  
ويقول محمد عبد المطلب في مطلع قصيدة :

خليلىّ قلبى بسامى عميدُ      ووجدى بها كلَّ يوم يزيدُ  
يُدَّ كَرِينِهَا إِذَا جُنَّ لَيْلِي      شَمَالُ تَهَبِّ وَغَصْنُ يَمِيدِ  
وبرق يلوح وطيرٌ ينوح      وحادٍ له فى المطايا نشيدِ  
فأما الشيال فتهدى شذاها      وكالغصن ذاك القوامُ الميود<sup>(٢)</sup>  
ونوحُ الحمام نشيد الغرام      يشنّف سمعى منه القصيدِ

\* \* \*

هذه الأمثلة التي ذكرناها تشهد أن هذه القصائد ، وقد قيلت في أغراض مختلفة بدئت بمثل ماقرأت من أبيات الغزل .

ولم يعرف عن هؤلاء الشعراء أو عن كثير منهم أنهم أحبوا ، ولم تكن قصائدهم الشعرية قيلت في الغزل وحده ، إنما هي بضعة أبيات قد تزيد ، وقد تنقص يقصد منها بدء القصيدة بالغزل .

وصدق المتنبي إذ يقول في هذا المعنى :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم      أكلُّ فصيح قال شعراً متيم  
والمتنبي يعنى أن الشعراء أو كثيراً منهم حين بدءوا شعرهم بالنسيب لم يكونوا محبين ، ذوى تيمٍ وغرام ، بل أرادوا تصوير معانى الغزل .

(١) الكواعب : ناهدات الثدي والمراد بها هنا الدبار قبل أن تستحيل إلى دمن .

(٢) ماد : تنى وتمايل .



وهذا هو الغزل الصناعى .

ولعلك نلاحظ أن فى معظم هذه الأبيات تصويراً لكثير من المعانى العامة للغزل ،

وهى لاتعدو :

دار الحبيبية ، والطيف ، وغصص الهوى ، وجمال المرأة .

فالدار عزيزة على الحبيب ، لأن فيها مشوى الحبيبة ، وكل أثر من آثارها حبيب

إلى النفس ، يشوقها ، وتحنو إليه .

وإن ما عرف عن العرب من نُقْلة ، جعلهم يظعنون ويرتحلون ، فيخلفون وراءهم

ديارهم ، فيفعل بها الزمن ، ويفعل بها الريح ، ويقتضى هذا التغيير أن تصويراً أطلاقاً

بالية ، يمر الشاعر بها ، أو يتخيل أنه يمر بها ، فيدعوه الوفاء ، والحنين إلى الحبيب

أن يعرج ، وأن يسائل صحبه أن يوقفوا المطى ، وهنا تطوف فى ذهنه الذكريات

فيحبي هذه الدار ، ويحبي ساكنيها ، ويتأسى على فراقهم وهنا يسائل الربع : كيف

غيره البلى ؟ وأين ارتحل سكانه ؟ يسأله لعله يتحدث عما كان ، وما كان حلولذيذ ،

ولكن الربع لاينطق ولايجيب . ومع ذلك فهو لاينقم عليه ، بل يدعو الله أن يسقيه

الغيث ، وأن يعود إليه الأهل والأحباب .

وطيف الحبيب نوع من الذكرى ، فإذا غاب شخص الحبيب كان خياله صورة

منه ، ينظر إليه ، ويحدثه ويناجيه ، ويلومه على هجره وتجنه ، وفى غصص الهوى

يحدثك الشاعر عن الفراق ، ومايترك فى النفس من مرارة وألم ، فهو منهوك القوة ،

ضعيف البدن ، لا يصيبه النوم إلا لماما ، ويحدثك عن جور الحبيبة ، فهى لا ترق

ولا ترحم ، وهى لاتأسو علتة بوصول ، بل تزيد فى نكرها ، قهجره وتجفوه ، وترميه

باللوم والعدوان .

وفى بعض البدايات يحدثك الشاعر عن جمال المرأة ، يحدثك عن ملاحظة وجهها

واعتدال قوامها ، وسحر أخطاها ، ومراسف فيها .

وهذه المعاني وإن وجدت في جميع العصور ، إلا أنها تختلف بعض الاختلاف :  
 ففي العصر الجاهلي نرى بكاء الأطلال غالباً .  
 ذلك لكثرة رحيلهم ، ولأن الوصف كان غالباً في شعرهم ، وبكاء الأطلال  
 لا يعدو أن يكون وصفاً ، ولم يخالف هذا النحو فيما ذكرنا من أمثلة الإعييد بن الأبرص  
 حيث تحدث عن الطيف . كما أن أصحاب المعلقة لم يخالفوا هذا النحو أيضاً إلا عمرو  
 ابن كلثوم حيث قال في مطلع معلقته :

الاهبي بصحنك<sup>(١)</sup> فاصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا<sup>(٢)</sup>

وبقى بكاء الأطلال في كل العصور .

ولكننا في العصر الإسلامي نرى « يزيد بن ضبة » يذكر في مطلع قصيدته صد  
 الحبيب ، وخيال الحبيب .

وفي العصر العباسي غلب بكاء الأطلال نوع آخر هو الحديث عن غصص  
 الهوى . وإن كان بكاء الأطلال لا يزال قائماً .

والسر في ذلك أن العرب في هذا العصر بعدوا عن حياة البدو ، وما تدعو إليه  
 من نقلة ورحيل ، وبعثوا في وصفهم عن الأطلال إلى ما تقضى به مظاهر الحضارة  
 في هذا العصر من وصف القصور ومجالس اللهو وضروب الترف . ثم كان للعرب  
 من شعراء العهد الأموي تراث من الغزل العذري . ويغلب على هذا النوع من الغزل  
 تباريح الهوى . وكلها من هموم وآلام ! . فكان من الطبيعي أن يتأثر الشعر ببعض  
 ما غلب عليه في العهد الأموي .

وشيء آخر كان له الأثر الفعال . هو أن حضارة الفرس طبعت العرب بطابع  
 خاص فيه ثورة على القديم . وفيه حرب على ما ألف العرب . وحمل لواء هذه الثورة  
 الشعراء الذين نشأوا من أصل فارسي ، وزعيم هؤلاء أبو نواس .

(١) الصحاح القدر العظيم . (٢) قريه بالشام .

عاب أبو نواس بكاء الأطلال ، ودعا إلى البدء في وصف الحجر ، وكان صارما  
عنيفا في تصوير هذا العيب ، كما كان ملحاً في قبول دعوته الجديدة ، وذلك ما تراه  
فيما ذكرنا من أمثلة .

كما أن بيئة الأندلس أوحى إلى بعض الشعراء أن يبدؤوا بعض قصائدهم بوصف  
الطبيعة ، وجمالها ، كما فعل ابن عمار .

وفي العصر الحديث ترى من يذكر في مطلع القصيدة الديار ، كأحمد شوقي  
ومن يذكر تباريح الهوى ، كحافظ إبراهيم ، ومحمد عبد المطلب .

## ٢ — الغزل العذرى :

وهذا النوع من الغزل يختلف عن سابقه كل الاختلاف . فهو حديث  
عن القلب . القلب الذي أحب ، واكتوى بنار الحب . يتحدث، عن هذا الحب ،  
وهذه النار . وهو حب صادق بريء ، لأنه يصدر عن وفاء وإخلاص . يصدر  
عن ود متبادل ، لا تشوبه شائبة من اللهو والمجون ، والعبث والفجور ، لا تراه وصفاً  
ماجناً أو حديثاً خليعاً ، أو قولاً ساخراً .

شاعر الغزل العذرى يتحدث عن حبيبة نفسه ، وهي واحدة بعينها ، يذكرها  
في غدوه ورواحه ، وفي حله وترحاله ، وفي نومه ويقظته ، وفي رخائه وشدته ، وحين  
تجود بوصاله أو تجفوه . وحين يلتئم الشمل ، أو تفرق بينهما الأيام . وهو في هذا كله  
يصفها ويصورها ، يصفها وكأن كل شيء فيها فائن جميل ، ويصورها وكأن كل أحوالها  
— مهما كانت — لذة ومتعة .

وما أجمل هذا الوصف !

وما أروع تلك الصورة !

لأن الحديث فيهما صادر من القلب . وما خرج من القلب حل في القلب .

ولأن الحديث فيهما تمثيل للوفاء والإخلاص ، والتضحية والمروءة .  
وأجمل بهذه المعاني !

وشاعر الغزل من هذا النوع يكون أكثر رقة في اللفظ ، وجودة في المعنى ، وعمقاً في دقة التصوير ، وحسن الخيال ، لأنه يصدر في ذلك عن حس مرهف ، ومن قلب حي ، ويتحدث بألفاظه ومعانيه وأخيلته عن مثله الأعلى ، وتمثل كل شيء فيها وهذا يدعو لأن يتقن ويبدع ، أو يدعو لأن يرسل نفسه على فطرتها ، فيكون ما توحيه حلواً جميلاً ، لأنها فطرة بريئة طاهرة ، والبلد الطيب لا يخرج إلا النبات الطيب .

وهؤلاء الشعراء يمثلون لك في شعرهم الغزل الصادق ، والغزل الحى ، والغزل في كل صورة ، وفي كل شئون وشجون . يرى الشاعر ذلك كله في حياة الحب ، بينه وبين هواه<sup>(١)</sup> ، فيحملة إلينا شعره ، فنعجب به ونطرب ، ونطلب منه المزيد ، لأنه قوى ، ولأنه رائع جميل .

وهذا النوع من الغزل ضرب من المثل العليا ، وهذا الضرب لا تجده إلا في قلة وندرة ، لا تجده في شاعر إلا إذا أوتي طهارة القلب ، وصفاء الحس ، وأوتي التوفيق في حبه ، فكانت له المرأة التي توليه من قلبها كما أولاهها من قلبه ، وكانا صادقين في هذا الولاء ، وكانا كريمين في هذا الحب .

حينذاك يوجد الغزل العذرى ، وحينذاك يوجد شاعر الغزل العذرى ، وليس بكثير أن يجود الزمن بشاعر تتمثل فيه هذه الصفات ، ولذلك لم يكن بكثير أن نقرأ أمثلة لهذا النوع من الغزل في بعض العصور ، وعند بعض الشعراء .

وهذا النوع من الغزل ينشأ حيث يتوافر للشاعر هذا التوفيق الذى ذكرنا أسبابه وعوامله .

---

(١) من يحبه ويهواه .

وفي يقينى أن الغزل العذرى لم ينشأ فى العصر الجاهلى .  
لأن شعراء هذا العصر وإن كان قد أثر عن بعضهم أنهم تغزلوا فى امرأة بعينها ،  
ولكن غزلهم لم يكن فناً قائماً بذاته ، ولم يكن معروفاً فى ذلك الوقت أن شاعراً ما ،  
كان شعره قاصراً على الغزل ، وعلى الغزل بأسرأة يحبها وتحبه ، فأودع شعره كل  
ما قاله فيها .

ولم ينشأ فى العصر الإسلامى .  
لأنه كانت أحداث أخرى : أحداث الدين الجديد ، ونشره ، وفتح الفتوحات ،  
ورفع راية الإسلام ، ومن شأن هذا أن يغلب الناس على كل شىء .  
وفى العصر الأموى حيث استتب الملك ، وأصبح الناس فى ظله الوارف ،  
وفى ضروب من الدعة ، والراحة ، والطمانينة ، والرخاء ، وأصبح فريق منهم يسكنون  
بادية الحجاز لم يكن لهم حظ من هذا الترف . بل كان يؤس وحرمان جرهم إلى حال  
من اليأس ، وإلى حال من الزهد وإلى حال من صفاء الروح . يتجرد عن المادة  
إلى حياة خالصة طاهرة ، جملتهم يجنحون إلى الطموح والنشل العليا ، وحداهم ،  
هذا الطموح إلى أن يكون لهم تفكير جديد فى الأدب .  
وكأنهم بهذا ثاروا على الأوضاع العابثة ، التى كانت فى مدن الحجاز ، ونشأ عنها  
الغزل المماجن ، الذى سنحدثك عنه .

ولعلك تعلم أن العصر الأموى كان عصر بناء وعمران .  
لأنه جاء بعد جهاد عنيف ، وجاء بعد ثورة دامية ، حاربت الظلم والظنانيان  
وحاربت دولا وعروشاً ، كانت لها نظم وأساليب تخالف ما جاء به دين الإسلام .  
فكان لزاماً وقد سكنت النفوس واستقرت أن تبحث لها عن تقاليد جديدة  
فى الحياة ، ومن هذه التقاليد ما تعرف من مظاهر الملك .  
ومن هنا أن وجدت جماعات وأحزاب يتنازعون الملك والسلطان .

ومنها أن اتجه كثير من رجال الرأي والفكر إلى ألوان من الإصلاح والاجتماع .  
فلم لا يوجد نوع جديد من الغزل؟ يساير هذا البعث الجديد ، أو هذه الحياة الجديدة .  
والأدب وحي الحياة ، ومرآة الوجود .

بلى . وجد الأدب الجديد ، ومنه الغزل العذرى .

في مثل هذه البيئة ينشأ شاعر الغزل العذرى ، الذى يصور فى شعره عاطفته  
الحارة ، وقلبه الثائر ، الذى هام حباً بامرأة ، عذبتة ، وأضنته ، ومع ذلك فهو مغرم  
بها متيم ، وهو يجد فى هذا العذاب لذته ومتعته .

إذن فى العصر الأموى نشأ الغزل العذرى ، فوجدنا جماعة من هؤلاء الشعراء ،  
وعلى رأسهم جميل بن معمر العذرى الذى أحب بثينة ، وسار على دربه جماعة  
من بعده . ويحدثنا كتاب الأغاني عن هذا الشاعر . ونقرأ فى شعره صوراً كريمة  
لهذا الغزل العذرى .

ويحسن قبل أن ندخل فى الحديث عن حياة هذا الشاعر ، وتحليل شعره ، ووصف  
ما جرى بينه وبين حبيبة نفسه أن نرسم صورة عن المثل العليا التى يصح أن تجرى  
فى حياة المحبين .

فما هى تلك المثل ؟

من هذه المثل :

أن يكون الحب كلفاً بحبيبتة ، وأن يهواها بعين قلبه ، لا بعين هواه ، قلبه  
الطاهر البرىء ، لاهواه العايب الساخر ، هوئى تزيده الجفوة قوة ، وتزيده البعاد قرباً .  
وأن يكون مغرمًا مدنقًا ، متيماً ، ترى ذلك فى جسمه الناحل المهدود ، وفى قوله  
الذى تتلمس فيه صباية الهوى ، وحرقة الغرام .

وأن يكون مجاهدًا بما تحوى كلمة الجهاد من عزم وصبر ، فهو يجاهد هوى النفس  
حتى يكون بريئًا خالصًا ، وهو يجاهد غصص الحب ، وما أكثرها من هجر وصد ،

ووشاة ، وعواذل ، يجاهد هؤلاء جميعاً ، حتى يفلهم على أمرهم ، وحتى يصل إلى حبيبة  
نفسه ، يلتقاها ، وتلقاه ، وتتقابل هزات القلوب ، ويكون الصعاء ، ويكون النعيم .  
وأن يكون وفيّاً أميناً ، لا يخون العهد ، ولا ينقض الميثاق ، يجبها وحدها دون  
سائر الناس ، ويتغنى بهذا الحب في كل زمان ومكان ، ويزهو به ولو آذوه وعذبه .  
هذا هو الحب العذرى .

وذلك هو جميل بن معمر العذرى .

أحب جميل بثينة وتغزل بها في شعره ، ولم نعرف أنه تغزل بامرأة أخرى ، إلا أم  
الجسير - وهي أخت بثينة - في بضعة أبيات .

ملكته عليه قلبه ، ولم يفتّر حبه لها .

هجرته . وارتحلت عنه : فوصلها ، وسافر إليها .

لامه أهله في سبيل حبا ، وأرادوا أن ينحّوه عنها : فزاد كلفها بها .

طارده أهلها ، وتر بصوا به ، وأرادوا به كيداً : فاحتمل صنوف سوء والأذى .

قال الوشاة ، وأكثروا من القول : لم يصدق ، ولم يسمع ما يقولون ، بل غاظهم ،

وزاد في نعمتهم .

أهدر السلطان دمه إن سعى إلى رؤيتها ، أو ألمّ بواديتها : وكان دمه الغالى

رخيصاً إذا قدم قرباناً في سبيل الحبيب !

والآن أترك الشعر ، يترجم عن جميل :

وخذني بحظك من كريمٍ واصلٍ

حُبِّي بثينةً عن وصالكِ شاغلي

بالجد تخلفه بقول المازل

أُبشِرُ إنكِ قد ملكتِ فأسججني<sup>(١)</sup>

فأجبتها في القول بعد تسترّ

قربٍ عارضةٍ علينا وصلها

(١) ارفق وتلطنى .

لو كان في صدري كقدر قلامة<sup>(١)</sup> فضلا وصلتك أو أتتك رسائلي

\* \* \*

ويقان إنك قد رضيتِ بباطلٍ منها فهل لك في اجتناب الباطل  
ولباطلٍ مما أحبّ حديثه أشهى إلى من البغيض الباذل  
ليزرن عنك هوائى ثم يصلننى وإذا هويتُ فما هوائى بزائل

\* \* \*

صادت فؤادى يا بشينِ حبالكم يوم الحجون وأخطأتكِ حباتلي  
منيتنى فلويت ما منيتنى وجعلت عاجل ما وعدت كآجل  
وتشألت لما رأت كلفنى بها أحب إلى بذاك من متشائل  
وأطعت في عواذلا فهجرتني وعصيتُ فيك وقد جهدت عواذلي  
حاولننى لأبت<sup>(٢)</sup> حبل وصالكم منى ولست وإن جهدت بفاعل  
فرددتهن وقد سعين بهجركم لما سعين له بأفوق<sup>(٣)</sup> ناصل<sup>(٤)</sup>  
يععضن من غيظ على أناملا ووددت لو يعضن صمم جنادل  
ويقان إنك يا بشينِ بخيلة نفسى فداؤك من ضمين باخل  
ماذا يعنى أن يقول جميل؟

في المجموعة الأولى :

يحدثنا عن كلفه بيثينة ، وأنه شغل بها كل قلبه ، ولم يبق منه شيء خال ، حتى قدر القلامة ، وأنه وفي لها ، لا يتخلى عنها إلى غيرها من النساء ، مهما كانت جميلة ، فاتنة الجمال ، ومهما أغرته بضروب من الإغراء .

وفي المجموعة الثانية :

يحدثنا عن العواذل . وكان جميل قد أتى بثينة لوعدها ، وعرف أهلها ذلك ،

(١) القلامة : ماسقط من الشيء المقلوم ، ويقصد بالقلامة هنا القدر القليل اليسير .  
(٢) حبل وصله : حفاء وطمعه  
(٣) السهم الأفوق : السهم الذى به انكسار  
(٤) ناصل : لا يصل له .



فخرسوها ، ومنعوها أن تذهب للقائه ، وطال بجميل الانتظار حتى أسفر الصباح .  
فماد كئيها ، سيء الظن بها ، وكانت الفرصة سانحة للعاذلات من نساء الحى . أخذن  
يلمنه ويقرّعنه ، ويكرهن إليه بثينة ويصورن ما حدث من إخلافها الوعد في صورة  
قائمة سوداء ، فهى كذوب غادر ، وهى مشغولة بحب سواه .

يقول له نساء الحى هذا القول ، ويفرينه باطراح هواها ، ويقدمن إليه من هوى  
أكثر حسناً ، وأكثر روعة ، وأكثر جمالا .

ولكن هذا القول ثقيل إلى جميل ، فهو يعرف أنهم يردن إزالة هواه عن بثينة ،  
ويصدهن صدأً عنيفاً ، لا أمل بعده ، فهو إذا هوى لا يزول هواه .

وفي المجموعة الثالثة :

يحدثنا عما يليق من حبيبته بثينة . وكيف جازاها على ذلك بالوفاء لها والتفانى في حبها .  
لحق جميل من بثينة أن منتهه فأخلفت الأمانى ، وأن تناقلت حين رأت كلفه  
بها ، وأنها أطاعت العواذل فهجرته ، وحفته .

أما جميل فقد رضى بتناقلها . وعصى العواذل في هجرها ، وعاظهن ذلك ، وود  
أن يعضض الأحجار الصلدة ، لا الأنامل ، ويدفعه الوفاء فوق ذلك إلى أن يدفع  
عنها أنها بخيلة ، وأنه رضى بهذا اليخل ، ويمدى صاحبته بنفسه ، وهى أعز شىء إليه .  
ويقول (١) :

خليلى عوجا اليوم حتى تساماً	على عذبة الأنياب طيبة النشر (٢)
ألتا بها ثم اشفعنا لى وساماً	عليها سقاها الله من سائغ القطر
وبوحا بذكري عند بثنة وانظرا	أترتاح يوماً أم تهش إلى ذكرى
فإن لم تكن تقطع قوى الود بيننا	ولم تنس ما أسلفت في سالف الدهر

(١) الأغاني ج ٨ ص ١٥٠ (٢) النشر : الرائحة الطيبة .

فسوف يُرى منها اشتياقٌ ولوعة  
 وإن نكُ قد حالت عن العهد بعدنا  
 فسوف يُرى منها صدودٌ ولم تكن  
 أعوذُ بك اللهم أن تشحطَ النوى  
 وجاورُ إذا ما متُّ بيني وبينها  
 عدمتُك من حبٍّ أَمَا منك راحةٌ  
 ألا أيها الحبُّ المبرح هل ترى  
 أجيدك لا نَبِيَّ وقد بَلَى الهوى  
 في هذه الأبيات يحدثنا جميل عن بَنِّه وهواه .

فارقته بثينة ، وفراقها عزيز على نفسه . فهو يرسل لها الرسل . يحميونها ، ويسلمون  
 عليها . تحية جميل ، وهي صادقة حارة . وسلام جميل ، وهو حلو كريم . ثم يستشفعون  
 له ، ويتوسلون إليها ، لعلها ترق وترحم ، وعلها تصله بعد جفوة ، وترضى عنه بعد هجران .  
 وجميل حين يتشفع ويتوسل لا يُبقي على حيلة أو وسيلة ، يكسب بها رضا بثينة .  
 ويعرف مدى حظه من هذا الرضا .

يطلب جميل من الرسولين أن يبوحا لها بذكره ، وفي ذكره لوعة ، وحنين ،  
 واشتياق . وأن يتحدثا عن سالف وده ، وكله صباية ، ووجد ، وغرام .

ولينظر بعد ذلك قسامات وجهها ، ففيها الجواب الحاسم .  
 فإن كانت ترتاح إلى ذكره ففي ذلك خير لا يعدله خير .  
 وانظر كيف أنه يرضى منها بالقليل . لا يطلب أن تبثه الغرام والهوى كما بثها .  
 ولا يطلب أن تقابل الأنين بالأنين ، واللوعة باللوعة . وهيات أن تقوم المساواة بين  
 الرجل والمرأة في هذا الشأن !

ثم انظر كيف أنه يرضى منها بالجواب السلبي لا الإيجابي . فكل ما يصبو إليه

الأتقطع الود بينه وبينها ، أما الوصال الكامل ، فهذه غاية لا يدركها المحبّ التميم .  
ثم انظر كيف تعلقتم به الآمال . فرتب على هذا القدر القليل أن سيكون لها  
في المستقبل لوعة واشتياق . والمحّب يعيش دوماً في ظلال الأمل .  
وتأمل ماذا قال بعد ذلك ؟ .

صوّر لنا الوجه العابس . الذى تصغى فيه الحبيبة إلى من يلوم ويعذل ، فتصد  
وتجفؤ . وذلك غدر ليس من شيمتها . فالحب الصادق لا يرمى حبيبته بتهمة أو سوء  
لأنه يرتفع بها عما يعيب ويشين . وهو يدعو الله ألا يكون فراق بينهما دوم الحياة .  
وأن يكون - حين الموت - قبرهما متجاورين ، متلازمين . وبهذا يكون الموت حلواً  
جميلاً . لأنه عاش الحياة قريباً منها ، ولأنه مات ، ولم يفقد هذا القرب ، وذلك النعيم  
فلم يحزن على الموت ؟ إنما يحزن الناس لأن خيراً فاتهم . أما جميل فخيره لا يزال بجانبه  
تتناجى أرواحهما في الموت ، كما كانت تتناجى في الحياة ، لافرق في ذلك ولا نقصان .  
ثم أخذ يحدثنا عن حبه ، وما يلقي في سبيله من عناء وشقاء ، وأنه مع ذلك كله  
محب ، ويتفانى في هذا الحب ، ولا يرضى عنه بديلاً .

وماذا نرجو من محب صادق . ومن قلب كريم أن يقول غير ما قال جميل . وأن  
يحدثنا غير هذا الحديث ؟  
ذلك هو الغزل العذرى .

الذى يترجم عن القلب . والذى يصور لك حياة المحبين هذه الصورة الجميلة ،  
التي رأيتها والتي يحسن بك أن تتذوقها حين تقرأ ما ذكرنا من شعر جميل .  
وأن تردد هذه القراءة ، وأن تجعل من قلبك ما يناسب هذا الصفاء ، وهذا الطهر ،  
وهذا الجمال .

ذلك هو جميل ، وتلك هي بثينة ، يحدثنا الشعر عن حبهما الصادق هذا الحديث .  
يحدثنا أيوب بن عباية قال :

سعت أمةً لبثينة بها إلى أبيها وأخيها أن جميلاً عندها الليلة فأتياها مشتملين على سيفين . فرأياه يحدثها ويشكو إليها بثته ، ثم قال لها يا بثينة : أرأيت ودي إياك وشغفي بك ألا تجزيه ! قالت بماذا ؟ قال : بما يكون بين المتحابين . فقالت له : يا جميل . أهذا تبغى ! والله لقد كنت عندي بعيداً منه . ولئن عاودت تعرّياً برية لا رأيت وجهي أبداً . فضحك ، وقال : والله ما قلت لك هذا إلا لأعلم ما عندك فيه . ولو علمت أنك تجيئيني إليه لعلمت أنك تجيئين غيري ، ولورأيت منك مساعدة عليه لضربتك بسيفي هذا ما استمسك في يدي . ولو أطعنتي نفسي لهجرتك هجرة الأبد ، أو ما سمعت قولي :

وإني لأرضى من بثينة بالذي لو أبصره الواشي لقرت بسلابله  
بلا وبأن لا أستطيع وبالمني وبالأمل المرجو قد خاب آمله  
وبالتظرة العجلى وبالحول تنفضي أو آخره لا نلتقي وأوائله  
وهذا هو الحب الصادق البريء الذي عناه جميل بقوله :

أفي الناس أمثالي أحبّ فخالهم كخالي أم أحببت من بينهم وحدي  
وهل هكذا يلتقي المحبون مثل ما لقيت بها أم لم يجد أحدٌ وجدتي

### ٣ — الغزل المأجور :

وهذا النوع — كما يفهم من اسمه يميل إلى وصف المرأة ، وإلى المبالغة في الوصف وإلى مجاوزته إلى ذكر أمور أخرى في المرأة ، تثير اللذة ، والشهوة . وينشأ هذا النوع حيث يوجد الترف . بل حيث يوجد السرف فيه ، عند قوم لا همّ لهم في الحياة إلا أن ينعموا ، وأن ينعموا بوسائل النعمة كلها ، ما خبث منها وما طاب ، وما جهل وما قبيح .

وفي العصر الأموي كانت حياة العرب في العراق والشام قد شغلتهم أحداث

السياسة ، وغلبتهم مظاهر الملك . هؤلاء يؤيدون . وأولئك يعارضون وكل يسلك  
لذلك شتى الوسائل

وفي الحجاز جمهرة من أبناء المهاجرين والأنصار . وقد شغلوا عن ذلك بلون  
جديد في الحياة . هم مغلوبون على أمرهم . لأن ملوك بني أمية يضيقون الخناق عليهم ،  
حتى لا تقوى كلمتهم ، وكانوا يفرونهم في ذلك بالمال والعطاء . وكان جماعتهم الذين  
يسكنون الحضرة أهل ثروة وغنى . فجنحوا إلى الراحة ، ثم اجتناء ثمار الترف والسرف ،  
فكان اللهو ، وكان العبث ، وكان الجون .

وجعلوا من المرأة أداة هذا العبث ، وحمل الشعر إلينا صوراً من الغزل بالمرأة ،  
وكان غزلاً ماجناً سافراً ، يرضى هؤلاء المترفين .

وزعيم هذا الغزل الماجن عمر بن أبي ربيعة .

نشأ عمر بن أبي ربيعة من أسرة قرشية ذات حظ من المجد والشرف ، وذات

حظ من الثروة والغنى ، كسبته من التجارة بين الحجاز واليمن .

عاش عمر في مكة بعيداً عن السياسة والحزبية ، في بيئة كلها سرف وترف .

فنعم ولها ، وجرى وراء المرأة يجد فيها لهوه ونعيمه .

تحدث عمر عن المرأة ، فعرض لجمالها ، وعرض لحسنها ، وعرض لزينتها ، وعرض

لمواضع دلها ، وفتنتها ، وإغرائها ، وأغرق في ذلك إغراقاً ، ولم يتحرج أن يكون

وصفه دقيقاً حساساً .

وكأن عمر في شعره ، وفي غزله كان كالمصور الماهر ، ينشد كل ما هو حسن جميل ،

ويجرب وراء ما هو فاتن جذاب ، ليشبع هوى نفسه ، ويمتع دقيق حسه ، وكما أن

المصور يرسم لنا صورة من هذا الحسن والجمال ، لنستمتع بها فترة من الزمن ،

وتستمتع بها الأجيال المتعاقبة . فكذلك عمر كان ينشد الجمال في الأثني أو في الذكر ،

ينشد الجمال في كل مكان ، وكثيراً ما كان في موسم الحج حيث يتجه الناس إلى بارئهم ، ههفو إليه القلوب ، وتصغى إليه الأرواح .  
قالوا<sup>(١)</sup> :

كان عمر بن ربيعة يسائر عمرو بن الزبير ويحدثه . فقال له : وأين زين المواكب ؟ يعني ابنه محمد بن عمرو ، وكان يسمى بذلك لجماله . فقال له عمرو : هو أمامك . فركض يطلبه . فقال له عمرو : يا أبا الخطاب أولسنا أ كفاء كراما لمحدثتك ومسايرتك ؟ فقال : بلى . بأبي أنت وأمي . ولكني مغرى بهذا الجمال أتبعه حيث كان .  
ثم التفت إليه وقال :

إني امرؤ مولعٌ بالحسن أتبعُهُ لا حظَّ لي فيه إلا لذة النظر

إذن كان عمر ينشد هذا الجمال . يتحين له الفرصة ، ويسعى إليها ، ويبعث وراءها ، فإذا صادف غنا وقف عنده طويلاً ، وتأمله ، واقترب منه . وغلب عليه ، حتى كأنه مغرم متيم . ويظل في تيممه وغرامه ما بقى مقياً بالمرأة ، مزهواً بالجلوس إليها ، والحديث معها . فإذا فارقتها أو فارقته لم يكن يشغل نفسه بها . وبالتالي لم تنطبع في قلبه صورة منها ، يحن إليها ، ويئن على فراقها ، ويسعى ليرأها ، ويستوحى طيفها وخيالها . ولو فعل عمر ذلك ، وفعله طوعاً لقلبه الصيب ، لا إشباعاً لذته ومتعته ، لكان محبباً حقاً ، وكان حبه عندياً وغزله عندياً ، كما كان حب جميل ، وغزل جميل . ولعل هذا ما كرهته بشينة ، إذ زارها عمر بن ربيعة يوماً ، ليكلمها في شأن جميل وقد أهدر الوالى دمه إن وجد عندها . أتأها عمر ووقف على بابها ، وقال لجارتها : يا جارية : أنا عمر بن أبى ربيعة فأعلمى بشينة مكاني . فخرجت إليه بشينة في مبادها . وقالت : والله يا عمر لا أكون من نسائك اللأئى يزعمن أن قتلهن الوجد بك .  
فانكسر عمر .

(١) الأغانى ج ١ ص ١٤٦

كرهت شينة أن تكون واحدة من هؤلاء النساء ، اللاتي يتحدث عمر عنهن ،  
فهى لا تعرف أحاديث اللذة ، ولكنها تعرف حديث القلب ، القلب الذى عرفها  
وحدها ، وتحدث إليها وحدها ، وفام بها وحدها ، وهو قلب جميل .

وَمَنْ هَؤُلاءِ النساءِ ؟

تنزل عمر بعائشة بنت طلحة حفيدة أبى بكر الصديق من جهة أمها ، وزوجة  
مصعب بن الزبير .

كان عمر يطوف بالبيت ، ورأى عائشة ، وكانت من أجل أهل دهرها . بهت  
لما رآها ، وعلمت عائشة أنها قد وقعت فى نفسه ، فبعثت إليه بجارية لها ، وقالت :  
قولى له : انق الله ولا تنقل حجرا . فإن هذا مقام لا بد فيه مما رأيت . فقال للجارية :  
اقرئها السلام ، وقولى لها : ابن عمك لا يقول إلا خيراً . ولم يزل عمر ينسب بعائشة  
أيام الحج ، ويطوف حولها ، ويتعرض لها ، وكان يلقاها وهى تسير بمكة على بغلة ،  
ويقول لها : قفى حتى أسمعك ما قلت فيك ، فتقف ، وينشدها .

وتنزل بسكينة بنت الحسين .

كانت سكينة مع نسوة من أهل المدينة من أهل الشرف ، وتذاكرن عمر وشعره  
وظرفه وحسن حديثه ، فأرسلن إليه ، وأخذ يحدثهن إلى أن أضاء الفجر .

وتنزل بأم محمد بنت مروان بن الحكم ، وفاطمة بنت عبد الملك بن مروان .

أما أم محمد فكانت تحج ، ولما قضت نسكها أتت عمر بن أبى ربيعة ، وحديثها  
مليا ، وقالت له : نَشَدْتُكَ اللهُ أَنْ تَشهرَنى بِشعركَ ! . وبعثت إليه بألف دينار .

وكذلك كان أمره مع فاطمة إذ رآها فى الحج ، وأخذ يحدثها ، وأخذت تحادثه  
وتنشده من شعره . وقال فيها الشعر دون أن يذكر اسمها فرآها من عبد الملك بن مروان

ومن الحجاج .

وتنزل عمر بليلى بنت الحارث البكرية .

كانت تجلس في المسجد الحرام ، فرأت عمر ، فوجهت إليه رسولا ، فقالت له :  
يا ابن أبي ربيعة حتى متى لا تزال سادرا<sup>(١)</sup> في حرم الله تشب بالنساء ، وتشيد  
بذكرهن . أما تخاف الله ؟ . قال دعيني من ذلك واسمعي ما قلت فيك وأنشدها  
من قوله فيها .

وتغزل عمر بهند بنت الحارث المريية .

كانت تجلس مع نسوة ، وأتاهن عمر ، فأخذ يحدثهن ، ويقول في ذلك شعراً .  
وتغزل بلبابة بنت عبد الله بن العباس امرأة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ،  
كانت تطوف بالبيت ، فرآها عمر ، فكاد عقله يذهب ، وقال فيها الشعر .

وتغزل بالثريّا بنت علي بن عبد الله زوج عبد العزيز بن مروان .

وكانت أكثر النساء قرباً إلى عمر ، وكان كثير الحديث عنها ، والكلف بها .  
وتغزل بزيب بنت موسى الجُمَحِيَّة .

ذكرها ابن أبي عتيق عند عمر يوماً ، وأطراها ، ووصف من خلقها ، وأدبها ،  
وجالها ما شغل قلب عمر وأماله إليها . فقال فيها الشعر ، وشبّب بها ، وبلغ ذلك ابن  
أبي عتيق فلامه فيها ، وقال له : أنتنطق الشعر في ابنة عمي ؟ فقال عمر :

لا تلغني عَتِيقُ حَسْبِي الَّذِي بِي      إِنَّ بِي يَا عَتِيقُ مَا قَدْ كَفَانِي

لا تلهسني وَأَنْتِ زَيْنَّتْهَا لِي      أَنْتِ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ

إِنْ بِي دَاخِلًا مِنَ الْحُبِّ قَدْ أَبْغَى عِظَامِي مَكْنُونُهُ وَبِرَانِي

وتغزل بالنَّسْوَار .

رآها بالمزدلفة ، ففتن بها ، وشغلت قلبه ، وتبعها حتى نزلت بمني في مَضْرَبِ<sup>(٢)</sup>  
قد ضرب لها ، فنزل إلى جنبه ، ولم يزل يتلطف حتى جلس معها . وحادثها ،  
وقال فيها الشعر .

(١) السادر : لا يبالي ما صنع . (٢) فسطاط الإقامة فيه .



وتغزل برملة بنت عبد الله بن خلف .

كانت تحب ، وتعرض لها عمر ، وأعجب بها . وقال فيها شعراً . كان سبباً  
في أن هجرته الثريا لما علمت أمره .

وتغزل بكلمة بنت سعد المخزومية .

رأها عمر ، وأرسل لها الرسل ، وأخذ يحتال عليها ، حتى لقيته : وأقام عندها  
شهرًا ثم استأذنها في الخروج ، فقالت له : بعد أن فضحتني ! لا والله لا تخرج إلا بعد  
أن تتزوجني ! ففعل وتزوجها . وولدت منه ابنين .

كما تغزل عمر بأخريات كثيرات ، منهن هند وأسماء ، ومنهن جاريتها بعم ،  
وخميدة جاريتة ابن تفاع .

تغزل عمر بهؤلاء النساء . وفيهن المحصنات المترفات . اللاتي على حظ عظيم  
من الجاه والسلطان . عرض لمن عمر في غزله ، وهو الفتى الفارع الوسيم ، ذو النعمة ،  
والترف ، والثراء . وقد وصفه بعض من رآه بين فتيان بني مخزوم ، فقال : « قد فرعهم  
طولا ، وجهرهم جمالا ، وبهرهم شارة ، وعارضة وبيانا » .

ولعله بان لك فيما تقدم أن عمر كان كما قلت كالمصور الماهر يعرض للجمال .  
فيتحدث عنه ، ويصفه ، ويصوره ، يأخذ منه لذته لوقته ، ثم يطوى صفحة ،  
وينشر صفحة أخرى ، فيها حديث ، وفيها وصف ، وفيها تصوير ، وفيها لذة ومتعة ،  
ولو لم يكن عمر كذلك ما تغزل بهذه الكثرة من النساء ، وما تغزل بمن لم يذكر  
من نساء أخريات .

وأي هذا مما كان يفعله الشعراء العذريون ؟

كان الشاعر العذري يقصر حبه وغزله على واحدة بعينها . يرى من الوفاء  
أن يكون الحديث عنها وحدها . ويرى من الوفاء ألا يكون الحسن إلا لها ، وألا يكون  
القلب إلا لها ، وألا يكون الأنين إلا لفراقها ، وألا يكون الخير إلا في لقائها ، وأنه

يحيا من أجلها وحدها ، ويكره الموت لأنه سيفرق بينه وبينها ، فإذا جمع الموت بينهما بأن حوَّاهما قبر واحد ، أو كان قبراهما متجاورين فالموت حلو جميل !  
كما بان لك أن موسم الحج كان الفرصة السانحة لعمر . إذ كان يقف في طريق الحاج ، يرتقب الحسان ، وهن قادمات من الشام والعراق واليمن ، وكان يتعرض لهن وهن يؤدين معالم الحج . ولا يبالي أن يلتقي منهن إعراضاً أو زجراً . فلا يزال يلاين ويتلاطف . حتى يكون الرضا والقبول .

وفي ذلك يقول عمر :

فلم أر كالتجمير<sup>(١)</sup> منظر ناظر ولا كلياى الحج يفتنّ ذا الهوى  
وبعض هؤلاء النساء كن يخفن التشهير ، والفضيحة ، إذا تغزل فيهن عمر ،  
وذكر أسماءهن . وبعضهن يفرينه ، ويرسلن له الرسل ، ويهيئن له مجلساً معهن ،  
ليحدثهن يوماً أو بعض يوم ، وليقول الشعر فيهن لاهياً متغزلاً .  
ومن النوع الأول - كما ذكرنا - عائشة ، وليلى بنت الحارث ، والنّوار ، وفاطمة ،  
والثريا ، ورَمَلَة ، وكَلَم .  
ومن النوع الثانى : سكينه بنت الحسين ، وأم محمد بنت مروان بن الحكم ، وهند  
بنت الحارث .

أما ما كان من عمر من تعرضه للنساء الجميلات ، ومن جريه وراءهن ،  
ومن جهده معهن . فذلك ما بيننا سببه وباعته . وأما أن بعض النساء كن يفرينه ،  
ويرسلن له الرسل ليحدثهن ، وينشدهن ، ويشبب بهن ، وفيهن المحصنات ، فذلك  
ما يحتاج إلى بعض البيان .

كان للغزل سوق رابجة في هذه الفترة من الزمن . وكان النساء على جانب

---

(١) روى الجمرات في مناسك الحج .

من المعرفة والعلم ، معرفة بالشعر ، وعلم بأصوله وفصوله ، وأخباره ونوادره . وكن مترفات ، فاتنات في الحسن والجمال . وكن يعرفن من عمر غرله ، وهوه ، وسمره ، فلم لا يكون لهن من عمر نصيب ؟

وماذا يمنع لو استمعن إليه . وتحدث إليهن ، وسمرن معه فترة من الزمن ؟ وماذا يمنع لو صور جملهن وحسنهن ، وحمل إلينا شعره صورة من هذا الجمال والحسن ؟ والمرأة هي المرأة تدل بحسنها وجمالها ، وتود لو أن الناس جميعاً تحدثوا عن حسنها وجمالها ، ولكن فيهن محصنات لا يردن أن يشهر بأسمائهن ، فليكن عنهن عمر ، وليقل بعد ذلك مايشاء .

ولعل ذلك يفسر لنا أن عمر بن أبي ربيعة كان معروفاً لدى جبهة هؤلاء النساء ، عرفنه من شعره ، وعرفنه من حوادثه ، وعرفنه من أحواله . وحدث هذه المعرفة كثيراً منهن إلى أن يلاطفنه ، ويحادثنه ، وأن يصفين إلى شعره وخاصة ما قيل فيهن ، بل حدث كثيراً منهن إلى أن يحتلن عليه في اللقاء . وأن يسلكن في احتيالهن شتى الوسائل . لم يكتب عمر بهذا كله ، وفي هذا غناء كثير . بل راح يتغزل متأثراً بما سمع . وقد مر بنا أنه تغزل بزینب بنت موسى الجمحية . لأن ابن أبي عتيق وصفها له ، وأطراهاها . فشغل بها قلب عمر . وشبب بها ، ونرى أن عمر يقول في زینب هذه :

إن بي داخلا من الحب قد أبلى عظامي مكنونهُ وبراني

وحب من أبلي عظامه وهدّ قواه ؟

هل حب زینب ، وهو لم يرها ، وهي لم تره ؟

لو كان الأمر كذلك لكان عمر مُفْرِطاً في قوله ، مبالغاً في حديثه . أو يقصد ذات

الحب ، أهاجبه في نفسه ذكر زینب ، ووصف زینب ، فنارت عاطفته ، وجالت به ذكريات سريرة ، أبلته ، وأضنته .

وظاهرة أخرى يحدثنا عنها غزل عمر .

إن عمر كان أكثر غزله في موسم الحج ، وفي نساء يفدن من الشام والعراق واليمن ، فإذا قضين الحج ومناسكه عدن إلى بلادهن وأوطانهن . في هذه الفترة كان عمر يتغزل . وهي فترة قصيرة ، لا يلبثن بعدها إلى عودة ، وإلى رحيل . وكذلك كان عمر لا يكاد يرمى شبابه ، ويعقد الود بينه وبين امرأة ، ويتغزل فيها ، حتى ترحل عنه ، فيودعها ، ويأسى على فراقها .

ولهذا نجد في كثير من شعره وصفاً للفراق . ولوعته .

يقول عمر في رَملة بنت عبد الله بن خلف :

أصبح القلب في الحبال رهينا      مُقَصِّداً يوم فارق الطاعيننا  
وفي فاطمة بنت عبد الله بن مروان :  
كدت يوم الرحيل أقضى حياتي      ليتني متّ قبل يوم الرحيل  
لا أطيق الكلام من شدة الخلو      ف ودمعي يسيل كل مسيل  
ذَرَفَتْ عَيْنُهَا وفاضت دموعي      وكلانا يلتقي بلب أصيل  
وفي لبابة بنت عبد الله بن العباس :  
ودّع لبابة قبل أن تترحلاً      واسأل فإن قُلاله<sup>(١)</sup> أن تسألا  
إلْبَثُ بَعْمَرُكَ ساعةً وتأنّها      فلعل ما بخلت به أن يُبذلا  
ويقول في عائشة بنت طلحة :  
من لقلب أمسى رهيناً معنّى      مستكيناً قد شفّه ما أجنا  
إبرشخص نفسي فدتُ ذلك شخصا      نازح الدار بالمدينة عنا  
ليت حظي كطرفة العين منها      وكثيرٌ منها القليل المهنا

(١) فليله .

في الثريا :

بأن البين بعد غد . فالقلبُ مما أزمعوا يَجِفُّ<sup>(١)</sup>  
وأشكو ما أجد<sup>(٢)</sup> بنا كَلُّ لَوْشِكِ الْبَيْنِ<sup>(٣)</sup> يَعْتَرِفُ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

سرة أخرى تراها في شعر عمر ، دعا إليها غزله في هذه الكثرة  
نساء .

أنه لا يكاد يرى المرأة الجميلة ، حتى يجهد نفسه ، في الوصول إلى حبا  
ويسلك شتى الوسائل ، حتى يظفر بما يريد .

ت ترى صورة من جهد عمر في هذه الأبيات التي قالها في كلم بنت سعد  
وقد أبت له وصلا :

من عاشقٍ صَبَّ يُسِرُّ الهوى	قد شغفه الوجد إلى كلثم
رأتكِ عَيْنِي فدعاني الهوى	إليك للحين ولم أعلم
قتلتنا يا حبذا أنتم	في غير ما جرم ولا مآثم
واللهُ قد أنزل في وحيه	مبيناً في آية الحكم
من يقتل النفس كذا ظالماً	ولم يُقدها <sup>(٥)</sup> نفسه يظلم
وأنتِ ثأرى فتلافى دمي	ثم اجعليه نعمة تُنعمي
وحكى عدلاً يكن بيننا	أو أنت فيما بيننا فاحكى
وجالسيني مجلساً واحداً	من غير ما عار ولا محرم <sup>(٦)</sup>
وخبريني ما الذي عندكم	بالله في قتل امرئ مسلم

(٢) ما أجهدنا .

(٤) يصبر .

(٦) المحرم : الحرام .

وجف القلب : خفق واضطرب .

قرب الفراق .

يقال أقاد القاتل بالقتيل : قتله به .

تأمل هذه الآيات ، ترى كيف جهد عمر ، وكيف طلب رضاها ، وكيف الحلف وتوسل ، حتى وصل إلى ما أراد .

ذكر عمر أنه رآها . ولم يرها كسائر الناس . نظرة عابرة . لا تترك في النفس أثراً . بل رآها وتركت في نفسه الهوى .

ثم ذكر أثر الهوى . وأنه هُلك ، وموت ، وعذاب .

ذكر أنها قتلته ولم يرتكب جرماً وإثماً . قتلته ومن شأن القاتل أن يكون بغيضاً إلى الناس جميعاً ، لأنه قتل نفساً حرم الله قتلها . ولن يسكتوا عنه حتى يأخذوا بالثأر منه جزاء ما فعلت يدها . أما القاتل هنا فليس بغيضاً إلى أحد ، بل هو محبوب من القتل ، وأهل القتل .

تم أخذ يستثير عاطفتها الدينية ، التي تحرم قتل النفس . لعلها تتلافى دمه ، وهي بذلك تكون ذات خير ونعمة ، وإحسان ، ألم ترد إليه روحه ؟ ، بعد أن كان مقضياً عليه بالزوال والفناء ! .

هذه قضية .

فيها جان ، ومجنى عليه .

وكل قضية لا بد لها من قاض ، يقضى بالحق والإنصاف .

وفي هذه القضية يريد لها حكماً ، فهو يرضى قضاءها ، وهو يعرف فيها صفات

القاضي النزيه الكريم .

وما أعرف قضية يحلو أن يكون فيها الجاني قاضياً إلا مثل هذه القضية . حيث

لا يقدر إنسان — أياً كان — أن يسيطر على قلب الحبيب فيجعله يرضى . ويصل ، ويصفح .

لا يقدر إنسان — أياً كان — أن يسيطر على قلب الحبيب إلا الحبيب . فهو

الذي يمنح . وهو الذي يستطيع أن يمنح . وهو الذي يقسو ، ويستطيع أن يلين .

هو وحده الذي نطلب منه البذل والعطاء . فإن لم يعط ، ولم يبذل فلا بذل ولا عطاء .

وقضية عمر هذه يراد أن يكون لها نتيجة طيبة كريمة، هي أن تجلسه كلم مجلساً واحداً، لا إنهم فيه ولا فجور. ويرضى عمر بهذا المجلس الواحد، لأنه يكمل ما بعد ذلك. يكفل أن يخلق بينه وبين كلم آصرة قوية. تجعل بينهما رابطاً وتيقاً. فهو الرجل السامر، الظريف، المحبوب، وهو الرجل الساحر في حديثه، وفي شعره. وقالوا<sup>(١)</sup> في ذلك: إن لشعر عمر بن أبي ربيعة لموقعاً في القلب، ومخالطة للنفس ليس لغيره، ولو كان شعر يسحر لكان شعره سحراً.

وقال له بُدَيْح: قد سحرتني وأنا رجل!، فكيف برقة قلوب النساء وضعف رأيهن؟ وبهذا الشعر استطاع عمر أن يستهوى قلوب النساء، واستطاع أن يظفر بالمعجبين ورضاهن، إذا اجتمع بهن، واجتمعن به. وهذا ما يطلبه عمر أول الأمر، وبعد ذلك يكون ما يريد. وفعلاً كان ما أراد. فقد جذبها إلى نفسه، وطال مكثه عندها أكثر من مجلس ومجلس.

فالسوا:

فمكث عندها شهراً لا يدرى أهله أين هو.

وهذا الذي فاه عمر في كلم قاله في الثريا. قال<sup>(٢)</sup>:

فيم بالله تَقْتَلِينِ مُحِبِّياً	لكِ بالوصل مُخْلِصاً بَدَأَلاً
ولعمري لئن هممتِ بقتلي	لَبِمَا قَدْ قَتَلْتِ قَبْلِي الرَّجَالَ
حدثيني عن هجركم ووصالي	أحراماً تَرِينَهُ أُمَّ حَلَالَا
فأحكى بيننا وقولي بعدلٍ	هل جزاء الحب إلا الوصلا

\*\*\*

وظاهرة أخرى تراها في شعر عمر.

ذلك أنه كان كثير الوصف لما كان بينه وبين النساء من مجالس الالهو والسمر.

(٢) ديوان عمر — طبعة بيروت ص ٢٢٢

(١) الأغاني ج ٨ ص ١٠٧

وكثرة هؤلاء النساء ، وتعدد المجالس والأماكن التي كان يلقاهن فيها . كل ذلك حداه إلى أن يقول الشيء الكثير .

يقول عمر في زينب بنت موسى :

ولست بناس ليلية الدار مجلساً  
خلاءً بدت قمرأوه وتكشفت  
ويقول (٢) في امرأة كانت إنفأ له :

لزينب حتى يعلو الرأس رامس (١)  
دُجنته وغاب من هو حارسُ

أبصرتها ليلية ونسوتها .  
بيضا حسانا نواعما قطفا  
قالت لتزب لها تلاطفها  
قوى تصدئ له ليعرفنا  
قالت لها قد غمزته فأبي  
بل يا خليلي عاذني ذكري

يمشين بين المقام والحجر  
يمشين هونا كشيبة البقر  
لنفسدن الطواف في عمر  
ثم اغزيه يا أخت في خفر  
ثم اسبطرت (٣) تشتد في أثرى  
بل اعترني الموم بالسهر

ويقول (٤) في فاطمة بنت عبد الملك بن مروان:

يا خليلي شفني الذكر  
ضربوا حمر القباب لها  
سلكوا شعب (٥) الفقاب بها  
وطرقت الحى مكنما  
وأخ لم أخت نبوته  
فاذا ريم على فرش

ومحول الحى إذ صدروا  
وأديرت حولها الحجر  
زمرأ تحتمها زمر  
ومعى عصب (٦) به أثر (٧)  
بنواحي أمرهم خير  
في حجال (٨) الخرز مختدر

- (١) الدافن في الرمس وهو القدر .  
(٢) أي أسرع .  
(٣) موضع بالمدينة .  
(٤) أثر السيف : فرندة .  
(٥) الأغانى ج ١ ص ١٧٠ .  
(٦) العصب : السيف القاطع .  
(٧) الحجال : جمع حجلة وهي قبة تزبن بالستور والثياب .  
(٨) الأغانى ج ١ ص ١٩٦ .



حوله الأحراسُ ترقبه  
شبهُ القتلى وما قُتلوا  
فدعتُ بالوبيل ثم دعت  
ثم قالت للتي معها  
ماله قد جاء يطرقنا  
إشتاقى كان عُلقنا  
نومٌ من طول ما سهروا  
ذاك إلا أنهم سَمروا  
حُرّة من شأنها الخفر  
ويج نفسى قد أتى عمر  
ويرى الأعداء قد حضروا  
ولحيتى ساقه القدر

ماذا وصف عمر في هذه الأبيات ؟

أما مجلسه مع زينب بنت موسى :

فيكفي أن تعرف ماذا كان في هذا المجلس إذا عرفت أن عمر لا ينسأه أبداً ،  
ما دام على قيد الحياة ، وإذا عرفت أنه كان في خلاء ، وأن الليلة مقمرة ، وأن غاب  
الحراس والعوازل .

وأما وصف إله التي زعموا أنه مرّ بها ، وجاس يتحدث إليها ، فذكر أيامه معها ،  
وذكر شعره الذي قاله فيها .

وماذا قال ؟

وصف جمالها ، وجمال النساء اللاتي كن معها ، وهن يمشين بين المقام والحجر .  
وصف الجمال الحسى : من البياض ، والحسن ، والنعمه ، والنهود الكواعب .  
ثم وصف مشين ، ووصف غمزهن ، وشرآكهن في صيد الرجال .  
وأما وصف فاطمة :

فقد حدثنا عن رحيلها ، وعن ركبها ، وكيف ضربوا لها حمر القباب .

حدثنا كيف زارها ، وأنه أخفى أمر زيارته حتى لا تذاع بين الناس ، واحتمل  
معه سيفه ، عدّة له من كل أذى ، ومكروه ، واتخذ صاحباً له ، يكون له في هذا  
السفر ممّاماً ودليلاً .

ثم أخذ يصف حفلهم . وما حوله من سهر ، وسمر ، وما حوله من خدم وحشم .  
وإذا كان الأحراس في حال كأنهم نُؤم من طول ما سهروا .  
وإذا كانوا كأنهم قتلى من طول ما سمروا .  
فما بالك بالمحروسات ؟

لا شك أنهن كن أكثر سهرًا ، وأكثر سمرًا .

ثم حدثنا عمر كيف كان وقع زيارته ؟

لا شك أن زيارة عمر هؤلاء النساء كانت حبيبة إلى نفوسهن ، يجدن فيها لذة  
ومتعة . فهو الشاعر الظريف الأنيس ، وهو الشاعر الغان ، الشائق . الغان بجلاوة  
حديثه ، الشائق بأدبه وأخباره ونوادره .

وكيف يكون هذا الشاعر بغيضًا إلى أى قلب ؟ وخاصة إذا كان قلب امرأة

عربية ، تتذوق الأدب ، وتتذوق الشعر ، وتتذوق الغزل .

لكن للقوم حرمة ، وهذه سلبية الملك ، تخاف أن يحمل الشعر إلى الناس نبأها ،

فيقولوا ، ويقولوا . وقد يكون في هذا القول ما يعكر عليها سيرتها ، أو سيرة الملك ،

الذى تستظل بظله .

لهذا قالت : ويح نفسي ! ولهذا عجبت من زيارته ؟ ولهذا جعلت علاقته بها شقاء ،

وقدمه إليها حينًا ساقه القدر .

تغرل عمر في نساء كثيرات كما رأيت . وكان في غزله لاهيًا . عابثًا ، يهصد منه

المتعة واللذة ، وفي ذلك يقول :

يفرح القلب إن رآكِ وتستعبر عيني إذا أردت احتمالاً

ولئن كان ينفع القرب ما از داد فيما أراكِ إلا حَيالاً

غير أرى ما دمتِ جالسة عندي سألوه ما لم نريدى زيالاً

بإذا ما انصرفتِ لم أر للعيش التذاذاً ولا لشيء جمالاً

كان عمر في غزاه لاهياً ماجناً ، ولكن لم يصل إلى هه ومجون العصر العباسى ،  
 إذ لم يبلغ من الهذر والأسفاف ما وصل إليه غزل أبى نواس و بشار .  
 ذلك أن العصر الأموى كان يجنح إلى التمسك بالتقاليد العربية . وأن ملوك  
 بني أمية كانوا يرقبون أبناء المهاجرين والأنصار في كثير من الحذر ، لأنهم لا يدينون  
 لهم بالخضوع والطاعة . وأن هؤلاء الشعراء الذين يفتسبون إلى بيوت قريش لم تكن  
 نسمح لهم تقاليدهم بالخروج في الهه إلى حد الفجور والاستهتار ، ولعل ذلك ما جعل  
 شعر عمر مقبولاً من الملوك والخلفاء ، لم ينكروه كما أنكروا غيره ، ولم يرتبوا عليه رجراً  
 أو عقوبة ، كما فعلوا مع آخرين .

## الفصل الثالث

### شعراء الغزل

لا نستطيع في هذا الفصل أن نتحدث عن شعراء الغزل في إسهاب وإطناب وفي دراسة وتحليل ، ولو قلنا ذلك لطلال المدى واتسع المجال . ولكننا نريد أن نلم بالمهمة عاجلة أو موجزة بهؤلاء الشعراء في عصور الأدب وعللنا في هذه اللمامة تبين ناحية من نواحي تطور الغزل من حيث شعراؤه ، ومن حيث قلتهم أو كثرتهم ، ومن حيث النهج الذي ساروا عليه ، ومن حيث الغاية التي اتجهوا إليها .

#### في العصر الجاهلي :

العرب في العصر الجاهلي أهل رحلة وأسفار . يجرّون وراء عيشهم حيث يكون الكلاً والماء ، وهم أهل حرب وقتال .

لهذا كان شعرهم مرآة هذه الحياة التي يحيونها .

فهو شعر حماسة وخر . يذكرون فيه شجاعتهم وبأسهم . ويشيدون فيه بمفاخرهم . وهو شعر رثاء . يذكرون فيه أكثر ما يذكرون قتلاهم في هذه الحروب ، وفي تلك الوفائع .

وهو شعر مدح . يمدحون فيه رجالهم . وما أتوا من بأس ، وجود ، وسرودة ، ونجدة .

وهو شعر وصف . يصفون فيه ما رأوا وما شاهدوا في نقلهم وأسفارهم .

ولكنهم بجانب ذلك كله يرون المرأة ، حيث ترعى الغنم ، وحيث المحافل والأسواق الأدبية أو غير الأدبية . وهم مرهفو الحس ، أصفياء النفس ، مرتاحو البال . يغنون ويجرون وراء الإبل . وتصفون لهم السماء . وتلمع الرمال .

فكان ذلك - كما قدمنا - يدعوهم إلى الغزل بالمرأة .  
ولكنه غزل مبعثر ، لا يمتد باعهم فيه طويلا ، لأن حياة عيشهم ، وحياة بيتهم  
غامتهم على ألوان أخرى من الشعر .  
وقد وجد في هذا العصر الغزل الصناعي ، الذي يبدهون به فصائدهم ، وهو غالب  
كثير . وقد تحدثنا عن هذا النوع فيما مضى .  
وغزل آخر قريب من الغزل العذرى . يذكّر فيه الشاعر حبيبة نفسه ، ويجرى  
وراء حبه لها ، وهيامه بها .

واسكن شاعرنا في هذا العصر لا يخلو من أحداث أخرى ، وأحوال أخرى تسيطر  
عليه ، وتعلو عليه أن يقول شعراً في هذه الأحداث ، وفي تلك الأحوال . وشاعرنا  
في هذا العصر لا يمتد به النفس طويلا . فيجول ويصول مع حبيته ، فيخرج لنا هذه  
الصور الرائعة ، من قصائد الغزل ، التي تكاد تكون قصصاً فيها خيال ، وفيها جمال .  
ومن هذا النوع :

١ - ما كان من امرئ القيس حيث أحب ابنة عمه - عنيزة بنت شرحبيل - ،  
واترل فيها ، ووصف محاسنها ، وتحدث عن حاله معها ، وذلك في معلقته المشهورة :  
ففانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين النخول ففومل  
تقرأ هذه المعلقة ، فترى فيها تصويراً دقيقاً ، ووصفاً رائعاً ، وتحليلاً لما يقع  
بين المحبين .

كان امرؤ القيس يحب عنيزة . وكان أن حالوا بينه وبينها . ولكنه أخذ يعمل  
الحيلة حتى وصل إلى أمنية طيبة إلى نفسه . وكان أن ظعن الحى . فاغتم امرؤ القيس  
العرصة ، ومن عادة العرب أن يظعن الرجال أولاً ، ثم النساء . تخلف امرؤ القيس  
عن الرجال ، وسبق النساء إلى طريق ظعنهن وفي هذا الطريق غدير بنجد يسمى  
« دارة جابل » . اختبأ امرؤ القيس قريباً من هذا الغدير ، وترقب مجيء النساء ،  
الغزل م - ١٣

وفيهن حبيبة قلبه عزيزة . وما ان جاء النساء حتى زعن تيابهن وزان في الماء ، ابتردن من حرارة الشمس . وجد امرؤ القيس العرصة سائحة ، فبرز من مخبئه ، وجمع الثياب ، وخرج النساء جميعاً ، وأخذت كل واحدة ثيابها . وأفلح تديبه إذ اجتمع النساء حوله ، وفيهن عزيزة . وكان مجلس حلو جميل ، جمع إلى شراب الخمر حلالة الحديث ، وأكرمهن امرؤ القيس بأن عقرهن ناقته ، وأخذن يشوين لحمها حتى شعبن . ولما حان الرحيل . وركب النساء رواحلهن ، بقي امرؤ القيس دون مرآك . وكان من أحب شيء إلى نفسه أن يركب مع عزيزة ، وعرف النسوة ذلك ، فساعدنه ، وأعرين عزيزة به ، حتى حملته معها ، وكان الرحيل حلواً جميلاً . لأنه بجانب حبيبته ، يراها ، وتراه ، ويتحدث إليها فتصغى إليه .

أليس ذلك غزلاً جميلاً . يكاد يكون قصة جميلة .

بلى .

٢ — وعنقرة وقد أحب عبلة بنت عمه . يذكرها في كثير من أشعاره ، ويتحدث إليها حديث الحب والهوى . ويقولون<sup>(١)</sup> إن أول معلقاته :

يا دار عبلة بالجواء تكلمى وعمى صباحاً دار عبلة واسامى

أما امرؤ القيس فلم يقل في حبيبته — عزيزة — قصيدة كاملة إلا المعلمة ، وكانت له في أبواب الشعر الأخرى جولات صادقة ، من حماسة ووصف .

وعنقرة في معلقاته لم يكن لحبيبته — عبلة — حظ إلا في أولها ، حيث ذكر ، وخطاب ديارها ، وشكا ألم البعاد ، وحرقة الهوى . وخلص من ذلك كله إلى الفخر والحماسة .

٣ — والمرقش الأكبر ، وقد أحب أسماء ابنة عمه ، وطلب أن تكون زوجة له ، وطلبها من أبيها ، فقال له : لا أزوجك حتى تعرف بالبأس ، وفي سبيل هذا البأس

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ١١٨

ارتحل المرقدش ، وفي أثناء رحيله أتى عمّه رجل ، أغراه بالمال فزوجه أسماء ، وقال المرقدش في ذلك شعراً ، ومن ذلك قوله في مطلع قصيدة في الحماسة :

أمن آل أسماء الطاول الدوارس تخطط فيها الطير قفر بسابس<sup>(١)</sup>  
هؤلاء الشعراء الأربعة ، ومن على شاكلتهم قالوا شعراً . قالوه في امرأة شعفوا بها حباً ،  
ولعلك نلاحظ أن هذه المرأة ابنة عم لهذا الشاعر ، كان يهيم بها ، وكان يريد لها زوجة له .  
وهذا الشعر من الغزل قريب من الغزل العذرى .

وقلنا إنه قريب لأن هؤلاء الشعراء لم ينفردوا في شعرهم بالغزل وحده ، بل غلبتهم  
أحداث أخرى قالوا فيها الشعر ، وجوّدوا ، ولم يُفردوا القصيدة كلها التي يدُكرون  
الحبيبة - - بالغزل وحده .

وهو قريب من الغزل العذرى لأننا لا نرى فيه القلب الخالي إلا من حب هواه ،  
ولا يرى فيه الحرارة التي تعبر عن العاطفة اللتهبة ، التي تحس وأنت تقرأ شعرها كأنك  
مدفوع بقوة قاهرة ، هي قوة الإخلاص والوفاء .

في صدر الإسلام وفي العصر الأموي :

إن شيئاً واحداً غلب هذا العصر ، وطبعه بطابعه ، ذلك هو الدين الجديد :

كتابه القرآن . ورسوله محمد الأمين .

شغل العرب بهذه الدعوة ، وبهذا الدين .

شغلوا بها ، إما مؤيدين ، وإما معارضين ، واتجهوا أو اتجه كثير منهم إلى القرآن  
يدرسونه ، ويفهمونه ، ويشرحونه ، كما اتجه كثير منهم إلى الخطابة يرتقون منابرها .

شغلوا بما تتطلبه هذه الدعوة من جهود ، وجهاد ، ومن فتح القلوب والبلاد .

حتى يكون الدين كله لله .

(١) جمع بسبس وهو القفر .

ضعف جانب الشعر ، وبالتالي ضعف جانب الغزل فيه ، بل كان الغزل أكثر ضعفاً ، لأن الشعر في بعض أغراضه الأخرى لا يزال قائماً ، وإن لم يكن بالكثرة التي وجدت من قبل ، ذلك أن الإسلام يصون المرأة من العبث ، ويحمي المحصنات من أن تلوك سيرتهن الرجال .

واعلمك تعرف أن الغزل لا يقوم إلا حيث تكون الدعة والراحة والطمأنينة ، وإلا حيث تكون الرغبة من جمهرة القارئ أو السامعين ، وحيث يكون رضا الحاكم وتشجيعه . وهذه العوامل لم تكن قائمة في العصر الإسلامي الأول . ولهذا لم يخلص إلينا من شعر الغزل في هذه الفترة ما يصح أن نتحدث عنه .

وإذا قرأنا شيئاً منه ، وإن كان قليلاً فهو من الغزل الصناعي ، لا يعدوه ، إلى ما ذكرنا من أنواع أخرى .

أما في العصر الأموي فقد استقر الدين ، ودخل الناس فيه أفواجاً ، فانتع سلطان العرب ، واتسعت دولتهم ، فلم يكن بد من الراحة والاستجمام ، يجنون ثمار الفتوحات ، ويستظلون في ظلال الملك .

نعم وجد صراع . ووجدت جماعات وأحزاب . كانت تحترق في سبيل الغلبة : الغلبة على الملك . والغلبة على الحياة .

فام هذا الصراع في الشام والعراق . أما الحجاز فكان بعيداً عن هذا الصراع ، وأدى هذا إلى نشوء نوعين من الغزل : الغزل العذري ، والغزل الماجن . وقد بسطنا ذلك من قبل . ووجد بجانب الغزل العذري ، والغزل الماجن — الغزل الفنى .

وجد الغزل بأنواعه الثلاثة في هذا العصر . وغنى الغزل في هذا العصر بثروة في الشعراء ، وثروة في الشعر ، وثروة في الألفاظ والمعاني .

وكان للشعر في العصر الأموي طابعان :



طابع الشعر السياسى ، دعت إليه طبيعة الملك ، وما يتصل به من احتراب واختلاف ، ووجود شيع وأحزاب . وتبع هذا الشعر السياسى : المدح . والهجاء . مدح الأنصار والأشباع . وهجاء الخصوم والأعداء .

وطابع الغزل . دعا إليه ما بسطنا من عوامل وأسباب . ولا ضرورة للإفاضة فى غير شعراء الغزل . فليس هذا مكانه الآن . أما شعراء الغزل فيربى عددهم على العشرين .

ذكرنا من شعراء الغزل فى شىء من البسط والبيان جميل بن معمر العذرى ، وهو زعيم الغزل العذرى . وعمر بن أبى ربيعة ، وهو زعيم الغزل الماجن . وللآخرين : هج فى الغزل قد يكون مثل نهج جميل ، أو نهج عمر ، أو يختلف عنها ما بعض الاختلاف . ومن هؤلاء الشعراء :

١ - قبسُ بن الملوِّح . ويدعى بمجنون ليلى ، نسبة إلى ليلى التى اشتهر بحبه لها . ولم يعرف أنه تغزل فى غيرها . وسواء كانت سيرة قبس ، وما حاطها من شعر وقصة من نسج الحقيقة والخيال . فإن ما نسب إليه من شعر كان قائماً ، يمثل العصر الذى نتحدث عنه . ولا بكاد يختلف فى كثير عن أترابه .

ويقول فى ليلى هذه :

أعد الليالى ليلة بعد ليلة	وقد عشت دهرأ لا أعد الليالى
أراى إذا صليت يمت نحوها	بوجهى وإن كان المصلى ورائيا
وما بى إشارك ولكن حبها	كعود الشجأعيا الطيب المداويا
أحب من الأسماء ما وافق اسمها	وأشبهه أو كان منه مدانيا

٢ - قبس بن ذريح ، وصاحبته لبنى . التى أحبها ، وأخلص لها فى الحب ، وأصابه فى سبيل حبها عذاب وسقم وهلاك . وحب قبس لبنى قصة رائعة ، تمثل فيها ألواناً من الوفاء ، ومن الإخلاص .

يقول قيس :

بِتْ وَالْهَمُّ يَا لِيَبْنِي نَجِيسِي  
وتنفست إذ ذَكَرْتُكَ حَتَّى  
أَتَنَاسَاكَ كَمَا يُرِيغُ فَوَادِي  
يَا لِيَبْنِي فَذَاتِكَ نَفْسِي وَأَهْلِي  
وجرت مذ نَابَتِ عَنِّي دَمْعِي  
زالت اليوم عن فَوَادِي ضَلَعِي  
ثُمَّ يَشْتَدُّ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَلْعِي  
هل لدهرٍ مَعِي أَنَا مِنْ رَجْوَعِ

ويقول :

يَقْرُؤُ بَعِينِي قُرْبُهَا وَيَزِيدُنِي  
وَكَمْ فَانِلٍ قَدْ قَالَ : أَبُ فَعَصْبَتِهِ  
فِيهَا نَفْسٌ صَبْرًا لَسْتُ وَاللَّهِ فَاعْلَمِي  
بِهَا كَلْفًا مِنْ كَانَ عِنْدِي يَمِينًا  
وتلك لعمري تَوْبَةٌ لَا تُؤْتِيهَا  
بِأَوَّلِ نَفْسٍ نَابَتْ بِهَا حَبِيبًا

٣ — وعروة بن حزام العذري . أحب عفراء بنت عمه . وكان يكون شعره  
مقولاً فيها وحدها . وقد أصابه من الحب سهام أضنته ، حتى بدا عليه الضعف والهزال .  
وقد رآه عراف اليمامة فسأله عما به ، فقال له عروة : هل لك علم بالأوجاع ؟ قال : نعم .  
وفي ذلك يقول عروة<sup>(١)</sup> :

مَا بِي مِنْ خَبَلٍ وَلَا بِي جِنَّةٌ  
أَقُولُ لِعِرَافِ الْيَمَامَةِ : دَاوِنِي  
فَوَا كَبِدَا أُمْسَتْ رِفَاتًا كَأَنَّمَا  
وَلَكِنْ عَمِّي يَا أَخِي كَدُوبٌ  
فَإِنَّكَ إِن دَاوَيْتَنِي لَطِيبٌ  
يَلِدُهَا بِالْمَوْقِدَاتِ طِيبٌ  
٤ — توبة بن الحمير . أحب ليلي الأخيالية . ومات في سبيل حبهما .

وفيها يقول :

وَهَلْ تَبْسِكِينَ لَيْلٍ إِذَا مِتُّ فَبِهَا  
كَمَا لَوَأْصَابِ الْمَوْتِ لَيْلِي بِكَيْتِهَا  
وَأُغْبَطُ مِنْ لَيْلِي بِمَا لَا أَنَالَهُ  
وفام على قبري النساء النوائح  
وجاد لها دمع من العين سافح  
يلي ، كل ما قرت به العين طائح

(١) آداب اللغة العربية ج ١ ص ١٤٢

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت عليّ ودوني جندل<sup>(١)</sup> وصفائح<sup>(٢)</sup>  
 لسلمت تسليم البشاشة أوزقاً<sup>(٣)</sup> إليها صدّي من جانب القبر صائح  
 ٥ — كَثِيرٌ بن عبد الرحمن ، يعرف بكثير عزة ، نسبة إلى عشيمته عزة ، بنت  
 حميد بن وفاض .

وفيها يقول :

خليلي هذا رسم عرّة فاعقلا فلو صيكا ثم ابكيا حيث حلت  
 وما كنت أدري قبل عزة ما البكا ولا موجعات القلب حتى توت

\* \* \*

فقلت لها يا عز كل مصيبة إذا وطئت يوماً لها النفس ذلت  
 أسبى بنا أو أحسنى ، لا ملومة لدينا ولا مقلية إن نكّلت  
 هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعرّة من أعراضنا ما اشتحلت  
 ٦ — يزيد بن الطّبرية . أحب امرأة من جرّم يقال لها وحشيّة .

وفي ذلك يقول :

بنفسى من لومر برد بنانه على كبدى كانت شفاه أنامله  
 ومن هابنى فى كل أمر وهيبته فلا هو يعطينى ولا أنا سائله  
 وزار بيوتاً لبني جعفر ، ورأى هناك أسماء الجعفرية ، وقال فيها متغزلاً :  
 فإن تمنعوا أسماء أويك نفعها لكم ، أو تدبوا بيننا بالنعائل  
 فلن تمنعوني أن أعلل صحبتي على كل شىء من مدى العين فابل

ويقول :

هيبنى اسرواً إما بريئاً ظلمته وإما مسيداً تاب منه وأعتبا  
 وكنت كذى داء تبغى لدائه طيبياً فلم لم يجده تطببا

(١) الجندل : الصخر العظيم . (٢) الصفائح : الأحجار العريضة . (٣) رقا الطائر : صاح

٧ - الأحوص . وقد تنزل في نساء كثيرات . تنزل في أم جعهر وهي ا-  
من الأنصار وفيها بقول :

هيبني امرأة إما برئنا ظلمته  
فلا تتركى نفسى شعاعاً فإنها  
لك الله ، إلى واصل ما وصلتنى  
وآخذ ما أعطيت عموماً وإننى  
وتنزل في سلامة القس المغنية :

أسلام ، إنك قدملكت فأسجدنى  
منى على عان أطأت عناءه  
إنى لأنصحتهم وأعلم أنه  
وإذا شكوت إلى سلامة حبها  
كما تنزل بالذلفاء :

٨ - عبدالله بن قيس الرقييات ، وكان من شعراء السياسة ، ومن أنصار عبد  
ابن الزبير ، ومن المعارضين لبني أمية . وكان غزلاً رقيقاً ، وكان غزله أداة لإش  
هواه السياسى . ذلك أنه كان يذكر نساء خصومه السياسيين . وينتقد من ذكر  
وسيلة إلى حرب هؤلاء الخصوم . حاصم بنى أمية وتنزل في أم البنين امرأة الو  
ابن عبد الملك وبنت عبد العزيز بن مروان . ونرى في شعره أنه كان يحب النساء جم  
ونرى في روح هذا الشعر أنه كان ينزع في هذا إلى مثله العليا في الجمال . وتنزل أيا  
في رقية بنت عبد الواحد ، وفي كثيرة ، وثريا ، وسعدة ، وسلامة .

يقول ابن قيس الرقيات في كثيرة :

عادله من كثيرة الطرب  
كوفية نازح تحتها  
فعمينه بالدموع ينسكب  
لا أمم دارها ولا صف

والله ما إن صَبَّتْ إلى ولا  
إلا الذي أَوْرَثَتْ كَثِيرَةً في القدا  
وَيَقُولُ في رُقِيَّةَ :

رُقِيَّةَ بَعِيشِكُمْ لا تَهْجُرِينِنَا  
عَدِينَا في غير ما شئتُ إنا  
فأَمَّا تَنْجِزِي عِدْتِي وإِثْمًا  
ومَنْبِنَا المني ثم امطلينا  
نحب وإن مَطَلْتِ الواعدينا  
نعيش بما نؤمل منك حينًا  
٩ — العرجي .

من شعراء قریش الذين شهرُوا بالغرزل . نحا في ذلك نحو عمر بن أبي ربيعة ، وكان مشغوفًا بالهيو والصيد . شَبَّ بِجِيدَاءَ — أم محمد بن هشام بن اسماعيل الخزومي — وكان ينسب بها هجاءً لابنها — محمد بن هشام خال هشام بن عبد الملك — وكان واليًا على مكة . وفيها يقول :

عوجي علينا ربةً الهودج  
إني أتيت لي يمانية  
نلبثُ حولًا كاملاً كله  
في الحج إن حَجَّتْ ، وما ذامني  
أيسرُ ما نال مُحِبُّ لذي  
نقضٍ إليكم حاجةً أو نقلٍ  
إنك إن لا تفعلني تحرجي  
إحدى بنى الحارث من مذحج  
ما نلتني إلا على مهج  
وأهلُهُ إن هي لم تهجج  
بين حبيبٍ قوله عرج  
هل لي مما بي من مخرج

كما سَبَّ بزوجه — جَبْرَةَ — وفيها يقول :

عوجي على فسامي جبرُ  
فيم الصدودُ وأتم سرفُ  
وتغزل العرجي في أم الأوقص — محمد بن عبد الرحمن الخزومي — وفي عانكة زوجة طريح بن إسماعيل الثقفي . كما تغزل في كلابة مولاة لتقيف ، كانت عند عبد الله بن قاسم الأموي .

وفيها يقول :

هات كُلالاة: من هذا فقات لها  
 وأنا امرؤ جدي حب فأحرضني  
 لا تنكأيني إلى قوم لو أنهم  
 وأنعمي نعمة تُجزى بأحسنها  
 سنز المحبين في الدنيا تعلمهم  
 هذى يمين رهن بالوفاء لكم  
 ١٠ — النُمَيْرِي .

أنا الذي أت من أعدائه رعموا  
 حتى بآيت وحتى شفني السقم  
 من بغضنا أطعموا الحمي ، إذا طعموا  
 فطلبا مسني من أهلك النعم  
 أن يُحدثوا توبة فيها إذا أمموا  
 فارصني بها ولأنف الكاشح الرغم<sup>(١)</sup>

من شعراء الغزل في الدولة الأموية . كان يهوى زينب بنت يوسف بن الحكم  
 أنمت الحجاج بن يوسف . وفيها يقول :

فوالله ما أنساك زينب ما دعت  
 فإن احتمال الحمي يوم تحموا  
 ومرسلة في السر: أن فد فضحتني  
 وأشت بي أهلي وجل عشيرتي  
 وقد لامني فيها ابن عمي ناصحاً  
 ١١ — ابن ميادة :

مطوقة ورفاء شجواً على غسن  
 عناك وهل يعنك إلا الذي يعنى  
 وصرت ناسمي في النسب فانكفى  
 ليهنك ما تهواه ، إن كان ذاهبي  
 فقلت له : خذ لي فؤادى أودعني

كان ينسب بأم جعدر -- بنت حسان المرية إحدى نساء بني جذيمة -- وله  
 فيها شعر كثير . وغزل كثير ، وشمون كثيرة . وفيها يقول :

ألا ليت شعري هل إلى أم جعدر  
 سبيل ؟ فأما الصبر عنها فلا صبرا  
 فإن يك نذر راجعاً أم جعدر  
 على لقد أودمت<sup>(٢)</sup> في عني نذرا

(١) مثلكه الرأ مع سكون النين ، وحركت لضرورة الشعر . والرغم : الذل . وأسله  
 من أن يلتصق أفضه بالرغام وهو التراب .  
 (٢) أودم على نفسه كما : أوجب .

وإني لأستنشي<sup>(١)</sup> الحديث من أجلها      لأسمع منها وهي نازحةٌ ذِكرًا  
 وإني لأستحي من الله أن أرى      إذا غدر الخُلَّانُ أنوى لها غدرا  
 وشبب ابن ميادة بزَيْنَب بنت مالك . كما تغزل في امرأة من بني حرام يقال لها :  
 أم الوليد ، رآها وأعجب بها . وقال فيها :

ألا حبذا أمُّ الوليدِ ومَرَبَعٌ      لنا ولها نشوبه ونصيفُ  
 وهناك من شعراء الغزل عدا من ذكرنا كثيرون :

الحارث بن خالد الخزومي : يهوى عائشة بنت طلحة  
 أبو دَهَبِل الجُمَحِيّ : يهوى امرأة من قومه اسمها « عمرة »  
 الخبَل القيسي : يهوى ابنة عمه مَيْلَاءَ  
 ذو الرُّمَّة : وصاحبتة مَيْة

هذه طائفة من شعراء الغزل في هذا العصر ، وهم من الكثرة إلى حد كبير .  
 ولعل هذه الكثرة تعطيك صورة صادقة عن الغزل في هذا العصر ، من حيث  
 إقبال الشعراء عليه ، ومن حيث استماع العرب إلى وحي الشعراء ، ومن حيث البيئة  
 التي طبعت هؤلاء بحب الغزل ، ونفذت إلى أولئك فجودوا ووقعوا على مزاهر شعرهم  
 هذا النغم الخلو الجميل ، وهذا الوحي لما تيجيش به صدور الحبين .

كثير من هؤلاء الشعراء آثروا شعر الغزل ؛ على ما عداه من سائر أبواب الشعر  
 فلم يقولوا في مدح أو هجاء ، أو وصف أو رثاء ، أو حماسة وزهد ، وبعض هؤلاء  
 الشعراء قالوا في أبواب أخرى ولكنهم لم يجودوا ، ولم يكثروا إلا في شعر الغزل .

وهناك شعراء آخرون غنى بهم هذا العصر :

فالأخطل ، وجري ، والفرزدق من فحول شعرائه .  
 وقد غلب على شعر هؤلاء المدح والفخر والهجاء .

(١) استنشى الحديث : تعرفه وبحث عنه .

ولكن جريراً كان مجوداً في الغزل كما كان مجوداً في المدح والهجاء  
الأخطل فال في النسب وإن لم يكن قوله كثيراً .  
وهناك جبهة من شعراء السياسة يحسن أن نشير إلى أن طائفة مهم فالو  
ومن هؤلاء :

ابن مُرَغِّع الجُمَيْرِي ، والرَاعِي ، وأبو صَنْعَر الهَذَلِي . وبيس الجَرْمِي ،  
ابن يَسَار .

وهل عرفت بعد هذا ماذا أسدى عصر بني أمية إلى شعر الغزل ؟  
وكيف كان الغزل في هذا العصر أكثر نمواً وأكثر ازدهاراً في  
سابق أو لاحق ؟

فقد نُسِّت في هذا العصر ألوان من الغزل لم تكن فائتة ، ونال بعض  
الألوان حظ من الانتشار والازدهار لم ننله إلى وقتنا الحاضر .  
كما غنى هذا العصر بطائفة من شعراء الغزل أضفوا على الشعر ثروة  
من الألفاظ العذبة والمعاني الرائعة والأخيلة الشائقة الجذابة .  
كم نحن مدينون لهذا العصر في شعر الغزل بالشئ ، الكثير !  
وقد رأيت شيئاً من ذلك فيما قدمنا من بسط وبيان ، وسترى ذلك ،  
حين نتحدث عن سائر كتب الغزل .

في العصر العباسي :

عرفت فيما سبق كيف أن الشعر نما في العصر العباسي نحواً آخر يخالف  
في العصر الأموي .

فقد أصبح العرب في حال من الترف والغنى والثروة ، فليجنوا هذه الثمار ،  
لهذا الجنى أثر في معاشهم ، وفي أدبهم الذي هو ترجمان هذا المعاش .  
وأصبح العرب في حال من الملك والسياسة ، وفي حال من اختلاط بالأعاج



من سيطرة هؤلاء الأعاجم على مظاهر الحكم ، ومظاهر العيش ، ومظاهر الأدب .  
تأثر الشعر بكل هذا ، فإما الغزل الماجن ، وضرب فيه الشعراء بسهم وافر .  
فقد ابتعد الشعراء إلى حد ما عما كان يصونهم من قرب البداوة ، ومن قرب  
الرياح الديني ، ومن قرب رعاية التقاليد التي كانت مألوفاً في ذلك الحين ، وجاء نوع  
جديد كله ثورة على القديم ، وكله ثورة على ما كان معروفاً من نظم وأوضاع .  
جاء بشار وأبو نواس ، وهما من أصل فارسي ، يحملان نوعاً جديداً من الأدب  
ومن الشعر ومن الغزل .

كنا نجد بعض بدايات القصائد من الغزل: أما في هذا العصر فقد كثر البدء بوصف  
القصور ، ومجالس اللهو ، وإخوان السمر ، وغناء القيان ، أو بوصف الخمر وما يتصل  
بهذا الوصف .

وكنا نجد الغزل العذري ، ونجده بكثرة وقوة في العصر الأموي ، أما في هذا  
العصر فقد غاب واحتجب لأن أسبابه لم تعد قائمة في هذا العصر؛ ولأنه وجد في هذا  
العصر من العوامل والأسباب ما ينافي الغزل العذري .

وكنا نجد غزلاً ماجناً في العصر الأموي ، ولكنه لم يصل إلى حد من الفحش  
والاستهتار ، كما وصل في العصر العباسي على يدي أبي نواس و بشار ومن لفّ لفها .  
وقد سبق أن قلنا: إن الغزل بالمذكر قد نبت في هذا العصر ، وقد نشأ على أيدي  
هؤلاء الشعراء الذين سلوا من أصل فارسي ، أو تأثروا بهؤلاء الفرس .

ويكاد ينقسم شعراء هذا العصر قسمين :

شعراء الموالي الذين نشئوا من أصل فارسي ، أو كان لنفوذ الفرس والأعاجم أثر  
قوي في شعرهم ، وفي منحهم الشعري .

ومن هؤلاء بشار ، وأبو نواس ، وابن الرومي ، وأبو العتاهية ، ومسلم بن الوليد .  
وحسين بن الضحاك ، وسلم الخاسر ، وحماد مجرد .

وشعراء العرب الذين بعدت بهم مناعتهم ، وبعد بهم حماقتهم عن أن يسلكوا  
في شعرهم ما سلكه الموالي ، أو أشياءهم .  
ومن هؤلاء : أبو تمام ، والمتنبي ، والبحتري ، والمعري ، والعباس بن الأحنف ،  
وابن خفاجة ، وابن هاني .

أما القسم الأول :

فقد نحا بالشعر منحى فريداً إلى ما يوافق هوى شعرائه ، و يوافق البيئة التي  
أحاطت بهم ، والعوامل التي أثرت فيهم . يوافق تمايزهم لأوضاع العرب ، وتبعين  
لتقاليدهم المعروفة .

وكيف كان ذلك ؟

سبق أن أشرنا إلى أن بشاراً وأبا نواس علنا على الشعر العربي البدعي وصف  
الأطلال والدمن ، ودعوا إلى وصف الخمر ، ومجالس الهو .

وأشرنا إلى أن هؤلاء الشعراء في هذا العصر وصفوا الخمر في كثير من الإسراف ،  
وكثير من التبذل ، وكثير من الاستهتار : وصفوا الخمر في دنائها ، وفي كؤوسها ،  
كما وصفوا الساق ، ومجالس الشراب ، وما يقع فيها من هذر ، وهزل ، وعيب ، وشون .  
وأشرنا إلى أن هؤلاء الشعراء خرجوا من الغزل بالمؤنث إلى الغزل بالذكور . وصفوا  
حسنه وجماله ، وتجنبيه ودلاله ، وصفوه في بسط ، وقاوا فيه كما بسطوا في المرأة وقاوا .  
وأشرنا إلى أن هؤلاء الشعراء خرجوا من غزل القلب والروح ، أو غزل الألفاظ  
والمعاني ، إلى غزل حمى عابث ، يمثل هذا الفمخش الذي طبع ملائمة من هؤلاء  
الشعراء على تلك الصورة ، التي لم تكن معروفة من قبل .

هذه المعاني نجد لها ظاهراً ، واضحة الظهور في شعراء القسم الأول . وإن لم يكن  
وجودها عند الجميع على حد سواء .

وصف هؤلاء الشعراء الخمر ، وأسرفوا في الوصف :

يقول بشار :

يا ابن موسى أسقني ودع عنك سأمي إن سلمى حمى وفي احتشام  
رُبَّ كأس كالسلسبيل تعلّلت بها والعيون عنى نيام  
حُبستْ للشراة في بيت رأس<sup>(١)</sup> عتقت عاساً عليها الختام  
نفحت نفحةً فهزّت نديمي بنسيه وانشق عنها الزكام  
وكانّ المعاول منها إذا را ح شح في لسانه برسام<sup>(٢)</sup>  
صدمته الشمول حتى بعينيهِ انكسارٌ وفي المفاصل خام<sup>(٣)</sup>  
وهو باقى الأطراف حيت به الكأ س وماتت أوصاله والكلام  
وفتى يشرب المدامة بالما ل ويمشى يروم ما لا يُرام  
أنفدت كأسه الدنانير حتى ذهب العين واستمر السوام<sup>(٤)</sup>  
تركته الصهباء يرنو بعين . نام إنسانها وليست تنام  
جنّ من شربة تعلّ بأخرى وبكى حين سار فيه المُدام  
ويقول أبو نواس :

غننا بالطلول كيف بليماً وأسقنا نعطك الثناء الثميناً  
من سلافٍ كأنه كل طيب يتمنى نخبر أن يكونا  
أكل الدهر ما تجسّم منها وتبقى لبابها المكنونا  
ثم شجّت فاستضحكت عن لال لو تجمّعن في يدٍ لأقننينا  
وإذا ما لمسنا فهباء تمنع الكف ما تُبيح العيوننا  
في كؤوس كأنهن نجوم جاريات بروجها أيدينا  
طالعات من السقاة علينا فإذا ما غرّبن يغرّبن فينا

(١) اسم قرنين لإحدهما في بيت المقدس والأخرى في حلب . (٢) كلمة فارسية يقصد بها الهديان  
(٣) قد يكون المعنى أن يكون بالمفاصل ارتخاء (٤) العين : الذهب . واستمر : ذهب .  
والسوام : الابل الراعية والمراد بها هنا المال الراعى كالسائمة .

لو ترى الشرب حولها من بعيد      قلت : فوم من فرة بصلطونا  
وغزال يديرها بيمان      باعمات يزندها المشر لنا  
ذاك عيش له دام لي غير ، أتى      عينه مكرها وحفت الأملنا  
أدر الكأس حان أن تسقينا      وانقر العود إنه يأنهينا  
ودع الذكر للطلول إذا ما      دارت الكأس يسرة وتينا

فانظر كيف وصف بشار وأبو نواس الخمر هذا الوصف الرقيق الدقيق . طلب  
بشار أن يسقى الخمر ، فهي حبيبة إلى نفسه ، قريبة إلى هواه ، وذكر أنه راغب عن  
المرأة ، فهي بعيدة عنه ، وفيه احتشام ، وإن كنا لانصدق أن فيه احتشاما ، ينم  
عنها ، ويجعله يجهلها ، وهو ما يعرف غير ذلك .  
ثم أخذ يصف الخمر ، وأنها معتقة ، يتعامل بها والناس من حوله نوث ، وهو  
الساهر اليقظان .

ثم أخذ يصف أثر الخمر في صاحبها :

عقله كالغائب فهو يهنى ، وفي عينيه انكسار ، وفي معاصله ارتخاء ، وفي أوصاله  
موات . وكأنه مجنون لا يعي ما يقول .  
وكيف وصف الخمر أبو نواس ؟  
فعل مثل صاحبه بشار . في أن أفبل على الخمر ، واطرح من عداها . وكلاهما  
اطرح للمرأة . ولكن بشارا صرح بها ، أما أبو نواس فقد صرح بأثر من آثارها ،  
وهي الأطلال والدمن .  
وكذلك وصف أبو نواس الخمر ، وكان وصفه دقيقا جميلا . وصف طيبها ، وأنها  
معتقة ، أكل الدهر ما تجسم منها ، ووصف نقاءها وصفاءها ، ووصف حببها ولآلتها  
الضاحكة الباسمة .

ثم وصفها في الكؤوس ، وما أجمل تشبيهه الكؤوس بالنجوم ! وما أجمل خياله  
 في طلوع هذه النجوم وغروبها !  
 ثم وصف تجمع الشاربين حولها كأنهم يصطلون من فرّة البرد .  
 ووصف الساقى ، وأنه كالغزال ، ناعم البنان .  
 فأنت ترى من هذا أن بشارا وأبا نواس يتفقان في صور ، ويختلفان  
 في أخرى .

يتفقان في أن كليهما يميل إلى الخمر بقلبه وهواه . ويتفقان في وصف الخمر .  
 ويفترقان في أن بشارا ذكر أثر الخمر في صاحبها ، ولم يفعل ذلك أبو نواس .  
 ويفترقان في أن أبا نواس وصف الكؤوس ، ووصف الساقى ، ووصف الشاربين  
 وتجمعهم ، وتزاجهم ، ولم يفعل ذلك بشار .  
 هذا مع ما ترى من اختلاف في تخيل هذه الصور .  
 وانظر بعد ذلك أى الوصفين أقرب إلى التأثير في نفسك وقلبك .  
 كما وصف الخمر ابن الرومى ، وحسين بن الضحاك ، وسلم ، وحماد .

\* \* \*

ووصف هؤلاء الشعراء مجالس اللهو ، وأسرفوا في الوصف :  
 يقول حسين بن الضحاك :

ما لأنس كان مبتذلا      منك لى بالأمس لم يعد  
 إيه قل لى غير محتشم      هل دهانى فيك من أحد  
 حبذا والكأس دائرة      لهونا والصيد بالطرد<sup>(١)</sup>  
 وحديث فى القلوب له      أخذ<sup>(٢)</sup> يصدغن فى الكبد

(١) الطرد . مزاولة الصيد ، يقال طرد — بكسر الراء — راول الصيد وتبعه .

(٢) الأخذة : الرقبة كالسحر يؤخذ بها .

يوم تعطيني وتأخذها      دون ندماني يداً بيد  
 فإذا ألويت<sup>(١)</sup> هيحني      تلغ<sup>(٢)</sup> من ظبية البلد  
 وإذا أصغيتُ ذكرني      نشرَ كافسورٍ على برَدِ  
 ذاك يوم كان حاسداً      فيه معدوراً على الحسد

ماذا وصف حسين بن الضحاك ؟

وصف مجلساً من مجالس لهوه ، كان يغازل فيه غلاماً اسمه « يسر » ، وقد أصاب حسيننا من هذا الغلام صدُّ ودلال . فأخذ يتساءل حسين : ماذا دهاه في هذا الغلام ؟ وماذا غيرت الأيام ؟ وقد كان الأناس بينهما بالأمس مبتدلاً . ثم أخذ يصف هذا اللهو ، وما فيه من خمر ، وصيد ، وما فيه من حديث وسمر . وقد اعتاد المحبون أن يكون لهم حاسدون يعدلونهم ، ويرفبونهم . وهؤلاء الحاسدون نعمة وبراء على الأحابب والأصحاب . يكرهونهم ، ولا يرضون ما يفعلون . أما هذا اليوم فمتع لذيد . يفوق كل إمتاع ولذة . ولذلك كان حاسدوه معذورين إن غاظهم ما رأوا ، ففسدوا ، وكرهوا أن يكون لغيرهم هذا النعيم .

\*\*\*

وتغزل هؤلاء الشعراء بالمذكر :

تغزل بالمذكر أبو نواس ، وحسين بن الضحاك ، وابن الرومي ، وحماد .  
 يقول ابن الرومي :

أيها الناهلُ عنى      نمت عن لا ينام  
 طال لي صدك والصدِّ      على الصبِّ غرام  
 من يكن من أمة الحسن      فن أهوى إمام  
 هو بالذل فتاة      وهو بالزى غلام

(١) ألوى برأسه . أماله (٢) التلغ . طول العنق .

حار في خديه ماء مازج الماء صرام  
 بلتقى في وجهه ضدَّ ان نور وظلام  
 وقد ذكرنا من قبل في الفصل الأول طائفة من أمثلة الغزل بالمذكر .  
 وتغزل هؤلاء الشعراء بالمرأة غزلاً ماجناً خبيثاً .

تغزل بشار بامرأة من أهل البصرة يقال لها عبّيدة ، وتغزل بأخرى اسمها «عبّدة»  
 كانت تحضر مجالسه في منزله ، فلما سمع كلامها تعلق بها ، وكلف بها كلفاً شديداً .  
 وتغزل بجارية اسمها فاطمة ، كما تغزل في جارية له أخرى .  
 وكان بشار في غزله ماجناً خبيثاً ، حتى خشى الناس على نساءهم من شعره .  
 قالوا (١) :

ما شيء أدعى لأهل هذه المدينة - أي البصرة - إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى !  
 وقال واصل بن عطاء :

إن من أخدع حباتل الشيطان وأغواها لكلمات هذا الأعمى الملحد .  
 وذلك لأن بشاراً - كما قيل - يقارب النساء حتى لا يخفى عليهن ما يقول ،  
 وما يريد . وأى حرة حصّان تسمع قول بشار فلا يؤثر في قلبها . فكيف بالمرأة الغزيلة ،  
 والفتاة التي لا هم لها إلا الرجال ؟  
 قال بشار :

حَسْبِي وَحَسْبُ الَّذِي كَلِمَتْ بِهِ  
 أَوْ قَبْلَهُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ وَمَا  
 أَوْ عَضَّةٌ فِي ذِرَاعِهَا وَهِيَ  
 أَوْ لِمَسَّةٍ دُونَ مِرْطِهَا (٢) بِيَدِي  
 وَالسَّاقِ سِرَاقَةً مُخَلِّخَلُهَا (٣)  
 لَتِ إِيَّاهُ عَنِي وَالذَّمْعُ مُنْجَحِدِيرُ

(١) الأغانى ج ٣ ص ١٨٢ (٢) كساء يؤثر به . (٣) تتابع النفس وانقطاعه من الاعياء .

انهض فما أنت كالذى زعموا أنت وربى مُغازِلُ أَسِرُ  
 فد غابت اليوم عنك حاضيتى والله لى منك فيك بتعيرُ  
 يا ربّ خذ لى فقد ترى ضرعى من فاسقٍ جاء ما به سكرُ  
 أترى ماذا قال بشار؟

قال فى هذه القصيدة غزلا ماجناً ما بعد ذلك مجون ، خبيثاً ما بعد ذلك خبث ا  
 حدثنا عما بينه وبينها .

ولم يكن ما بينهما حديث القلب والعاطفة ، حديث الوفاء والإخلاص ، حديث  
 العيون ، التى تترجم عما فى القلوب من لوعة الحب وشوق الغرام ، حديث الروح المذب  
 المضنى ، الذى هدته الصد وأسقمه البعد فهو يَحْتال ويتوسل ، يطلب الرضا والوصال ،  
 ولكنه حديث الشهوة ، والشهوة الجالحة .

فهو لا يرضى منها بالحديث والنظر ، ولكن يمتد به العبت إلى القبلة ، والعضة ،  
 واللمس ، ومص الريق ، وهو لا يرضى منها بهذا كله ، وهذا كله كثير وكثير ، ولكن يريد  
 شيئاً آخر صرح به فى بقية القصيدة . وقد يصور لنا هذا الخبث الذى أراد به بشار أنه  
 قامت بينهما معركة حامية الوطيس ، يريد هو فى عنفه وجبروته أن يقهرها على ما يريد ،  
 ولا يريد إلا النحش والخنا ، وهى تدفعه وتدافعه ، وهى تمنعه وتزجره ، وهى تسكب الدمع  
 عله يكون لها شافعا وشفيعا . وهى تود لو أن حاضنتها كانت حاضرة ، إذن لتقوت بها  
 ومنعت عنها العدوان والأذى ، ثم هى تطلب إلى الله ، وهو نصير العاجز الضعيف ، فى وقت  
 الشدة والبلاء أن ينصرها ، وأن يأخذ بيدها من هذا الفاسق الذى جاء وما به سكر .

ألا ترى أن هذا الشعر يميل القلوب ويلين الصعب كما قالوا ؟ بلى .

إنه يغزو النفوس ، فيهيح فيها مواضع الشهوة والإثم والفجور .

ويقول بشار فى عبدة التى أشرنا إليها من قبل :

يا عبد بالله فرجى كرى فقد برانى وشفى نصبى



وضقت ذرعا بما كلفت به من حبكم والمحب في تعب  
 ففرجى كربة شجيت بها وحر حزن في الصدر كالآهب  
 ولا تظني ما أشتكى لعباً هيهات قدجل ذاعن اللّعب

وتنزل أبو نواس بامرأة يقال لها « حسن » كما تنزل « بجنان » جارية  
 لـ عبد الوهاب الثقفي .

وتنزل أبو العتاهية ، ومسلم بن الوليد ، وابن الرومي ، وحماد ، وسلم .  
 وتنزل حسين بن الضحّاك بمغنية يقال لها — فتن —  
 ومن غزله الملاحن أن قال له الحسن بن سهل ذات يوم :  
 كيف كنت في ليلتك ؟ وكيف كنت عند نومك ؟  
 فحدثه عن ذلك . قال :

تألّفت طيف غزال الحَرَمِ	فواصلتني بعد ما قد صرم
وما زلتُ أفنع من نيله	بما تحتنيه بَنَانُ الحِلْمِ
بنفسى خيالٌ على رِقْبَةٍ	ألمَّ به الشوق فيما زعم
أنانى يُجاذبُ أَرْدَاقَه	من البهر <sup>(١)</sup> تحت كسوف الظلم
تُسج سوائفه مِسْكَةً	وعنبرة ريقه والنَّسَمِ
تضمخ <sup>(٢)</sup> من بعد تجميره <sup>(٣)</sup>	قطاب من القرن حتى القدم
يقول ونازعتُه ثوبه	على أن يقولَ لشيء نعم
فغضَّ الجفون على حَجَلَةٍ	وأعرض إعراضة الحَتَشِمِ
مشبكت كفى على كفه	وأصغيت السِّمُّ دُرّاً بغم
فنهتهني دَفْعَ لا مؤيس	بجد ولا مُطِيعِ مُعْتَمِرِ
إذا ما هممتُ فأدبته	تتلى وقال لي الويلُ لِمِ

(١) تنابع النفس وانقطاعه عن الامياء . (٢) تضمخ بالطيب : تلطخ به . (٣) أى تبخر بالطيب .

فما زلت أبسطه مازحاً      وأفرط في اللهو حتى اسقم  
 وحكمتني الريم في نومه      اسمه والكنية : نكثتم  
 فواهاً لذلك من طاردق      على أن ما كان أبني سقم

حدثنا حسين بن الضحاح في هذا مما وقع بينه وبين طليح ، علام للحسين بن سهل ،  
 كان الحسين قد علق به .

ولا نريد أن نشرح هذا الحديث ، ولا أن نعلق عليه بأكثر مما قاله الحسن  
 ابن سهل . قال :

يا حسين : يا فاسق ! أظن ما ادعيتك على الطليح في النوم كان في النقطة  
 مع الشخص نفسه .

\* \* \*

هذه المعاني - كما قلنا - نجدها في شعراء الموالى ، الذين ذكرناهم ، ولا نجدها  
 على هذه الصورة بين شعراء هذا العصر الذين نشأوا من أصل عربي .  
 ولكن بجانب هذا نعرف أن مطيعاً بن أبياس كان - أيضاً ماجناً ، وكان وصفاً  
 للخمر ، وكان غزلاً بالمذكر . وهو وإن كان كذلك ، إلا أن في سورة صبغة محدودة ،  
 وفي وضع يكاد يكون ضيق النطاق .

أما شعراء القسم الثاني ، أو العبارة أخرى أما شعراء هذا العصر الذين نشأوا  
 من أصل عربي فإنهم لم يتهجوا هذا النهج الذي قدمنا .  
 ومن الطبيعي أن يكون ذلك .

لأنهم عرب ، يحافظون على تراثهم الأدبي ، ويدفعون عنه هذا الطغيان ، الذي  
 وفد عليهم من طريق العرس ، وسائر الأعاجم .

فإذا كان الشعراء الذين يمتنون في النسب إلى أصل نبي عربي يتهجون كل  
 ما هو عربي ، يحاربونه في صور شتى ، فإن هناك شعراء آخرين يمتنون إلى أصل

عمرى . لا يجارونهم فيما يفعلون ، بل يصدون تيارهم الجارف .

ومن هؤلاء الشعراء ؟

من هؤلاء الشعراء أبو تمام ، والمتنبي ، والبحترى ، والمعري ، والعباس بن الأحنف ،  
وعلى بن الجهم ، وابن خفاجة ، وابن هانيء .

فلا تكاد ترى واحداً من هؤلاء الشعراء أدمن في وصف الخمر ، أو تغزل  
في الذكر ، أو تغزل غزلاً ماجناً ، كما فعل شعراء الموالى .

ولسنا بصدد الترجمة والحديث عن هؤلاء الشعراء ، في كل نواحيهم الشعرية  
حتى نسط ذلك ككل البسط .

والكنا بصدد شعراء الغزل .

وما حظ الغزل من هؤلاء الشعراء ؟

وفي أى نوع من أنواع الغزل ؟

كثير من هؤلاء الشعراء فالوا في الغزل .

فالوه مبتدئين في أول القصيدة ، كما فعل شعراء العرب الأولون في العصر الأموي  
وفي العصر الجاهلي ، وهذا هو الغزل الصناعي الذي ذكرنا ، وذكرنا له أمثلة كثيرة  
من الشعر .

ومن هؤلاء المتنبي ، والبحترى وغيرها .

يقول المتنبي<sup>(١)</sup> في أول قصيدة أرسلها إلى السلطان ، وكان قد حبسه إثر وشاية .

أبا خَدَدَ وَاللَّهِ وَرَدَ الْخُدُودَ      وَقَدَّ قُدُودَ الْحِسَانِ الْقُدُودِ<sup>(٢)</sup>

فَهِنَّ أَرْسَانَ دَمًا مُقْلَتِي      وَعَذَّبَنِي فُلْبِي بِطُولِ الصُّدُودِ

وَكَمْ لِلْهَوَى مِنْ فُتَى مَدْنَفٍ<sup>(٣)</sup>      وَكَمْ لِلنَّوَى مِنْ قَتِيلٍ شَهِيدِ

(١) ديوان المتنبي شرح البرقوق ج ١ ص ٢١٧ (٢) التخديد : الشق . القد : القطع طولاً .  
دعو على ورد الحدود أن يشفقه الله فيزول حسنه ، وأن يقطع القدود الحسان ، وهو دعاء  
مبني واستحسان . (٣) المدنف : من أثقله المرض .

فوا حسرتنا ما أمرّ الفراقَ      وأعلفَ نيرانه بالكبود  
 وأغرى الصباية بالعائقين      وأقتها للمحب العميد<sup>(١)</sup>  
 وألهج نفسى لغير الخنسا      شعب ذوات الأعمى<sup>(٢)</sup> والزهود  
 ويقول البحتري<sup>(٣)</sup> - ولم يكن يبدأ قصائده بغير النسب - في أول قصيدته

يمدح الممتز:

مَنْ عَدَّيرِي مِنَ الظُّبَاءِ الْعَمِيدِ      وَبِحَيْرِي مِنْ ظُلْمِهِنَّ الْعَتِيدِ  
 إِنَّ سِحْرَ الْعَيُونِ ضَلَّلَ لِسِيَّ      وَحَسَانِي الرِّقَادِ وَرَدُّ الْخُدُودِ  
 وَالْأَمَانِي مَا تَزَالُ تَعِينِنَا      بِبِخْلٍ مِنَ الْعَسَوَانِي وَجُودِ  
 وَمَنْ الْعَيْشُ لَوْ يَسَاعِدُ عَيْشُ      أَنْ يَجِيءَ الْعِصَالُ بَعْدَ الْعُصُودِ  
 وَبِنَفْسِي الَّتِي تَوَلَّتْ بِنَفْسِي      ثُمَّ ضُنَّتْ بِاللَّيْلِ مِنْهَا الزَّهِيدِ  
 بَعَدَتْ دَارُهَا فَمَا مِنْ نَلَاقٍ      غَيْرَ طَيْفِ يَزُورِي فِي الْمَهْجُودِ  
 أَنْ رَأَاهَا دَامَتْ عَلَى الْوَصْلِ أُمٌّ      عَادَةَ الْغَانِيَاتِ نَقِضَ الْعَهْودِ  
 أَوْ تَرَانِي مَلَاقِيًا مِنْ قَرِيبٍ      سَكْنَا لَهُ أَشْتَاقَهُ مِنْ بَعِيدِ  
 الْإِيمَانِ الْمَمْتَزِ بِاللَّهِ أُولَى      هَاشِمِيَّ بِالنَّصْرِ وَالْتَّأْنِيدِ

\*\*\*

كما أنهم قالوا الغزل كأي غرض من أغراض الشعر ، ولكنه لم يكن غالباً ،  
 ولا قوى الحساسية ، ولا عظيم الأثر كما رأينا في عصر بني أمية .  
 إلا العباس بن الأحنف فقد امتد نفسه في الغزل وقد صدقت عاطفته فيما قال .  
 قالوا إنه شاعر غزل ظريف مطبوع لم يكن يتجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء .  
 ولذا كاد يكون شعره غناء يطرب الأفتدة ، ويستهمى القلوب .

(١) الذي أشناه المشق . (٢) العمى : سمرة في النعمه . (٣) ديوان البحتري  
 مطبعة هندية ١٩١١ ج ٧ ص ١٩٣

وقد ترى صدق العاطفة ، وحرارة الغزل في هذه الأبيات :

سلبني من السرور ثيابا      وكستني من الموم ثيابا  
كلما أغلقت من الوصل بابا      فتحت لي إلى المنية بابا  
عذيني بكل شيء سوى الصمد      فما ذقت كالصدود عذابا

ويقول :

أبكي الذين أذاقوني مودتهم      حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا  
فأنت ترى من هذا كله أن العصر العباسي لم يكن كالعصر الأموي فيما خافنا  
من آثار في الغزل ، وفيما نهجه من هذه الآثار .  
أما الغزل العذري فلا نراه في هذا العصر .  
وأما الغزل الصناعي فنراه بين كثير من الشعراء .  
والغزل الماجن نراه بكثرة في هذا العصر .

وقد عرفت فيما سبق الأسباب التي دعت إلى انتشار الغزل الماجن وخاصة بين  
الشعراء الموالى ، وأود في هذه المناسبة أن أوجه نظر القارئ إلى أن هؤلاء الشعراء  
الذين أكثروا من المجون في شعرهم نشئوا في العراق حيث كان نفوذ الفرس والأعاجم  
قوى الأثر عظيم الجانب . فكان من الطبيعي أن ينساقوا في هذا المضمار ، وأن يتأثروا  
بما حمله إليهم الفرس من لهو وعبث ومجون .

أما من لم تزل أقدامهم ولم تقع أيديهم في هذا العبث فقد نشئوا بعبيد  
عن العراق ، بعبيد عن مواطن الفتنة والفساد .

نشأ في العراق : بشار ، وأبونواس ، ومسلم بن الوليد ، وأبو العتاهية ، وسلم ،  
وحاد ، ومطيع ، وحسين بن الصحاك ، وابن الرومي .

ونشأ أبو تمام في قرية جاسم قرب دمشق . والبحترى في مَدِينِج من قبائل البدو  
الضار بين بين حلب والفرات ، ولازم وهو فني أبا تمام . والمتنبي ، وإن كان قد ولد

بالكوفة ، ولكنه خرج إلى الشام وهو في العشرين من عمره ، وعاش في بادية «بني كلب» فترة طويلة من الزمن تذوق فيها لغة البداوة ونشأ أبو العلاء في معرفة النعمان . بين حلب وحماه .

### في العصر الحديث :

بعد أن سلك الغزل في العصر العباسي هذه الأدوار التي ذكرناها وبسطنائها في شيء من الإجمال جاءت عصور على الأدب لم تكن زاهرة ، بل كانت جامدة مقفلة ، جمود الحياة التي كانت تحياها الأمة العربية في هذا الزمن ، وإقمار العيش الذي كان يرفرف على العرب في هذه الحقبة .

كانت فترة من الضعف والتدهور السياسي والاجتماعي تبعهما ضعف وتدهور في الأدب ، وفي الغزل . وفي مثل هذه الظلال لا تعيش حياة الغزل ، وهي باسمه ناعمة مشرقة الجبين ، وضياء الخيال .

حتى جاء العصر الحديث وهبت على بلاد العرب نسمة من اليقظة والبعث والحياة! بدأ العربي في كل بلد ينفذ عن عينيه غبار الظلم والنذل والاضمحلال . تفتحت عيناه فوجد العالم في رقي وحضارة ، ووجد العالم في علم وفن وأدب ، ووجد العالم يرفل في ثياب من السعادة والمناة .

فلم لا يأخذ حظه من هذه الحياة ؟ وهو السباق ذو الحمد المؤئل ، والمدنية العريقة التي اغترف منها هذا العالم ، حتى وصل إلى هذه الحال من رقي وسمو وسؤدد .

وكان أن طلع نور المدنية الأوربية على بلاد الشرق ، وحمله إلينا رسل العلم من مدارس وأساتذة وبعوث وكتب وصحافة . واتسعت هذه الرسالة وتجددت في مظاهر مختلفة حتى أصبح لنا من الأدب العربي تراث نحتديه ، ونتأثر به ، ونستقي منه كثيراً من صور العيش الذي يظللنا ، وأخذنا نقرأ من الأدب الغربي ونترجم من الأدب

الغربي حتى أصبحنا إلى هذه الحال التي نحن الآن عليها ، تلك الحال التي دعت كثيراً من المفكرين إلى أن ينادوا بالوقوف إلى ما وصلنا إليه ، وعلينا بعد ذلك أن نستثير ما بين أيدينا من أدب وفن ، وأن نخرج منه صورة تلامم عصرنا ، وتوحى إلينا الفكرة النشيطة والحياة العريقة ، والعيش الناعم الباسم ، وأن تكون هذه الصورة عنواناً لنا ورمزاً يمثل ما نصبو إليه من رفعة ووثبة ومجد .

وكان من الطبيعي أن توجد حولنا في هذا العصر حياة أدبية خاصة ، وأن يكون لنا طابع من الاستقلال في هذه الحياة .

ومن أسباب ذلك :

أن وجد لنا ملك ، ووجدت لنا سيادة ، ووجد لنا ظل من القوة والمنعة .  
وفي ظلال القوة يعيش الأدب وتنمو أسبابه ، وفي ظلال الضعف يضمحل الأدب  
وتدبل نضارة شبابه .

سحا الشرق من رقده ، وجاهد في سبيل حريته واستقلاله ، وضحى بالرخيص  
والغالي حتى نال حظه في الحياة وحظه من الوجود .

وقامت في أقطار العرب ممالك وإمارات وحكومات ذات قوة وسيادة .

وحظى الشرق بملوك وحكام نابهين ، ملكوا زمامه ، وسعوا جهد الطاقة في أن  
يرفخوا عن شعوبه ، وأن يأخذوا بيدها إلى مدارك الرقي والفلاح .

فالفاروق : في مصر رمز الآمال ، ومعقد الرجاء يبعث فيها الحياة ، ويوحى إليها  
أسباب الخير والسعادة .

وفیصل : في العراق تهفو إليه القلوب ، ويستمد منه الشعب العراقي النبيل معالم  
القوة والعظمة .

وابن السعود : في الحجاز يبني ملكاً موطد الأركان ، ذا عزة وسيادة وسلطان .

وشكري القوتلي : في سوريا يحمي الذمار ويصون الحمى .

وبشارة الخورى : فى لبنان يرفع راية العرونة كريمة مجيدة ، وبسمى فى أن يكون  
لبنان رفيع الذرى شامخ البنيان .

ويحىى الامام : عاهل اليمن ، ورمز القوة فيها والحياة .

أولئك فرسان صناديد وعرب أمجاد يسرى فى عروفتهم دم العرونة نقيا ألبيا ،  
صافيا منزهوا ، فيذكرون حياة الآباء والأجداد ، ويذكرون ما كان لهم من صول  
وسلطان ؛ وما كان لهم على المدنية من أيد وآثار ، فيتآخون فى سبيل محمد العرونة ،  
ويتنادون إلى تلبية نداء الحق ، نداء الحرية ، نداء الشرف ، ويلبون النداء .

وما أكرم نفس العربى ! يذود عن الحمى ويدفع العدوان .

إذن وجد للعرب كيان بعد أن تمزقت صفوفه ، وتوارت معالمه ، ووجد لهم ملك  
يستظاون بظله الوارف ، ويستمدون من سلطانه القوة والجهوت .

وإذن أخذت تقوى أسباب الحياة فى كل قطر : فانتشر التعاليم وازدهر العلم  
واندشرت المطابع والصحف والمجلات .

وقويت أصرة الثقافة بين العرب فى جميع الأقطار فتبادلوا الكتب والصحف  
والمجلات ، وتبادلوا الأساتذة رسل علم ونور وعرفان .

بل قويت إلى ما هو أبعد مدى فوجد المجمع اللغوى الملكى يضم رجلا  
من الأقطار العربية ومن المستشرقين يجمعهم رابطة وثيقة ، هى خدمة الفصحى ، وخدمة  
الثقافة العربية فى أوسع صورة وأقوم طريق ، بل قويت إلى ما هو أبعد من الثقافة ،  
قويت وامتدت إلى الروابط الأخرى التى يجب أن تسود بلاداً شقيقة يقطنها أخوة  
أشقاء . يجمعهم دم واحد ، ولسان واحد ، ودين واحد ، فلا بد أن يتعارفوا ويتآلفوا ،  
ولا بد أن يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، ولا بد أن يكون القوى عون  
الضعيف ، وأن يكون الغنى رحمة للمحتاج ، وأن يكون الأخ عوناً لأخيه ، تقوى به  
شوكته ، ويأمن به غوائل العدوان .



لذلك كانت الجامعة العربية تجمع تحت لوائها رجالات العرب ، فيسعون ويعملون ما فيه خيرهم وفلاحهم وصلاتهم .

وها هي ذى روابط الود والإخاء تزيد على مر الأيام وتقوى آصرتها ، وفي كل يوم نرى من ثمارها ما يبشر بتحقيق الآمال .

وظالما رأينا ملوك العرب يجتمعون ويُضفي اجتماعهم على العرب الخير والمعروف . تلك هي حال العرب في هذا العصر .

حرية كسبوها بعد طول جهاد .

وملك يهيئون أسبابه ، ويوظدون دعائمه .

ووحدة تظلمهم في كل جمع ، وتربطهم في كل ناد ، فتنفوز كلمتهم لأنها كلمة الحق ،

وتعلو رايتهم لأنها راية العدل والسلام .

ويقظة في العلم ، يقظة في السياسة ، يقظة في العمران ، يقظة في كل مظهر

من مظاهر الحياة .

ومن الطبيعي والأدب مرآة العصر وترجمانه - أن تشمل هذه اليقظة فنون الأدب .

ومن الطبيعي أن يمثل الأدب صور هذه الحياة ، وما فيها من ملك وقوة ، ونهضة

ووحدة ، ونور ومعرفة .

ولأأريد أن أبتعد في حديثي عن الغزل .

فلأتحدث عنه بعد أن ذكرت هذه الإمامة عن حال الأدب في هذا العصر . ولابد

من ذكر هذه الإمامة لأن الغزل مرتبط بالأدب ، وبالحال الاجتماعية برباط قوى وثيق .

مادواعي الغزل في العصر الحديث ؟

ومن شعراء الغزل في العصر الحديث ؟

وما أغراض الغزل في العصر الحديث ؟

هذه ثلاثة أسئلة . ولابد لكل سؤال من جواب .

هذه الأجوبة قد تطول ، فيتسع أمامها مجال القول . وقد تخرج بنا هذه السعة عن المدى الذى رسمناه لأنفسنا .

فانجزىء قدر الإمكان حتى يكون هناك تكافؤ بين العصور ، وحتى يكون هناك مجال للبسط والبيان لمن شاء البسط والبيان .

دواعى الغزل فى العصر الحريى :

ذكرنا من قبل دواعى الغزل .

فانلخص هذه الدواعى . ولنطبقها على هذا العصر .

ماذا زاد؟ وماذا نقص؟ وما السبيل إلى هذه الزيادة؟ وما السبيل إلى ذلك النقص؟

قلنا من دواعى الغزل :

١ — بيئة العربى وطبعه :

أما البيئة وإن لم تكن فى جميع الأقطار صحراء مشرقة الجبين ، وضاعة الخيال ، فإن فى الكثير الغالب من بيئة هذه الأقطار ما يدعو إلى صفاء الذهن ، ورقة الحس ، وجمال العاطفة .

فى بيئة كثير من هذه الأقطار الطبيعة الباسمة الطروبة . فيها صفاء السماء ، ورقة الماء ، وخضرة النبات والزرع .

وهذه أسباب تدفع المرء إلى أن يكون غزلاً ، وأن يكون فى عيشه طروباً . أما طبع العربى فلا يزال — وإن كانت قد أتت عليه أحداث — يميل إلى أن يأنس إلى المرأة ، وتأنس المرأة إليه فى ظلال من الود ، والعطف والحب .

٢ — اختلاط الرجل بالمرأة :

لم تكن المرأة العربية محتجبة فى منزلها ، فكانت تلقى الرجل ، وكان الرجل يلقاها . ودكرنا من أسباب اللقاء المرعى ، والتزاور والاستسقاء ، ومواسم العرب . تطور هذا العامل تطوراً حساساً . فلم يعد المرعى عاملاً من عوامل الغزل .

والآن قد يلتقي الرجل المرأة في المرعى . ولكن لا يتولد عن هذا اللقاء غزل .  
لأننا بعدنا كثيراً عن الشاعرية العربية ، فلم نصبح شعراء بالفطرة والسليقة ،  
كما كان العرب ، في كثير من العصور الماضية ، بل أصبح الشعر علماً وصناعة ، وهيئات  
أن يجيدها من ينتجعان الكلاً والمرعى في هذه الأيام ! .

ومثل ذلك الاستسقاء إذ أصبح غير فأمم في عصرنا الحاضر ، وقد وجدت  
وسائل كثيرة يحصل بها المرء في رجليه على الماء . أما التزاور فلاشك أنه من وسائل  
لقاء المرأة بالرجل ، والرجل بالمرأة ، وقد يلتقيان في إحدى الزيارات ، فيلتقي قلباهما ،  
وتتلاقى نبضات قلبيهما ، ويلتقي إشعاع ناظريهما ، فإذا وجد هذا لساناً من الشعر  
قوياً فتياً ، حدنك حديث الغزل الرائع الجميل .  
أما مواسم العرب فلم تعد كما كانت .

كان الحج موسم العرب الأكبر ، وكان مثاراً لا يذكار روح الشاعرية في نفوسهم  
وقد قرأت فيما سبق كيف أوحى الحج إلى كثير من الشعراء كثيراً من الغزل الرقيق  
لأنهم رأوا المرأة في هذه المثابة الكريمة ، فذكروا حسناتها وجمالها ، وكأنهم بذلك  
يذكرون الله الذي خلق هذا البدع من الحسن والجمال ، وكأنهم بذلك وهم يصفون  
بأرواحهم إلى نسيان الحياة الدنيا يصفون بعاطفتهم فيتحدثون عن المرأة حديثاً  
حلواً جميلاً .

وفي الزمن الماضي كان العرب في موسم الحج يتجهون إليه جميعاً رجالهم ونسائهم  
حكاهم ومحكومهم ، أغنيائهم وفقراءهم ، شبيهم وشبابهم .  
أما اليوم فليس الأمر كذلك .

وما سمعنا ، ولا حمل السمع إلينا أن شاعراً في عصرنا هذا رأى ما رأى عمر بن  
أبي ربيعة في تلك العراقية الحسنة ، فأوحى إلينا من شعره ما أوحى عمر .  
ولست أدعو إلى أطراح الحج إذا أنا ذكرت الواقع ، بل أرجو أن يعود الحج

كما كان نتجه إليه الفتاة الغضة الناضرة ، والفتى الغض الناضر ، أو يتجه إليه الجميع  
 لأفرق بين الشيوخ والشباب ، ولابين الأغنياء والفقراء ، ولا بين المترفين والمعدمين ،  
 ولا بين الزعماء والمتزعمين ، ولا بين الشعراء والخطباء والكتاب ورجال العلم  
 والفقهاء والقانون .

إذن لأفدنا من الحج فائدة عظيمة واتخذنا منه دروساً نافعة وانتظمت من جموعنا  
 فيه مؤتمرات تدارس فيها أمورنا ، ويتلاقى فيها نتاج عقولنا ، وكان لنا من كل ذلك  
 خير أى خير !

ولا شك أن الشعر ومنه الغزل يجد مادة خصبة فى هذا المجال ، فإذا رأى الشاعر  
 الغزل ، ذو الحس المرهف المرأة الباسمة الفاتنة جرى خياله وراء حسنها ، فزينه وصوره ،  
 وأخرج لنا صورة حية مؤثرة ، قد تفوق بعض الصور فى العصور الماضية ، لأنه زاد عليها  
 خيال جديد ، وزاد عليها عقل جديد ، وزادت عليها ألوان من الحياة ، لم تكن فأمة ،  
 فأصبحت اليوم فى قوة ونمو وازدهار .

على أننا إذا عدنا ما كان عند العرب من موسم اللقاء وما يكون ثمرة لهذا  
 اللقاء من غزل رفيع ، ومن ثروة فى الغزل ، فإننا لانعدم فى وقتنا الحاضر ما يكون كالحج  
 وسيلة من وسائل لقاء الرجل المرأة واستشارة شاعريته ، بما وهبها الله من حسن  
 وفتنة وجمال .

تلك هى مواسم الاصطياف .

فإن كان الاصطياف على شاطئ البحر رأيت أسراباً من الغيد الحسان ، رائحات  
 غاديات ، أو جالسات يستمتعن بالظل ، وهواء البحر ، أو عائمات ساجحات ، يسرن بين  
 طبقات الماء القريبة أو البعيدة ، ويتماوجن مع الأمواج ، ويداعبن نسيم البحر ، والبحر  
 أنيس محبوب ، قد يكون وادعاً فيأنسن إليه ، ويرضى بهذا الأنس فترة من الزمن ،

وقد يكون ثائراً فيثأرن لأنفسهن منه، ويرضى كذلك بهذا التأر، فهو تأر من لاقوة له ولا خوف منه ، وهو كذلك يكون ضرباً من ضروب التسلية والسرور .  
أليس ذلك من بواعث الغزل ؟

بلى .

إن ذلك يتير في الرجل العادى أن يتأمل وأن ينظر ، وأن يسوقه التأمل والنظر إلى الإعجاب ، وتقدير هذا الجمال ، وقد يسوقه ذلك أيضاً إلى أن يحمد الله الذى خلق فصور ، وأحسن الخلقة والصورة .

فما بالك بالرجل الأديب ؟ ، الذى يصوغ الوزن والقوافى ، والذى رق قلبه وصفا وجدانه وقويت حساسيته ، وقرأ فى الشعر العربى صور الخيال وعرف فى الشعر العربى ضروب الغزل .

إنه لا شك يحدثنا عن هذا حديثاً قوياً جذاباً .

ولا شك أن شعره يحمل إلينا صورة من هذه الحياة الجميلة الجذابة . وقد يجمع الله بين قلبين تعارفاً فى هذه البيئة وتحاباً ، وقد يجعل الله فى هذين القلبين روحاً من الشاعرية . وفى هذا المجال من الشاعرية يقوم الغزل ويقوى ، ويصنف علينا ألواناً من روائع الشعر ، تصور هذه الحياة أجمل تصوير ، لتسعد به ونأنس إليه . وإن كان الاصطيفاء فى مكان آخر فيه الطبيعة تزهو ، والماء يجرى ، وفيه الربوات تزدان بالأعشاب والأشجار . رأينا أيضاً جماعات المصطافين لا حرج بينهم ولا تثرىب ، يجتمعون ويأتلفون ، ويتسامرون ، ويلتقى الفتى بالفتاة .

والعرب فى أى قطر كانوا يرتحلون حيث يجتمعون فى الصيف على شاطئ البحر أو غيره ، فيلتقون فى مكان واحد ، ويتولد عن هذا اللقاء تعارف وتآلف ، وقد تتولد عنه ما يذكى هذا التعارف من علاقة ومودة .

على أن اختلاط الرجل بالمرأة فى هذا العصر فاق كل عصر ، فأصبحت الفتاة

تتعلم كالفتى ، وأصبحت تخالطه في كثير من المجتمعات والمنتديات ، وأصبح يراها ويحبها  
إليها في دور العلم ، ودور الثقافة ، ودور الخبالة ، والحدائق والمباني . وقد تقوض  
ما كان هنالك من حجاب ، يجمها أسيرة المنزل المقيدة الدار ، وتقوض ما هنالك  
من قيود اجتماعية ، فأصبح المرأة ما للرجال ، حتى في الحقوق السياسية فمؤ الان صريحة  
جديرة بالنلمية في أن تكون لها في هذه الحقوق مثل الرجال .

وقد يكون للبيئة الغربية وتأثر العرب - هذه البيئة أثر في هذا الذي وصلنا إليه  
من اختلاط الرجل بالمرأة . واست بصدد بيان ما لهذا الا-تلاط من أثر حميد ، أو غير  
حميد . ولكننا بصدد موضوعنا ، وما يتصل به من أثر الاختلاط في الغزل . وكيف  
أفاد الغزل من هذا الاختلاط .

لا شك أنه أجدى كثيرا .

ولو نشر الشعراء ما عندهم من هذا الأثر ، ولم ينشر شعراء ما عندهم ،  
ولم يتحرجوا ، ولم يخشوا جانب العتب واللوم ، ولم يخشوا جانب الشهير ، وما يجره  
على المحبوبات من أمور كثيرة . لم ينشر الشعراء ذلك لم يحدث ما لهذا الا-تلاط  
من أثر في الغزل ، ولو حدث للغزل في هذه الناحية عمالا فسيح المدى .

٣ أسرار الأدب :

قلنا إنه كانت للعرب أسواق في الأدب ، كانوا يفتشون فيها الشعر ، وكانوا  
يجودونه ، ويتسابقون في هذه الجودة . و ينصون بينهم من تحكيم للسابقين الجودين .  
وفد تدرج العرب في هذه الأسواق ، ونوعوا . فهناك أسواق عامة ، يجتمع فيها  
الشعراء ، من كل مكان ، وكانت لها أوقات محددة . وهناك مجالس خاصة . يجتمع  
فيها طائفة من رجال الأدب وعشاقه . يساسرون ، ويناشدون الشعر ، ويتدارسون  
أخباره ووادره . وشعر الغزل كما قلت قريب إلى النهموس ، حبيب إلى الأفتدة .  
فوجدوا منه مادة لا ينضب معينها .

لم تعدم عصور الأدب هذه الأسواق . ولكن لم توجد مجال واحدة في هذه العصور ، ولم يكن أثرها واحداً في هذه العصور . بل اختلفت قوة وضعفها ، واختلفت قلة وكثرة ، وتفاوتت مكاتها بين جمهرة الناس . وهي لا تزال في هذا الاختلاف ، حتى وصلت إلى عصرنا الحاضر .

### فماذا نرى من الأسواق الأدبية ؟

نرى بعض هذه الأسواق في صورة بسيطة تقام في دور العلم . وتقام في بعض المناسبات كتكريم شاعر ، فتنشر صفحات شعره ، يتناولها الأدباء بالتحليل الدقيق ، والوصف الرقيق .

وكان العرب في فديم الزمن في حاجة ماسة إلى هذه الأسواق الأدبية ، إذ بدت الشقة بينهم ، وتناوت ديارهم ، فكانوا يتخذون من هذه الأسواق مثابة لاجتماعهم ، ومثابة لنثر أزهير أدبهم .

ولا شك أن لهذه الطريقة آثارها وفوائدها . ومن الحسن أن نحذو حذوها في هذا العصر ، لأن فيها إذكاء لروح التنافس ، وحفزاً للهمم ، وبعثاً ليقظة الأدب . ويظهر أننا أحسننا بهذه الحاجة ، فراح جماعة من أدائنا يؤلفون رابطة أدباء العروبة . يرتحلون بين وقت وآخر إلى بلد ، حيث يرتقى منبر الخطابة والشعر جماعة من رجال العلم والأدب ، ويطلعون علينا بصورة من شعرهم وأدبهم ، فيها ما هو حسن جميل .

والفكرة في ذاتها صالحة نافعة مشمرة .

ونحن أحوج ما نكون إلى إذكاء روح الشاعرية والأدب في نفوسنا . فحياة الأمم لا بد لها في نهضاتها ووثباتها إلى روح من الأدب ، يدكى فيها الحياة ، ويدكى فيها اليقظة ، ويدكى فيها الإحساس بالوجود ، بل الإحساس بالعظمة والمجد .

الحاجة إلى هذه الأسواق الأدبية ماسة . وحسنًا تفعل جامعة أدباء العروبة .  
ولكن الأمر يحتاج إلى توجيه ، وتنظيم ، وبحث ، ودراسة .  
أفهم أن تعقد هذه الجماعة أو غيرها من جماعات الأدب أسواقاً أدبية . يتبارى  
فيها الخطباء والشعراء في موضوع معين . يتناولونه جميعاً بالبحث ، والدرس . والبيان .  
ويعطى الفائزون السابقون مكافآت ، وبنشر بين الناس نتائج قرائحهم .  
ولا يخفى ما في هذا من تشجيع ، وإذكاء لروح الأدب بين كثير من الناس .  
وأفهم أن يعتقد لواء الأدب ، فيترك الخيار للخطيب أو الشاعر فيما يقول . وحينذاك  
يتناول حديثهم شتى الموضوعات . ومن أحسن الاختيار ، ومن هز الأفتدة ، ووصل  
إلى موضع الرضا من نفوسنا كان جديراً بالسبق والتقدير .  
ولو اتسعت هذه الأسواق ، وانتظمت في فترات معينة من السنة ، والتأمت  
في كل فترة في إحدى عواصم الأقطار العربية . ولو ترك الخطباء يقولون ويتحدثون  
فيما يسوقنا إلى الخير ، ويدفعنا إلى الحياة الكريمة . ولو ترك الشعراء يكسفون لنا  
عن حاجات قلوبهم . لهذا يصف ، وذاك يمدح ، وذلك يتنزل — إذن لكانت لنا  
من هذه الأسواق حياة رقيقة ، وسلطان في الأدب منبع .  
هذا وإن أسواق الأدب وجدت في عصرنا الحاضر ، ولكن في صور أخرى .  
فالصحف ، والمجلات ، والكتب ، والمذيع — كل هذه أسواق أدبية .  
نقرأ في جميعها ، ونسمع في جميعها صوراً حية من الأدب ، وصوراً حية من شتى الفنون .  
أما الصحف — وأعني الصحف قبل هذه الحرب ولما تهيم لها الفرصة الآن —  
فإنها كانت تخصص صفحة من صفحاتها للأدب . وفي هذه الصفحة نقرأ ألواناً  
من الشعر ، في مختلف الأغراض ، ولشعراء كثيرين من جميع الأقطار العربية .  
ونرى هذا في المجلات . ولكن في صورة فسيحة المدى ، دقيقة الأثر .  
والكتب الأدبية كثيرة متنوعة . دمجها يراع الكاتبين والأدباء ، فنشروا



في صفحاتها فصولاً من الأدب، وفصولاً من الشعر. فيها ما هو حسن جميل، رائع مؤثر.  
والمذيع نسمعه في كل يوم، وفي كل مكان. نسمعه في البيت والمدرسة،  
في الشارع والمنتدى.

نسمع ونحن في مصر صوت العراق، وصوت الشام، وصوت فلسطين، بل  
أصواتاً عربية في جهات أخرى، وفي ممالك أخرى.  
وللشعر، وللغزل حظ عظيم مما نسمع.

ولو وجد في المذيع توجيه سليم لكان خير المنابر، يوحى إلى الناس غذاء العقول  
والقالب. وكان سوقاً أدبية لا يمكن أن تجاريها سوق أخرى، من حيث الذبوع  
والانتشار، ومن حيث الفائدة وحسن التأثير.

أما الصحف والكتب والمجلات فقد كثرت، وانبسطت تبعاً للطباعة التي وصلت  
في تقدمها إلى حد بعيد. والمذيع أصبح قائماً من عهد قريب. ولكن ألبى في هذه  
الناحية البلاء الحسن، وقدم لنا خير ما يقدم من دروس. وأعتقد أنه سينمو أثره  
في المستقبل، ويزيد نفوذه، وخاصة عند تعميم — التليفزيون —.

هذه ولا شك أسواق أدبية.

وهي الآن في هذه الناحية مفيدة نافعة. وستكون بعد الحرب أكثر فائدة ونفعاً،  
إذ يحتاج القارئ إلى مزيد من الأدب. والسامع إلى مزيد من غذاء القلب والروح.  
وهناك سوق أدبية أخرى، كثيرة الرواج، بعيدة الانتشار. تلك هي  
الشاشة البيضاء.

كم نرى فيها من المشاهد!  
وكم نقرأ فيها من شعر الغزل!  
وكم نرى فيها من حوادث الغزل!  
وكم يشجبونا فيها غناء الغزل!

ونتأثر نحن ، وتهتر قلوبنا بما نسمع ، ونقرأ ، ورى .  
ومن هذا كثير .

ومن هذا . قيس ولبنى ، ومجنون ليلي ، وعنترة وعبله . . . .  
وتقوم كذلك فرق التمثيل بكثير من الروايات . فيها غزل ، وفيها شعر غزل ،  
وفيها غناء غزل .

٤ — مظاهر الترف :

قلنا إن الترف من دواعي الغزل . وذكرنا مظاهر الترف : من شباب ،  
وجوار ، وغناء .

وما حظ عصرنا هذا من تلك الدواعي ؟  
إن شباب الأمة العربية لم يكتمل بعد .

ففي عهد قريب كسرت قيود الذل والاستعباد . ومنذ عهد قريب نالت حقها  
من الحرية والاستقلال . وها هي ذى تعد العدة لبناء مكانها من العالم ، واستكمال  
ما يتطلبه شبابها من عدة وعتاد ، ومن ثروة وغنى ، ومن علم ومعرفة ،  
ومن رقى وحضارة .

ولا أعنى بهذا أن الأمة العربية في وقتنا الحاضر ليس فيها أدب ، وليس فيها  
شعر . بل أعنى أن الأمة العربية في دور اليقظة والتكوين ، وهي حين تصل إلى عهد  
الشباب ، وتستصل إليه بعون الله وتوفيقه في يوم قريب — يكون لها لون من الأدب  
يفوق كثيراً ما نحن عليه الآن .

ولا يمكن أن يستوى عود الأدب إلا بعد أن يستوى عود الحياة .

وعود الحياة في بلادنا العربية لا يزال غض الإهاب ، لم يتماusk بناؤه ، حتى  
يشق طريقه إلى الوجود ، شامخ الرأس ، موفور الكرامة . والعرب يسعون الآن  
في أن يصونوا هذا العود من عبث الأهواء والأنواء ، حتى يتم بناؤه ، وثابت دعائمه .

والجواري :

لاحظ لعصرنا فيهن ، إذ أصبح الناس جميعاً أحراراً لافرق بين سيد ومسود ولا مالك أو ثملوك .

والغناء :

وقد وصل في عهدنا الحاضر إلى درجة عظيمة ، ذاع وانتشر ، حتى طغى على كل شيء ، وأصبحنا نغيب أنفسنا على هذا الطغبان ، طغى على ما هنالك من فنون الأدب ، ومن فنون الحياة ، ومن ألوان الحياة .

ومن الحق أن يكون له المقام الأول ، ولكن ليس من الحق أن يكون له كل مقام .

يحمل الغناء إلى أذنك ، وإلى قلبك المذيع ، والشاشة البيضاء . وفي دور التمثيل والحفلات العامة نسمع الشيء الكثير .  
وأصبح للغناء في نفوسنا منزلة كبيرة كريمة .

وإذا شئت أن تعرف ما للغناء من منزلة في نفوس الناس فعليك أن تشهد رواية غنائية على الشاشة البيضاء ، وفي دور التمثيل ، وعليك أن ترقب الناس وهم يجلسون إلى المذيع يستمعون إلى بعض الأغاني ، إنك تجد شيئاً عجيباً غريباً ، تجد إقبالا وتهافتاً ورغبة وحنيناً ، تجد ذلك كله من جميع الناس لا فرق بين غنيهم وفقيرهم ، ولا بين جاهلهم ومتعلمهم .

وعرف القائمون بالأمر هذه الرغبة الملحة ، فعملوا على إتباعها ، أو على إروائها بما يخرجون في كل يوم من أغان ، وما يخرجون من روايات في دور الخيالة أو التمثيل ، وما يطلع به علينا المذيع في كل ساعة من أغان كثيرة الألوان ، مختلفة الغايات .

وسعد الغناء بطائفة من المغنين والمغنيات ، مازهم الله بالصوت الحسن ، واللحن

الجميل ، والموسيقا الجذابة .

سعد الغناء : بأم كلثوم ، ونادرة ، وبجاة ، وملآك ، وأسهمان ، وفتحية أحمد ،  
 وليلى مراد ، وسعاد زكى ، وبور الهدى ، ولوردكاش .  
 كما سعد : بمحمد عبد الوهاب ، وصالح عبد الحى ، ومحمد عبد المطلب ،  
 وعلى محمود ، وعمد الغنى السيد ، وفريد الأطرش ، ومحمد الكحلأوى .  
 إن من بين هؤلاء من إذا سمعته أشجأك ، وهز فيك المشاعر ، وانتقل بك  
 إلى عالم آخر ، فيه تزهو ، وتعجب ، وتطرب .  
 وإنه ليساعد على روعة الغناء فى هذا العصر فوق جمال الصوت ، وحسن النغم ،  
 ماوصلت إليه الموسيقى من تقدم ورقى .

أما مادة الغناء فأكثرها فى الغزل ، ولأمر ما كان كذلك . ذلك لأن الغزل  
 كما قلنا فربب إلى النفوس ، يثير فيها مواضع الإعجاب والحساسية ، ولأنه وجه الحياة  
 الضاحك المشرق ، والإنسان يميل إلى كل ما هو ضاحك طروب ، ولأن مشيرات  
 الرضا فى الغناء الغزلى كثيرة متعددة : فوة الغناء ، وقوة المعانى ، وقوة الموضوع ،  
 ولاشك أن الصوت الجميل يستهوى القلوب ، ومعانى الغزل تطرب لها الأئدة ، وموضوع  
 الغزل تهفو إليه الطباع ، ويتم للإنسان بذلك لون جميل من الالذة ، والفرح ، والسرور .  
 وتعال معى لنقرأ ونسمع شطراً من هذه الأغانى :

أم كلثوم :

تغنى :

أما للهوى نهى عليك ولا أسر	أراك عصى الدمع شيمتِك الصبرُ
ولكن متلى لا يذاع له سر	نعم أنا مشتاق وعندى لوعة
وأذلت دمعاً من خلاتقه السكر	إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى
إذا مت ظمآنأ فلا نزل القطر	معلتى بالوصل والموت دونه
إذا هى أذكتها الصباة والفكر	نكاد تضىء النار بين جوانحى

فقلت كما شاءت و شاء لها الهوى  
فقلت لقد أزرى بك الدهر بعدنا  
و حاربت أهلى فى هواك وإنهم  
وعدت إلى حكم الغرام و حكمتها  
و تغنى من شعر الأستاذ أحمد رامى :

أذكرىنى كلما الطير شدا  
ينصت الزهر إلى أنغامه  
مرسلا فى الجو ألحان الصفاء  
فيحييه يبشر وأنحاء

\* \* \*

قد ظلت اليوم أسكى  
وشدا الطير وغنى  
من أذى دهرى ومنك  
وتناجى وتهنى

\* \* \*

فتذكرت الذى طاف بسمى  
وهنا قلبى من طول أننى  
إذ مزجت الكأس فى كفى بدمى  
فارحمى دممى وغنى واد كرىنى  
و محمد عبد الوهاب :

يغنى من شعر المرحوم أحمد شوقى :

تلقت ظبية الوادى فقلت لها  
ليلى : مناد دعا ليلى فحرف له  
ليلى : نداء بليلى رن فى أذنى  
ليلى : تردد فى سمى وفى خلدى  
هل المنادون أهلها وأخوتها  
إن يبشركونى فى ليلى فلا رجعت  
أغير ليلى نادوا أم بها هتفوا  
لا لاحظ فانك من ليلى ولا الجيد  
نشوان فى جنات الصدر عريد  
سحر لعمرى له فى السمع ترديد  
كما تردد فى الأبيك الأعاريد  
أم المنادون عشاق معاميد  
جبال نجد لهم صوتاً ولا البيد  
فداء ليلى الليالى الخرد الغيد

كسا النداء اسمها حسناً وحببه حتى كأن اسمها البشرى أو العيد  
ليلي : ترى أنا مجنون يخيل لي لا الحى نادوا على ليلى ولا نودوا  
ويغنى من شعر الأستاذ على محمود طه المهندس — أغنية الجندول — ومنها :  
أين من عيني هاتيك المجلالى يا عروس البحر يا حلم الخيال ؟  
أين عشاقك سمار الليالى أين من واديك يا مهد الجمال ؟  
موكب الغيد وعيد الكرنفال وسرى الجندول فى عرض القتال

\* \* \*

بين كأس يتشهى الكرم خمره وحبيب يتمنى الكأس نغمه  
التقت عيني به أول مرة فعرفت الحب من أول نظره

\* \* \*

فأنت ترى قدرا من هذه الأغاني . وترى فى هذا القدر لونا من ألوان الغزل .  
وأغنية أم كلثوم — أراك عسى الدمع شيمتك الصبر — تحدثنا عن كثير  
من شؤون الغزل .  
وذو الهوى مُعنى بكثير من الأرزاء والأهواء ، لا يستطيع لها صبورا . وذو الهوى  
دمعه غزير هتون ، لا يستطيع له زجراً أو منعاً . وذات الهوى متجنبة متعلقة ، تمنيه  
بالوصل والأمانى ، ولكنها لا تجود . يتوسل لها ، ويضرع إليها ، ولكنها تمنع  
فى الصد والهجران .

وهذا حوار جميل لطيف بين الرجل وهواه . يدل على كثير من معانى الغزل .  
يقول الرجل :  
أنا قتيلىك .

وكان من الطبيعى أن تحمد فيه هذه التضحية ، وأن ترجمه ، وتحنو عليه . ويكفى  
أنه ذهب فى حبها إلى هذا المدى . والجود بالنفس أقصى غاية الجود .

وماذا يكون الجواب ؟

تعيظه هي ، وتقسو عليه ، وتشدد في العيظ والقسوة ، وتقول له أى القتلى أنت ؟  
إذن هام بها كثيرون ، وشغفوا حبا . بل وصلوا إلى أن أصبحوا قتلها وصرعها .  
وليس هناك أقسى على الحب من أن تستهتر به الحبيبة ، وأن تظهر له أن كثيرين  
يبادلونها عاطفة الحب . والحب غيور مستأثر .

وهذه حاله : سهد ، وألم ، وحرقة ، وعذاب . أضناه ذلك وأسقمه وأهلكه .  
تتجاهل الحبيبة كل ذلك ، وتتجاهل أنها سببه ، وتقول له : لقد أزرى بك  
الدهر بعدنا .

ويقول المحبوب : معاذ الله . بل هي التي كانت سببا في ذلك كله . إنه يهواها  
وفي سبيل هذا الهوى حارب أهله ، وهم لديه أحب من الخمر والماء .  
وأغنية « اذكريني » تحدثنا عن ألم الحب ، ومرارته ، وما يوحيه من دموع  
وأنين ، ومن لوعة واشتياق ، فهو يطلب أن تذكره ، وأن ترجمه .

وأغنية « محمد عبد الوهاب » - تلفتت ظبية الوادى - تحدثنا عن بعض صفات  
الحسن في الحبيبة من لفظ ، وحيد ، وأن اسمها حلو جميل ، حتى كأنه البشرى  
أو العيد . ويصف الحبيب نفسه كأنه في حال جنون : يتخيل من يناديها : ومن هم  
المنادون ؟ أم أهلها أو عشاق معاميد ؟ وهل يشركه في حباها أحد ؟ إن هذا بلاء عظيم .  
وهل ليلى هذه التي نادوها هي ليلاه ، أو غيرها ؟ هذه ثورة تكاد تكون جنونا ،  
يعبر عن حالة نفسية ، تقع كثيراً بين المحبين .

أليس ذلك كله غزلا ؟

واليس غزلا رقيقاً جميلاً ؟

على أن هذا الغزل وإن كان رقيقاً جميلاً ، ولكن الصوت الجميل الذي عمله  
إلينا جعله أكثر رقة ، وأكثر جمالا .

إنك تعرف ما في هذا النزل من حلاوة وجمال حين تسمعه من أم كلثوم ،  
أو من محمد عبد الوهاب ، وأمثالها .

وإني أسائل القارىء الكريم ماذا يكون حظ هذه الأشعار من الذبوع  
والانتشار . إذا لم تحظ بمثل أم كلثوم ، ترددتها وتغنيها ، فتحيى بها القلوب ، وتطرب  
الأفئدة وتصبح بعد ذلك نجوى كل حبيبة وحبيب .

إن الألفاظ والمعاني تسعد وتشقى ، كما يسعد الناس ويشقون ، والشعر يكون حظه  
من السعادة إذا كان المعنى جميلاً ، واللفظ سهلاً ، وحين يغنيه وجه جميل ، وصوت جميل .  
وعلة ذلك عند علماء علم النفس أن التأثير وصل إلى النفس في أكثر من حاسة ،  
وصل التأثير من طريق الذوق ، والسمع ، والبصر .

أما الذوق : فطريقه نذوق الألفاظ والمعاني .

وأما السمع : فطريقه النغم الحلو ، والصوت الجميل .

وأما البصر : فطريقه ما وهب الله للمعتميات من حسن وبهاء .

\* \* \*

هذه أمثلة من بعض الأغاني المصوغة باللغة العربية الفصحى .  
وهناك سيل جارف من هذه الأغاني ، صيغت باللغة العامية ، ولا بأس أن أذكر  
شطراً منها :

أم كلثوم تغنى .

إنت فاكرائى والا ناسيانى يا لى ظالمانى يا لى هجرانى

إنت فاكرائى والا ناسيانى

الحنين فاض بى والبعاد طول والهوى فى قلبى زاد عن الأول

إوعى تفتكبرى قلبى يتحول يا لى ظالمانى يا لى هجرانى

إنت فاكرائى والا ناسيانى



— ٢٣٧ —

إمتى يتمتع بالوصال قلبى والزمان يسمح بالهناء فى حبى  
دا الفراق فاسى والشجن زاد بى يا لى ظالمانى يا لى هجرانى  
إنت فاكرانى والا ناسيانى

طال على الليل اشتكى وجدى زاد على الويل فى السهر وحدى  
وانت ليه ترضى فى الهوى بعدى يا لى ظالمانى يا لى هجرانى  
إنت فاكرانى والا ناسيانى

ارحمى قلبى واسألنى عنى الغرام ذله واشتكى منى  
إمتى تصفى لى وابقى متهنى يا لى ظالمانى يا لى هجرانى

وليلى مراد تعنى :

يا قلبى اصبر على الأيام يمكن يعود صفوك تانى  
عهد الهوى ذكراه أحلام يا قلبى إمتى تعيش هانى  
يا قلبى اصبر على الأيام

أسيت فى دنيا الحب كتير وليسه يا قلبى طاوحت هواك  
بعد الوفا ما لقينش نصير ما شفت غير فى الوحدة أساك  
عهد الهوى ذكراه أحلام

حببت وشفت اللى جراك ظلمت ليه حالى وياك  
شريد ومين يرحم حالك وحيد ومين يسمع نجواك  
عهد الهوى ذكراه أحلام

أبات وأنا وياك حيران واتمنى يوم يرتاح بالى  
ما لقيتش غير جفنى السهران ولا حبيب يبكى لحالى  
عهد الهوى ذكراه أحلام

وأسمهان تغنى :

يا نسيم احمل سلامي الى قلبي مال إليه  
أشتكى له من هيامي وانشعال فكري عليه  
قضيت نهاري أناجي طيفك واغنى لحن الهوى الجميل  
أقول لروحي امتي أشوفك والقرب يحلى من غير عذول  
لما حوانى الليل وراد فى قلبي الميسل  
مريت على بيتك وحدى أغنى من شدة وجدى  
وحيت أناجيك بلحنى والحب ظاهر فى عيني  
يمكن فؤادك يرحمنى

ومحمد عبد المطاب<sup>(١)</sup> يغنى :

يا بو العميون السود ياللى جمالك زين  
ميتى<sup>(٢)</sup> الوداد يعود وتنول منها العين  
ميتى يا نور العين

حبيت وجلت<sup>(٣)</sup> ياريت الحب يصفى  
وياريت ما كنت هويت ولا كان على بالى  
ليه يا جميل صديت شمت عذالى

يا بوى يا بوى يا بوى

جلبى عشج جدك<sup>(٤)</sup> ولا لوش حبيب تانى  
وباريت يلين جلمبك<sup>(٥)</sup> وتجميل<sup>(٦)</sup> أشجاني

(١) هذه الأعمية على لسان رجل من أهل الصعيد — الوجه العبل بمصر — وفى بعض لهجاتهم العامية يظفرون القاف حيا كما ترى .  
(٢) أى متى .  
(٣) أى قلت .  
(٤) أى فلى عشق قدك .  
(٥) أى قلبك .  
(٦) أى تقل .

وتشوف عيني سهاك واتهنى من تانى

يا بوى يا بوى يا بوى

العين ضناها النوح م السهد وأنيىنى

والجلب بات مجروح كان ليه تجافينى

ياللى معاك الروح بالجرب<sup>(١)</sup> هنيىنى

يا بوى يا بوى يا بوى

\* \* \*

وتعال معى لأترجم لك هذه الأغانى :

فى أغنية أم كلثوم :

حبيب ينادى حبيبته ، التى ظلمته بهجرها له ، دون ذنب جنى . يناديها ،  
وبسائلها : أتذكره ؟ كما يذكرها ، أو تنساه ، ويعيب عن قلبها ؟

ثم يذكر لها أن طال بعادها ، ومع ذلك فهو لا يزال يحن إليها ، ولا يزال هواها  
فى قلبه ، يزيد الفراق لوعة ، وشوقاً ، وغراماً .

والفراق قاس مرير . ومع ذلك فهو يصبر . ويدعو الله أن تدنو ساعة الوصال ،  
وفىها الهناءة والسعادة .

ليل الحبين طويل . فيه ذكريات ، وفيه آلام ، وفيه وحشة ، وفيه سهاد .  
هذه حال المحبوب . حال تتطلب من الحبيبة أن ترق ، وترحم ، فهو يتوسل  
إليها ، حتى تصغى إلى خفقات قلبه ، وتأسو جراحه ، حتى يعود إليه صفا العيش .  
وفى أغنية أسمهان :

يطلب الحبيب من النسيم أن يحمل سلامه إلى من مال قلبه إليها ، وأصبح فكره  
بها كلنا معنى .

(١) أى بالقرب .

في النهار ينجح طيفها ، ويعنى لحن حبها وهواها ، ويعنى نفسه الأمانى ، لعله يراها ، يراها وحيدة ، دون رقيب أو عدول . وفي هذا خير متعة للمحبين .  
وفي الليل يزيد وجيب قلبه بحبها . ولعل ذلك يدفعه إلى أن يعرج على دارها ، فيغنى غناء الحب ، ويشدو شدو الهوى .

وفي أغنية محمد عبد المطلب :

يسائل المحبوب الحبيب :

متى يكون الوصل ؟ ومتى تفر العين ببلوغ الأمانى ؟ ولا أمنية للمحبوب إلا أن يلتقى حبيبته ، وأن يصفو بينهما الحب .

ثم لا يدري سببا لصد الحبيب ، فيسأل علام الصدود ؟ ، وفي الصدود شماتة العذال .  
ثم بين أنه يعشق حبيبته ، وأنه يؤثرها بهذا العشق . فهل يلين قلبها له ؟  
وهل ترحمه : فنقل أشجانها وأحزانها . وهل يهنأ بها ؟ ، فترى عينه حسنها وبهاها .  
ثم ذكر سقمه في سبيل حبها : عين ساهرة ، وقلب جريح . فلم الهجر والتجافى !  
إن روحه معها ، فلم لا يهنأ بالقرب منها ؟ ، ذلك ما يشتهى ويتمنى .

\* \* \*

هذه أعان جميلة حقاً : جميلة في تصويرها ، وفي خيالها ، وفي معانيها ، وكثير من هذه المعانى عرض له الشعراء المجيدون ، وبسطوه في قوافيهم ، وبعضها جديد مبتكر ، وخاصة في صورته وأخيلته .

لكن يشوب جمال هذه الأغاني أنها صيغت باللغة العامية ، وقد طغت هذه الصياغة على الأغاني في عصرنا الحاضر ، فمسخت روعتها وجلالها .

واللغة العربية سهلة ، غنية ميسرة ، فلم لا نسير على نهجها ، في كل أثر من آثارنا من حديث ، وخطابة ، وكتابة ، وشعر ؟

كم بود أن يرتفع الغناء إلى مستوى رفيع من حيث الصياغة ، ومن حيث روعة

المعاني . إذن لزيد جمالاً فوق جمال ، وزاد حسناً فوق حسن .

و يظهر أن هذا سببه ما نشكو من نقص في نسبة التعليم بيننا . وحين نصبح جميعاً متعلمين ، بل حين نصبح جميعاً في درجة متقاربة من الثقافة والأدب نرتفع بنفسنا عن أن نسمع غناء بغير اللغة العربية الفصحى ، ويرتفع المغنيات والمغنون عن أن يسمعوننا غناء بغير اللغة العربية . لأن من الواجب أن توجد بين المغنين والسامعين صلة روحية في الفكرة ، واللغة ، والأسلوب .

وعيب تفشى الأمية بين شعوبنا العربية قد يكون من العوامل التي تؤخرنا عن أن يكون لنا في هذا العصر أدب ذائع رائع . وقد يكون هذا هو الفارق بيننا وبين العرب في العصور الأولى .

العربي في عصوره الأولى كان يتذوق اللغة العربية ، ويفهم معانيها ، ويجري بها قلمه ، ويهتز بها لسانه ، ويصوغ القوافي سجية وطبعاً ، دون تكلف ، أو تمحل أو إعياء . أما في عصرنا الحاضر ، فقد بعدنا عن أن نجري في هذا الميدان ، لما غلبنا من هجنة ، وعجمة ، وما خالطنا من سيل جارف أجنبي ، وما وقع علينا من أحداث ، آلت بنا إلى هذا الوضع .

هذا العيب نتوأسى الآن جميعاً على اطراحه ، لأنه لا يليق بكرامتنا ، ولا بما نصبو إليه من مجد وحضارة أن يقوم بيننا ، وخاصة ونحن في عصر غلاب ، والغلبة فيه لمن تسلح بسلاح العلم .

لابد من محاربة الأمية ، بل لابد من أن يتقارب الشعب العربي في درجة من الثقافة ، لا تجعله متفاناً متنازلاً . وحينذاك يقوى الأدب ، ويزدهر . وحينذاك نجد جمهرة من الشعراء ، وجمهرة من السامعين والقارئین ولا أبالغ إذا قلت إننا إذ نصل إلى هذه الحال نكون بلا شك خيراً من العصور الأولى ، في كثير من الأخيلة والألغاز والمعاني .

### شعراء الغزل في العصر الحديث :

غنى العصر الحديث بطائفة من الشعراء ، أضفوا على اللغة العربية ثروة من الأخيصة والمعاني .

واستطاع هؤلاء الشعراء ، وقد طغت على دولة الشعر غوائل الزمن أن يعيدوا لها مكانتها ، وقوتها ، حتى أصبحت الآن قائمة البناء ، ثابتة الدعائم ، وأرجو أن يتم لها في المستقبل القريب ما نصبو إليه جميعاً من رفعة ومحمد .

ومن مشهورى متقدمى هؤلاء الشعراء .

الشيخ أمين الجندى الحمصى ، والشيخ شهاب الدين المصرى ، والشيخ خليل اليازجى ، و خليل الخورى ، وعبد الله باشا فكرى ، وعائشة التيمورية ، ومحمود باشا البارودى ، وحفنى ناصف ، واسماعيل صبرى .

وبعد هؤلاء غنى كل قطر عربى بطائفة من الشعراء .

من شعراء مصر :

أحمد شوقى ، وحافظ ابراهيم ، ومحمد عبد المطلب ، و خليل مطران ، وعلى الجارم ، ومحمد الهراوى ، حسن القاياتى ، وعباس محمود العقاد ، وأحمد رامى ، و ابراهيم عبد القادر المازى ، وعلى الغاياتى ، ومحمود حسن اسماعيل ، وسيد قطب ، ومحمد الأسمر ، وعبد العزيز عتيق ، ويبرم التونسى ، ومحمد عبد الغنى حسن ، ومحمود غنيم ، وركى مبارك ، وعلى محمود طه ، وعلى الجندى ، والعضى الوكيل ، وفايد العمروسى ، محمد الحناوى ، محمود عمار ، طاهر الجيلاوى ، طاهر أبو فاشا .

ومن شعراء العراق :

معروف الرصافى ، جميل صدقى الزهاوى ، عبد المحسن الكاظمى ، محمد رضا الشيبى ، محمد مهدي الجواهري ، حبيب العبيدى ، حيرى الهنداوى ، كاظم الدجيلى .

ومن شعراء سورية ولبنان :

خير الدين الزركلي، وشبلي ملاط، و بشارة الخوري، وإيليا أبو ماضي، عمر أبو ريشة.

ومن شعراء المهجر بأمریکا :

ميخائيل نعيمة ، جبران حليل جبران ، حليم دموس .

ومن شعراء فلسطين :

إسعاف النشاشيبي ، أبو الإقبال اليعقوبي .

ومن شعراء الحجاز :

أحمد عبد الغفور عطار ، علي أحمد با كثير ، طاهر زنجشري .

ومن شعراء البحرين : إبراهيم العريض .

ولاشك أن هناك شعراء آخرين ، قد يكونون مجودين لم تصل إلى أخبارهم ،

ولديست لدى مصادر عن شعرهم ، وليمدوني هؤلاء إذا لم أعرض إلى ذكرهم .

هؤلاء هم الشعراء عامة .

فأين منهم شعراء الغزل ؟ وأين حظ الغزل في شعرهم ؟

ولعل في بيان ذلك — إذا شئنا الإطالة والتفصيل — كثيراً من الصعوبة والمشقة .

وقد تدعونا الصرورة لهذه الإطالة إذا شئنا أن نتحدث عن الشعراء في العصر الحديث ، أو عن شعراء الغزل في العصر الحديث — حديثاً خاصاً ، قائماً بذاته .

واكنا نتحدث الآن عن تطور الغزل، ونتحدث عن الغزل في ثلاثة كتب، هذا أحدها.

وليسكن حديثنا إذن مجملاً ، نعرض فيه العوامل ، والأسباب ، والنتائج ، ونذكر

أمثلة شعرية لهذا ، دون استقراء أو استيعاب .

ثم إن كثيراً من هؤلاء الشعراء ليس لهم دواوين ، تحوى نتاج قرائهم ، وقد تبعد الشقة بيني وبينهم ، فلا أستطيع الاتصال بهم ، لأستمد منهم بعض ما أريد . وهيات أن يكون ذلك ! فأعباء الحياة ثقيلة كثيرة ، لا يتسع فيها وقت الباحث ، ولا تمكنه طاقته

أن ينتقل ويرتجل ، ليتصل بالشعراء ، ويستوحى منهم مايساعد على تحقيق تلك الغاية .  
 على أنى لا أخفى عليك أيها القارىء الكريم — لتكون شاهداً بينى وبين  
 طائفة من هؤلاء الشعراء ! — رغبة منى فى الدقة التى بتطلبها البحث العالمى ، أردت  
 أن أتصل بمجموعة من شعراء الغزل ، اتصالاً غير مباشر ، فأرسلت لهم كتاباً ، أ كشف  
 عن أربى ، وأعرض حاجتى ، فلقيت من بعضهم بمض العون . واعتذرت لى بعضهم ،  
 متعللاً ببعض العلل والأسباب . وكانت النتيجة فاشلة ، ولونجحت لعمتها ، ونشرتها  
 فى دائرة أ أكثر اتساعاً ، وفى آماد بعيدة . ومن يدرى إذا كنت قد بدأت بغير  
 من بدأت بهم لكانت التجربة ناجحة موفقة ؟ ! .

وشىء آخر كان سبباً فى هذا العناء . ولولم يوجد لما كانت هناك حاجة إلى التجارب ،  
 وارتقاب نتائجها من فشل أو نجاح — ذلك أننا فى أعقاب حرب ، لم تمكن ظروفها  
 من طبع الدواوين الشعرية ، ومن تزويد الصحف والمجلات ، بنتائج قرآئح الشعراء .  
 ومن العجيب الغريب حقاً ، ونحن فى عصر نهضة ، ونحن نأخذ أنفسنا بأسباب  
 هذه النهضة فى كل شىء ، ومنها الأدب ، أو فى مقدمتها الأدب ، لأنه باعث الحياة ،  
 وموحيا ، ومحياها — من العجيب الغريب ، وقد كثر النقد الأدبى بيننا ، وأصبحت له  
 أصول ، وقواعد ، وفنون . أن لم يعرض الماقدون شعراء هذا العصر ، فيديسطوا نتائج  
 قرآئحهم ، ويشيروا ما فيها من آيات وروائع ، وينهبوا إلى ما فيها من أ كدار وشوائب .  
 إذن لكان لنا من ذلك خير .

ومن هذا الخير أن يتدارس النشء الشعراء فى العصر الحديث . أو بعبارة أخرى  
 أن يتدارس النشء حياننا فى العصر الحديث ، لأن الشعر مرآة الحياة ، وعنوانها  
 الصحيح ، فى صورتها الباسمة ، أو العابسة .

ما أحوجننا إلى أن ندرس أنفسنا ! ، وأن ندرس ماحولنا ومن حولنا ، وأن ندرس  
 آلامنا وآمالنا .



فصلاح الأمة ، وإصلاحها يتطلب أن نعرف ما هي ؟  
 أين وجه الخير ؟ حتى تقويه وتدعمه ، وأين وجه الشر ؟ حتى نحاربه ونهدمه .  
 وكذلك الأدب لابد أن نعرف ما هو ؟  
 أين فيه ما يبعث القوة والجمال ؟ فنغديه وننميه .  
 وأين فيه ما يبعث الضعف والانحلال ؟ فنطرحه ونجهوه .  
 ولا يكون ذلك إلا بالنقد ، والدرس ، والتحصيل .  
 وعسى أن يكون .  
 ولنعد الآن إلى ما كنا فيه .

ولنتناول من بعض هؤلاء الشعراء بعض الأمثلة في شعر الغزل ، لنبيين منها طابع  
 الشعر في هذا العصر ، والغاية التي يتجه إليها . وقد أعرض بعض هذه الأمثلة في شيء  
 من الشرح والتحليل ، مكثفياً في هذا بالقدر القليل ، وأترك للقارئ اللبيب تحليل  
 ما لم يتناوله القلم .

١- أحمم سوقي :

يقول في أول قصيدة في وصف حفل<sup>(١)</sup> :

طال عليها القِدَمُ	فهي وجودٌ عَدَمُ
قد وثدت <sup>(٢)</sup> في الصبا	وانبعثت في الهرم
بالسُخ فرعون في	كرمتها من كرم
أهرق عنقودها	تقدمةً للصم
حبأها كاهنٌ	ناحيةً في الهرم
اكتشفت فالتحت	غير شذاً <sup>(٣)</sup> أوضرم <sup>(٤)</sup>

(٢) وأد ابنته : دفنها في القبر وهي حية .  
 (٤) الضرم : الاشتعال .

(١) ديوانه ج ٢ ص ١١١  
 (٣) الشذا : قوة ذكاء الرائحة

أو كخيال لها  
نمّ بها دمهّا  
بعدمتاب ألم  
وهى عليه أتمّ

ويقول (١) :

أريد سلوكم والقلبُ يأبى  
وأهجركم فيهجرني رُفادي  
وأذكركم بروية كلِّ حسن  
وأشكو من عذابي في هواكم  
وأعلم أن دابكم جفائي  
ورُبّ معاتبٍ كالعيش يُشكّي  
أتجزيني عن الزلفي نِفاراً ؟  
فكل ملاحه في الناس ذنب  
أخذتُ هواك من عيني وفلبي  
وأنت من المحاسن في مثال  
أحبك حين تشنني الجيد تها  
وفالوا في البديل رضا وروح  
وراجعتُ الرشاد عساي أساو  
إذا ما الكأسُ لم تُذهب همومي  
على أني أعفُّ من احتساها  
ولي نفسُ أرويتها فتركو

وأعتبكم (٢) وملء النفس عُتبي (٣)  
ويُضويني (٤) الظلام أسى وكرّبا  
فيصبون نظري والقلبُ أصبى  
وأجزيك من التعذيب حبّبا  
فما بالي جعلتُ الحبّ دأبا  
وملء النفس منه هوى وعُتبي  
عتبتك بالهوى وكفالك عتبا  
إذا عدّ النّفارُ عليك ذنبا  
فيعني قد دعت والقلب لبي  
فديتك قالباً فيه وقلبا  
وأخشى أن يصير التيه دأبا  
لقد رمتُ البديل فرمتُ صعبا  
فما بالي مع السلوان أصبى  
فقد تبّت يدُ الساق وتبّا  
وأكرمُ من عذارى الدير شربا  
كزهر الورد نَدوّه فهبّا

(٢) يقال أعتبه : أى أزال عنه أى أرضاه

(٤) أصواه الأمر : أصغفه

(١) ديوانه ج ٢ ص ١٤٥

(٣) العتي : الرضا

ويقول<sup>(١)</sup>:

يا ناعماً رقدت جفونه      مُصْنَاك لَاتَهْدَا شَجُونَهُ  
حَمَلُ الْهَوَى لَكَ كَلَّهْ      إِنْ لَمْ تُعْنَهُ مِنْ يَمِينِهِ  
عُدُّ مَنْعَمًا أَوْ لَا تَعَدُّ      أَوْ دَعَتْ سَرْكَ مَنْ يَصُونَهُ  
بِنِي وَبَيْنِكَ فِي الْهَوَى      سَبَبٌ سَيَجْمَعُنَا مَتِينَهُ  
رَشَاءُ يُعَابُ السَّاحِرُو      نَ وَسَحَرَهُمْ إِلَّا جَفُونُهُ  
الرُّوحُ مَلِكٌ يَمِينُهُ      يَفْدِيهِ مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ  
مَا الْبَانُ إِلَّا قَسْدُهُ      لَوْ تَبَيْتَ قَلْبًا غَصُونَهُ  
ويزين كل يتيمة      فَهْ وَتَحْسَبُهَا تَزِينُهُ  
ما العمر إلا ليلة      كَانَ الصَّبَاحَ لَهَا جَبِينُهُ  
نات الغرامُ يديننا      فِيهَا كَمَا بَتْنَا نَدِينُهُ  
بين الرقيب وبيننا      وَادِ تَبَاعَدَهُ حُزُونُهُ  
نعتابه ونقول لا      بَقِيَ الرَّقِيبَ وَلَا عِيُونَهُ

فأنت ترى في شعر شوقي غزلاً ، وترى فيه رقة وعذوبة .  
وكثيراً كان شوقي يبدأ قصائده بالغزل كما رأيت من قبل . ويبدأ قصائده  
بوصف الحُر كما ترى في المجموعة الأولى من هذه الأمثلة الشعرية .  
وفي المجموعة الثانية :

يحدثنا شوقي أنه يريد أن يسألها ، ولكن القلب يأبى هجرها . إن في هجرها  
سهداً ، وعذاباً ، وكرها .

إن الحبيب يذكر حبيبته ، لأن في ذكرها خيراً ونعياً . إن في ذكرها أملاً حلواً ،  
ينير الحياة أمام المحبين . والحبيبة جميلة في عين المحبوب . فإذا رأى شيئاً جميلاً ،

أومنزراً حسناً تذكرها ، بتمثلها في كل ما هو حسن جميل . وكأن كل ما هو حسن مستمد منها ، وكل ما هو جميل مأخوذ عنها . يشكو من تعذيبها له . وما أكثر شكوى المحبين ! تجفوه ، وهذا دأبها ، لا تنفك عنه ، ولا تحيد . أما هو فيجزئها على ذلك مودة وحباً ، ويجعل ذلك دأبه ، لا تنفك عنه ، ولا يحيد . هذه حاله معها . ونلك حالها معه . ويسألها : أجزين عن الزلني نفاًرا؟ والجواب على ذلك صد وهجران ، أو متابعة للصد والهجران . ويصور كيف وصل الحبيب إلى الحبيبة ، ووقع في شرك هواها . رأتها العين ، ورأت حسنها ، وملاحظها ، وجمالها . أما العين فأعجبها ذلك الحسن والجمال ، وأما القلب فقد خفق متأثراً بالحسن والجمال ، فإبى دعاء العين ، وما دعاؤها إلا الحب والهوى . ويأتى دور العواذل ، ولا شأن لهم إلا أن تقوم الكراهية بين المحبين ، يزينون لهم الفرقة ، والفتنة ، والجفوة . إهم راموا له بديلاً يفتى عنها ، فما أغنى عنها بديل . راموا أن يساوها ، فلم يستطع أن يحقق لهم ماراموا ، بل زادت صبوته ، وزاد شوقه وحنينه ، حتى الحز احتساها — وهو العف — لعله يسى الهموم والأحزان . هموم الحب وأحزان الهوى . ولكنه لم ينسها ، لأن حبها تمكن في قلبه ، ولأن هواها امتزج بلحمه ودمه ، وهيات أن تنسى نزوة الحز ما حل في القلب ، وامتزج باللحم والدم ! .

وفي المجموعة الثالثة :

تظهر صورة صادقة للحبيب المعرم المتيم .  
الحبيبة تنام راقدة الجفن ، فريرة العين . والحبيب لا يزور النوم عينيه . فهو مضى معذب لا تهدأ شجونته ، ولا تجف أحزانه .  
هذه حال تتطاب الشفقة والرحمة . الشفقة منها وحدها ، فهي التي تعرف دأبه ومصابه .

وأخذ يذُكر حسن هذه الحبيب .

جفون ساحرة . والسحر معيب إلا من هذه الجفون . وقد كالبان ، تيمت القلب  
غصونه . وفم عذب الثنايا ، وجبين مشرق وضاء .  
ثم يصف ليلة اجتمع فيها المحبان ، في ظلال الغرام بتناجيان ، ويتبادلان  
كؤوس الهوى . وما ألد هذه الكؤوس ! . والرقيب ناء بعيد ، يتلهيان باغتيابه  
وملامه ، وينتشيان بظفرهما عليه ، حيث كان هذا اللقاء بعيداً عن الرقيب وعمونه —  
لا بقي الرقيب ولا عمونه ! .

٢ — عبد المحسن الكاظمي :

يقول متغزلاً ويذكر وطنه<sup>(١)</sup> :

أيها الأرض إن فيك نجومًا      باهر ضوءها نجومَ السماء  
تتنجلي في كل حين فنُجلى      شبهات الأكدار والأقضاء  
بضياء تعشوا له كل عين      إذ تراه أحبُّ به من ضياء  
أيها القلب كم تحن إلى الكر      خ<sup>(٢)</sup> وتهفولساكني الزوراء<sup>(٣)</sup>  
وشجياً أراك في كل حين      لصحاب من الجوى أخلياء  
أخذوا النوم من جفوني وبأوا      في جفون رياً<sup>(٤)</sup> من الأغفاء<sup>(٥)</sup>  
ويقول متغزلاً ويشكو الزمان<sup>(٦)</sup> .

ما العيش إلا ليليلة      في الدهر نام وشأتها  
وأفالك من تهوى وقد      شغل العيون سنأتها<sup>(٧)</sup>  
حيث الصباية في الحشا      نار ذكت جراتها  
يسقيك طيب حديثه      خمرا حلت نطفاتها<sup>(٨)</sup>

(٣) الرواء : بغداد

(٦) ديوانه ص ٣١٦

(٢) الكرخ : محلة في بغداد

(٥) أي الثعاس

(٨) جمع نطفة وهي الماء الصافي

(١) ديوانه ص ٤٤

(٤) ربا : مرتوية

(٧) جمع سنة وهي النوم

ويظل يمرجها هوى أو نطقى حرفاتها  
 فى الأرض جنات وقد جمعت لنا جنّاتها  
 فى روضة طابت مغا رسها وطاب جنّاتها<sup>(١)</sup>  
 ويقول غزلاً فى أول قصيدة :

يهفو إليك ويصبو متمم بك صبب  
 فسواده يتناظى ودمعه منصب  
 لظى الوجى دى حشاه تشب

فى المجموعة الأولى :

يخاطب شاعرنا الكاظمى الأرض ، ويشير إلى أن بها نجومًا تفوق نجوم السماء ؛  
 فى الحسن ، والبهاء والجمال . ويذكر وطنه وأن له فيها خلاناً يهفو إليهم ، ويحن  
 لمودتهم . بل امل فيه هوى نفسه ، التى تأخذ النوم من جفنه ، وتتركه مضئى ، مذبأ .  
 وفى المجموعة الثانية :

يصف صفو الحياة . وصفوها فى أن يلتقى الحبيب حبيته ، بعيداً عن الوشاة  
 والرقباء . ينشأ صبايته وغرامه ، وتسقيه من طيب حديتها خمرًا ، أو أرق من الخمر ،  
 وأكثر نشوة فى النفس من الخمر . وفى الحياة الأولى كالحياة الأخرى جنات . وفى هذه  
 الجنات نعيم ، وخلود . هى حيث تكون ظلال الحب ، وحيث يكون العيش تحت  
 هذه الظلال ، وحيث يكون سلاماً وأمناً .

٣ — حافظ ابراهيم :

يقول فى أول قصيدة مدح :<sup>(٢)</sup>

أوشك الديك أن يصيح ونفسى بين هم وبين ظن وحادس<sup>(٣)</sup>  
 يا غلام المدام ، والكاس ، والطا س وهى لنا مكاناً كأمس

(١) جمع جان وهو من نحن الثمر . (٢) ديوانه ح ١ ص ١٣٠ (٣) الحدس : اليقين والتوهم .

أطلق الشمس من غيآهب هذا الد  
 واذن الصبح أن يلوح لعيني  
 وادع ندمان خاوتي وأتناسي  
 واسقنا يا غلام حتى ترانا  
 خمره قيل إنهم عصروها  
 ن واملأ من ذلك النور كأسى  
 من سناها فذاك وقت التَّحَسِّي (١)  
 وتعجل وأسبل سُتُورَ الدَّمَقْسِ (٢)  
 لا نُطِيقُ الكَلَامَ إِلَّا بِهِمْسَ  
 من خُدُودِ المِلاَحِ في يومِ عُرْسِ

ويقول متغزلا في أول فصيحة مدح (٣):

كَم تَحْتَ أَذْيَالِ الظَّلامِ مَتِيمٌ  
 ما أنت في دنياك أول عاشق  
 أهرمتني يا ليل في شرح الصبا  
 لا أنت تقصر لي ولا أنا مقصر  
 لله موقفنا وقد ناجيتها  
 فالت من الشاكي؟ تسائل سربها  
 فأجبتها وعجن كيف تجاهلت  
 أنا من عرفت ومن جهلت ومن له  
 أسامت نفسي لاهوى وأظها  
 وأتيت يحدو بي الرجاء ومن أتى  
 أشكو لذات الخلال ما صنعت بنا  
 لا السهم يرفق بالجريح ولا الهوى  
 في المجموعة الأولى :

يصف الخمر، وما يتصل بها من لهو وسمر .

(١) المحسى : العرب شيئا فشيئا . (٢) الدمقس : الحرير . (٣) ديوانه ج ٣ ص ١٤٣

وفي المجموعة الثانية :

يحدثنا عن الليل ، وكـم يحوى من متيمين ، أضناهم الهوى ، وأدمى أفئدتهم .  
وليت من يرمى القلب ، فيكلمه ويدميه ، يحنو ويترحم ، إنه فاس جاف ، لا يرق  
ولا يلين ، وهذا شأن العاشقين ، منذ أن خلق الله الكون .

وكـم لهذا الليل من ساعات : فيها أهوال ، وفيها شذائد ، وفيها آلام .  
ثم هذا هو الحبيب يناجى حبيبة قلبه ، وييشها حزنه ومكنون حبه ، وهو فى هذه  
النجومى يذوب صباية ، ويحترق ألماً وأسى ، والحبيبة لا تحس بذلك ، بل تتجاهله  
وتسائل رُهبها فى شىء من التفاضى والاستهتار : من الشاكى ؟ ، من هذا الذى يتظلم ؟  
كأن الأمر لا يعينها : وكأن الأمر لا يتصل بها ! وكأن ليس فى الأمر ما يؤبه له ،  
ويستحق منها النظر والرعاية ! أما أترابها فقد عجب ، كيف تتجاهل هذا الذى تراه ؟ ،  
ولا ترى إلا صفرة الوجه ، ونحول الجسم ، كيف نتجاهل هذا الذى تسمعه ؟ ، ولا تسمع  
إلا الآهة والأنة ، آهة القلب الكسير ، وأنة الفؤاد المسكوم . هو ذلك المتوجع المتألم  
الذى تسألين عنه أيها الظالمة المتجنية !

وإنه بعد ذلك يسلم نفسه للهوى ، وقد تجشمها الهوى آلاماً ، وإنه يشكو ما تصنع  
به العيون : من أسر وقتك وسحر .

ولا يزال الحبيب معنّى بثلاث من النائبات الدواهى : سهم فائل لا يرفق به ،  
وهوى فاتك ، لا يبقى عليه ، وصباية لا ترحم .

٤ — عباس محمود العقاد :

يقول (١) :

لا تسألنى متعبٌ أنتِ فـما      تنعب الأرواح فى عليا السماء  
بجناحين من الحب ومن      حسنك الخافق ينقاد الفضاء

(١) ديوانه : هديه الكروان ص ١٠١



طرت لأتذكرو المدى من تعب . حين صاحبتك في ذاك المساء  
لم أكن ألمس أرضاً إيماناً . أت أسرى حين أمسى في ضياء  
ويقول في وصف أحد شواطئ الاستحمام في الإسكندرية « ستانلي<sup>(١)</sup> » :

هذى المحاسن موسمٌ أحيت مواسم من سآف  
جُمعت لعينك ساعةً وغداً تفرقها الغُرف  
ملأت خليج « ستانلي » وطغت على أعلى الطنْف<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

فتنٌ شهدتُ زحوفها كالجيش أهول ما زحف  
فهتفتُ « فليحي الجما ل » وقد يُعاقب من هتف  
هذى معارض صنعةٍ لله تُهر من وصف

ويقول<sup>(٢)</sup> « تحت عنوان : فيك من كل شيء » :

فيك من شمس الضحى العين التي ترسل الملح مضيئاً في الظلام  
فيك من بدر الدجى أحلامه حين يسرى نائماً بين نيام

\*\*\*

فيك من كل ربيع طلعة تنبت النضرة عاماً بعد عام  
والسقاء الجهم لا يعدوك من عهده العاصف برقٌ وغمام

\*\*\*

ما تغنى الطير إلا بعض ما أنت راويه ، ولا ناح الحمام  
وإذا الجدول ناغى نفسه فهي أصداؤك من غير كلام !

\*\*\*

فيك من نار الحياتين الهوى هل حياة الحى إلا من ضرام ؟

(٢) ديوانه وحى الأرمين ص ١٠٦

(١) الطنف : ما برز من البناء

والذى أرهبه وأسفا هـرك المدعو بالموث الزوام

\* \* \*

ميك من دنياك نقص رائق<sup>٢</sup> ومن الأخرى تباشير التمام  
ومن الأملاك طيب ورضاً ومن الشيطان غي<sup>٣</sup> وأثام

\* \* \*

ومن الحجرة سكرها إذا أسلسلت فى النفس أو طاش الزمام  
ومن القوت غذاء، ومن الـ ماء رى، ومن الجوع هيام

\* \* \*

فيك من أرض حظ<sup>٤</sup> وافر<sup>٥</sup> وحظوظ<sup>٦</sup> من سماء لا ترام  
أجديد؟ إى نعم . فال الصبا أقديم؟ أى نعم . قال الوسام

\* \* \*

هذه الروعة هل تجمعها فى مدى يوم لحوم<sup>٧</sup> وعظام؟  
لا وربى ! بل دهور<sup>٨</sup> غبرت قبلا تتقنها الأيدى الكرام

ويقول :

تريدن قلبى ؟ خذيه خذيه ! . رويدك . لا . بل دعيه دعيه  
دعيه إذا غبت عنى أرى حياك فيه ، وحى فيه  
وسر<sup>٩</sup> أبوح به خلصة وإن كنت من قبل لم تسمعيه  
أخاف على البعدان تلعبى به يا بنينة أو تهمليه  
فكم لعبة وقعت من يدك وقوعاً أرى القلب لا يشتهييه  
إذا ما لعبت به ها هنا فأبى لأمن أن تكسريه  
تريدن قلبى خذيه خذيه ولكن بربك لا ننقليه

فماذا نرى في شعر العقاد؟

في المجموعة الأولى :

نرى محباً ، سما روحه في الحب ، فعاف الأرض وساكنها ، وصعد إلى عُلما  
السما ، وأخذ مطيته في هذا الصعود جناحين : جناحاً من الحب ، وجناحاً من  
حسن الحبيب ، والرحيل شاق عسير ، فما بالك به إذا كان بين أجواز الفضاء؟ ولكن  
هذا الرحيل سهل هين ، لأنه ارتحال أرواح ، والأرواح لا تتعب ، ولا تصادفها مشقة  
أو عناء . والرحيل حلو جميل ، لأن فيه الحبيب ، وحين يكون الحبيب تكون السعادة  
وتسكون الهناءة . وحين يكون الحبيب ، تهون الشدائد ، وتسهل الصعاب ، بل يصبح  
الظلام نوراً ، والجوع شبعاً ، والظلم رياءً .

وفي المجموعة الثانية :

يصف جمال هؤلاء الغيد الحسان على شاطئ البحر .

وفي المجموعة الثالثة :

يصور الحبيبة كما يراها الحبيب .

يرى فيها من كل شيء .

يرى فيها نور الشمس ، وأحلام البدر ، ونضرة الربيع ، وعهد الشتاء من ريق  
وتغمام ، وغناء الطير ، ونوح الحمام ، ونقص الحياة الأولى ، وتم الحياة الأخرى ،  
وملاك الرحمة ، ونغى الشيطان ، وسكرة الخمر ، وغذار القوت ، وري الماء .

وفي المجموعة الرابعة :

يهب لها قلبه ، ويصرح لها بهذه الهبة . ولكنه يفكر ملياً ، ويرى أنه مخطيء  
فيما فعل ، مسيء إلى نفسه ، وإلى حبيبة قلبه . مسيء إلى نفسه ، لأنه يرى في قلبه  
محيماها ، ويرى حبه وبها ، فإذا أعطاها قلبه حُرْم هذا الحيا ، وحرَم تلك الصور الجميلة  
من ذكرى حباها ، وفي هذا عذاب وبلاء . ومسيء إلى حبيبة قلبه . لأنه يخاف على

البعد أن تهمله ، أو تلعب به فيصيبه شرح أو اسكسار . وفي هذا وزر ، وجرم كبير  
إذن فليبق قلبه بين جوارحه حتى يكون عليه حارساً وحفيظاً .

٥ - معروف الرصافي :

يقول : يصف مجلس لهو<sup>(١)</sup> :

ولى عند إخوان الصفا أريحية      إلى كل خل في الزمان موافق  
إذا ما عقدنا مجلس الأُس بالطلا<sup>(٢)</sup>      فبينى وبين السكر خمس دقائق

\*\*\*

أسابق ندماني إلى السكر طائراً      بجنح من الأُس المضاعف خافق  
فما هي إلا بعد شربي سويعة      وقد دب من رأسى الطلافى المفارق  
فنادمت أصحابي على غير حشمة      وقلت لهم ما قات غير منافق  
ويقول :<sup>(٣)</sup> تحت عنوان - إلى جميع العوانى : -

وقفت عليكن وقلبي الذى      يمر به الحب من السحاب  
ومنكن أحببت هاتى وذى      وألفيت عذباً بكن العذاب

\*\*\*

فنكن بيضاء ما مثلها      (عدا حرة الخلد) إلا القمر  
فتلك التى طاب لى وصلها      كما ليلى البدر طاب السمر

\*\*\*

ومنكن حمراء جذابة      حكي وجهها الشمس عند الطلوع  
أرى عينها (وهى خالابة)      فأمسك بالكف منى الضلوع

\*\*\*

ومنكن من هى مثل الرياح      لها فى ذرا كل قلب هبوب  
تريد غلاب جميع الملاح      وتبغى عذاب جميع القلوب

(١) دراسة أدبية لدبوانه ص ١٦٨ ، (٢) الطلاء : الحجر ، (٣) دراسة أدبية لارصافي ص ١٧١

وممكن من هي مثل النجوم من البعد ناظرة تبسم  
فتلك عليها فزادى يحوم وتلك إليها الردى اقتحم

\*\*\*

ففيكن طراً بوادى الهوى أهيـم وإن لم تعد عانده  
ألا إن حباً بقباي انطوى كثير فلم تكفه واحده  
ويقول<sup>(١)</sup> — في الغزل بالمذكر :

أسبغ الله نعيم الـ حسن في وجه نعيم  
قر أغنى في الإشراق عن ليل بهيم  
علم الناس صحيح الـ حب بالطرف السقيم  
يرجع السحر بعينه إلى عهد الكلم

ويقول<sup>(٢)</sup> تحت عنوان اسمي لى كلاما :

اسمى لى قبل الرحيل كلاما ودعيني أموت فيك غراما  
هاك صبرى خذيه تذكرة لى وامنحى جسمى الضنى والسقاما  
لست ممن يرجو الحياة إذا فا رق أحبابه ويخشى الحماما  
لك ياظبية الصريمة طرف شد ما أوسع القلوب غراما

\*\*\*

كلما زاد عاذلى فيك عدلا زدت فى حسنك البديع هياما  
أفأحظى بزورة منك تشفى صدع قلبى ولو تكون مناما  
ورب ليل بالوصل كان ضياء ونهار بالهجر كان ظلاما  
قد شربت السهاد فيه مدا ما وتخذت النجوم فيه نداى

(١) دراسة أدبية لشاعر العراق — معروف الرصافى ص ١٧٢

(٢) ديوان الرصافى طبع بيروت ص ١٩١

ما قلبي إذا ذكرك يهفو ولعيني تدرى الدموع سجاما  
إن شكوت الهوى تلعثت حتى خلطني في تكلمي تماما

وماذا قال الرصافي؟

في المجموعة الأولى:

يصف مجلس اللهو ، وما فيه من خمر ، يتسابق إلى شراها الندماء ، وما فيه  
من حديث ، يرسلونه ، وهم في نشوة من الخمر ، دون تخرج أو احتشام .

وفي المجموعة الثانية:

يتحدث عن حبه . فقد وقف على النساء جميعا قلبه ، وقد وزعه بينهن ، دون  
أن تكون له حال من الثبات والاستقرار . هو الحب الذي لا يمثل العاطفة المشبوبة ،  
بل هو ينتقل ، من امرأة إلى امرأة ، فإذا صادفه جمال وصفه ، دون أن يترك الوصف  
في قلبه كلوماً أو جروحاً ، كما ترك جمال الحبيبة في قلب المدنف المقيم . وقسم أحوال  
النساء ، وذكر بعض ألوان جاهلن ، وأنه يهيم بهن جميعا ، ولا تكفيه في الحب واحدة .

وفي المجموعة الثالثة:

يتغزل بالمذكر ، ويصف حسن وجهه وإشراقه ، ويصف طرفه ، وسحر عينيه .

وفي المجموعة الرابعة:

يودع حبيبته ، ويتوسل إليها أن تستمع إلى نجواه قبل أن ترتحل . إن ارتحالها  
عنه يجلب له الضنى ، ولا يرجو الحياة بمد هذا الفراق . ثم يذكر أن عدل العواذل  
يزيده كلفاً بها وهياما . إنها تهجره وتجفوه ، مهلاً زارته ، ولو في المنام ، حتى يشفى  
صدع قلبه ؟ . وقد تغيرت معايير الحياة ، فأصبح النهار بهجرها ليلا ، وأصبح الليل  
بوصلها نهارا ، وأصبح حين يشكو الهوى تمنا ، لا يكاد يبين ، وهو الفصيح  
ذو اللسن والبيان .

٦ — اسماعيل صبرى :

يقول فى مطلع قصيدة يهنيء الخديو اسماعيل بقدمه من الأستانة<sup>(١)</sup> :  
أطلع الكاس كوكبا فى ازدهاء وأدرها فى هالة الندماء<sup>(٢)</sup>  
استنيتها حتى ترانى لا أنفهم نصحا يملهُ إصغائى  
عاطفيا صرفا ولا تُطفىء النور الذى زان حسنها بالماء  
وأدرها خدا وحيّ الندامى بعدار<sup>(٣)</sup> الريحان وأغم ثنائى  
مجلس فيه ماجلا صدأ السمـع وقرت به عيون الرأى  
من مغنٍ يغزوا الموم بأوتى ر فيحوى أعنة الأهواء  
وغزال أحلى من الأمن يسعى بكؤوس الغرام والصهباء  
مذ رأت خده المدام علاها عرق من حبابها<sup>(٤)</sup> للحياء  
ويقول فى مطلع قصيدة يهنيء الخديو عباس الثانى بعيد الأضحى<sup>(٥)</sup> :

شوق يهيجه نواك وجوى يؤججه هواك  
كم ذا أراك تميل عن مضناك يا غصن الأراك  
وتسومنى صبـرا وصبرى عنك أقتل من جفاك  
صيرت بُعدك من محبـك بُعدَ وعدك من وفاك  
يا فتنة العشاق حسـبُ الناس ما جرّت يداك  
وكفناك ما صنعت بأر باب الصبابة مقلتناك  
أنت النعيم فـا لقلـبى ليس يسلم من أذاك  
إنى وإن بالغت فى هجرى وآلمنى قـلاك

(١) ديوانه ص ١٣ (٢) هالة الندماء حلقتهم ومجتمعهم (٣) العذار : مادار على الحد  
من الشعر (٤) الجباب : ما يعلو المراب من الفقايع . أى أن استجيت الحجر من حسن الساقى  
فكانت الفقايع قناعاً يستر به الحجل (٥) ديوانه ص ٣٦

أصبوا إليـك إذا النسيـم سرى يمثـل لى شذاك  
أودارت الكاسات بالصهباء تخبر عن لماك<sup>(١)</sup>  
وأعد قربك مُشْتهاى وغايـتى القصى رضاك

٧ — على الجارم

يقول فى سنة ١٩١٦<sup>(٢)</sup> : « تحت عنوان الحب »

عَاجَ الخيالُ فلم يَبُلْ أُواماً<sup>(٣)</sup> ومضى وخلفَ فى الضلوعِ ضراما  
مالى وللكحلامِ هجتُ عيونها فَمَلَأَن قَلْبى أنصلاً<sup>(٤)</sup> وسهاماً  
يا قلبُ ويحك! ما سمعتَ لناصح لما ارتميتَ ، ولا اتقيتَ ملاماً  
لعبتُ بك الحسنة تدنو ساعة فتُشيرُ ما بكَ ثم تهجرُ عاماً  
والحب ما لم تكثفه شمائلُ غرٌّ يعرودُ معرفةً وأناماً  
والحبُّ أحلامُ الشبابِ هنيئَةً ما أطيبَ الأيامِ والأحلاما !  
والحب نازعةُ<sup>(٥)</sup> الكريم تهزُّه فيصولُ سيفاً أو يسيلُ غماما  
والحب مَلهاةُ الحياةِ وطُهاها ولقد تكونُ به الحياةُ سقاما  
والحب نيرانُ الجوسِ لهيها يُجحي النفوسَ ويقتلُ الأجساما  
والحب شعرُ النفسِ إن هتفتَ به سَكَتَ الوجودُ وأطرقَ استعظاما  
والحب من مرَّ السماءَ فسمهٌ وَحياً إذا ما شئتَ أو إلهاماً  
لولاهُ ما أضحى وليدُ زبيبةٍ<sup>(٦)</sup> يومَ التفاخرِ سيِّداً مقداماً  
ولما رعى فى الجحفلين بصدرة لا يَتَّقى رُحماً ولا صمصاماً  
الحب ألبسه الروءة يافعاً وأعدّه للمكرُماتِ غلاماً

(١) اللبى : سمرة فى الشفتين (٢) ديوانه ص ٦٨ (٣) الأوام : حر العطش  
(٤) الأنصل : جمع نصل وهو حديدة الرمح والسهم والسيف ونحوها (٥) النازعة : الميل  
(٦) زبيبة : أم عنترة بن شداد العيسى ، وهو المقصود بوليدها .



يا شَدَّ ما فعل الغرامُ بمهجة  
كانت صَوُّوْلاً<sup>(١)</sup> لا تُنيل خطامها<sup>(٢)</sup>  
ذابت أسيَّ وصبايةً وهياما  
فقدت أذلَّ السائماتِ<sup>(٣)</sup> خطاماً  
ورعت عهداً للهوى وذماما  
داء يذكُ الراسيات عُقاما<sup>(٤)</sup>  
نال الضنى منها النى قد ناله  
فعلامَ روعها الصُدودُ علّاماً؟

\*\*\*

يا زهرةً نمَّ النَّسيمُ بعرفِها  
يا جنةً لو كان ينفع عندها  
وجرى بها ماء النِّعيمِ جماما<sup>(٥)</sup>  
نُسكٌ لبثنا سُجداً وقياماً  
يا طلعة الروض النضير تحية  
وُجاجةً<sup>(٦)</sup> المسك الذكى سلاماً

\*\*\*

في هذه القصيدة يتحدث شاعرنا عن الطيف ، وأنه حين يعوج لا يظني غلة ، بل يترك خلفه أواراً من النار ، يتلظى به القلب الجريح . ثم أخذ يذكر بعض صفات الحبيبة ، وبعض أحواله معها : فهي كحلاء العيون ، وعيونها ذات سهام فواتك . وهي حسناء لعوب ، تعرف كيف تستثير لواعج الغرام في قلبك ، ثم تهجرك وتجفوك ، عاماً طويلاً ، كم فيه من أشهر وليال ! ، وم كم تطوف به نجوم يرعاها بين السهاد والأرق !  
وأخذ الشاعر بعد ذلك يحدثنا عن الحب العذري ، وعن حلاوة الحب .  
يجب أن يكون الحب طاهراً بريئاً ، وإلا كانت عاقبته فحشاً وتكرراً . وهو كذلك حلو جميل ، على قدر ما في الحياة من حلاوة ، وعلى قدر ما يحمله العيش من جمال ونعيم . هو حلم الشباب ، وما أحلى هذه الأحلام ! هو لهو الحياة البريء ، وهو طهها

(١) الصُّوْل : الوثاب النافر من الإبل (٢) الخطام : الرمام - القود -  
(٣) السائمات : جمع سائمة، من سامت الماشية إذا رعت (٤) العقام : يقال داء عقام : أي لا يبرأ منه  
(٥) الجمام : جمع جيم وهو الكثير (٦) الوجاجة : في الأصل الريق ، والمراد هنا الفئات والحلاصة

من كثير من الآفات والأدواء . هو كالنار عند المجوس ، تميتهم وتحرقهم ، ولكنها تطهر نفوسهم وتحييها ، وكذلك الحب يضي أصحابه ، ويهد أجسامهم وقواهم ، ولكنه يحيي فالوهم ، ويبعث فيها نشوة الأمل ، وفرحة الحياة . والحب أغنية النفس ، إذا هتفت به سكت الوجود جميعاً ، من جماد ونبات وحيوان ، وأصغوا إلى جمال هذا الغناء ، وأحنوا رؤوسهم إجلالاً وإكباراً .

وأخذ الشاعر بعد ذلك يحدثنا عن أثر الحب .

فمعترة بن شداد أحب ابنة عمه « عبلة » . ودفعه هذا الحب إلى أن يكون فارساً مقداماً ، وجواداً كريماً ، وصاحب مروءة ومكرمات . ولولا ذلك لكان عبداً هجيناً ، لا تعرف له هذا الشأو البعيد . والحب يهذب النفوس ، ويسلس قيادها ، وهو يروضها إلى الرقة والدقة ، بعد أن كانت جاحجة نافرة . وفي الحب وفاء ، يجعل المحبين يرعون جهود الهوى ، ويحفظون حقوقه وحرماته . وفي الحب صبر ، به يهتمون سره ، وعذابه . وأخذ الشاعر يخاطبها بما فيها ، ويحميها تحمية خالصة من قلبه . أخذ يذكرها ، ويدعوها بالزهرة ، وبالجنة ، وبالروض النضير . وخالصة المسك . أما الزهرة فلها عرف ، ذكى الرائحة والطيب . وكذلك هي . وأما الجنة ، فهي تتطلب نساء كعابدين ، حتى يكون نسكهم وعبادتهم قرباناً في دخولها . وهي جنة ، ولكن لا يجدي عندها سجود وقيام ، ولو أجدى لبات حياته كلها ساجداً ومقيماً

## ٨ - محمد رضا السبيبي

يقول<sup>(١)</sup> تحت عنوان سائحة في الحب :

ملا منى لو أحس الناس أو شعروا      ألتسم الحسَّ سمعى منه والبصر  
كان الهوى بيننا عهداً وبينكم      لما تعارفت الأشباح والصور

(١) ديوانه ص ١٤٣



٥ — سُبُلِي المهرط :

يقول في مطلع قصيدة بحفلة سيدات الهلال الأحمر في بيروت (١) :

ما حيلتي وسواهي أَعْيُنُ العَيْنِ      خططن سِفْرَ عذابِي قَبيل نكويِنِي  
فواتِكُ وهي في الأَجْبانِ مُعَمَّدةٌ      صوائِلُ وهي في غير الميادينِ  
هن الدواء ، وهن الداء من قدم      كلاهما رهنُ تحريكِ وتسكينِ  
ويقول في مجلس أنس (٢) :

وافِ الكرومِ وهاتها      معصورة تروى الكبدِ  
ماء الكرومِ بزَخَلَةٍ      كالروح تُشكِبُ في الجسدِ  
تولى الكهولةَ قِوَّةً      وتهيج منها ما تخدِ  
وإذا مشت وتحكمت      بالشـمِخِ رَدَّتِه ولدِ  
ساقيتها في فَنِيَّةِ      كالزهرِ في هذا البلدِ  
يروى نسيم النهر عن      أخلاقهم راحا وشهدِ  
نزلا من الجبل الذي      نشثوا به غاب الأسدِ  
لبنان واشوقى إلى      لبنان والعيش الرغَدِ  
أيام كنت أحَا الهوى      عدَلِ الحبيبِ أو استبدِ  
واللحظ يعشق عادلا      كاللحظ يُعشِقُ مستبدِ  
ويقول (٣) :

يا أهل الوادي لى قره      بساء الوادي مطلعُه  
وبجفنى الساهر مسكنه      وبقلبي الذائب موضِعُه  
بنقاب الليل تحجُبُه      وبدرع الفجر تمنعُه

(٣) ديوانه من ٤٠٧

(٢) ديوانه من ٣٠٥

(١) ديوانه من ٢٧٢

فالقلب بلا حبٍ قدحٌ لم تُرَوِ الشارب أدمعه  
يا ظبياً يرتع في الوادى و بروحى الظبي ومرتمه  
ما أطف روحاً يحملها مولاي تبارك مبدعه

٩ — خليل مطران :

يتغزل في أدبية جميلة<sup>(١)</sup> :

يا عيونا تسقى العيون الرحيقا<sup>(٢)</sup> واصلى مُدمناً أبى أن يفيقا  
أسكريني على الدوام وأفنى مهجتي دمعاً وعزى رحيقا  
تلك خمر الحياة من لم يذوقها مرة ليس بالحياة خليقا  
وهي حُسن الحياة سعداً وبؤساً واصطباحتاً لشربها<sup>(٣)</sup> وغبوقاً<sup>(٤)</sup>  
أنت يا من سقت فؤادى منها حر وجد ولوعة وخفوقا  
اظلميني ما شاء ظلمك وانهى أمر الحسن أن يكون شفيقا  
عذيني فقد جنيتُ على نفسى وأمسيتُ بالعقاب حقيقا  
فلهذا العقاب عاودتُ حُبِّي ولألقاه خنت عهداً وثيقا

\* \* \*

أيها النائمون يهنيكم النوم ولا زال حظى التأريقا  
إن يكُ الساهرون مثلي كثيراً فسعادٌ أسمى وأسنى عشيقا  
فاتني من جمالها الوجه طلقاً لا يباهى والقَدِّ لَدُنَّا رشيقا

(٢) الرحيق : الخمر

(٤) الاصطباح : شرب الصباح . الاغتباق : شرب المساء

(١) ديوان الخليل ص ٢٧

(٣) أى شاربيها

فأتى عقلمها الذي يبديع الخاطر      روحاً وهيكلها وعروقها  
 فأتى نظمها القريض كما تنظم      عقداً في جيدها منسوقها  
 فأتى لطفها الذي يتعش الوجد      ولو شاء أنش التوميقا  
 ويقيم الآمال في النفس كالنور      يحمىل البزور زهراً أنيقا  
 فتَن قَيَّدتَ بهن مؤادي      وأراني إذا شكوتُ عقوقها  
 كلُّ مستأسرٍ يودُّ انطلاقاً      وشقائى بأن أكون طليقها

ويقول (١) يصف قضيته في الحب بين القلب والعين ، ويسلك في هذه القضية سلوكه المحاكم : عرض ، ودفاع ، حكم في البدء وحكم في الاستئناف ، ثم نقض وإبرام : عرض القضية .

بين قلبي ومقاتي      حلة توهن القوى  
 ونزاع يفصله      حكما فاصي الهوى

الدفاع عن العين .

إنما العين أبصرت      نصبا القاب واكتوى  
 عرضاً أبصرت ولا      ذنب إلا لمن نوى

الدفاع عن القلب .

وهو لولا طموحها      لم بيت شاكي الجوى  
 مستمراً خفوقه      كلما نسمّ الهوا  
 شبه ظمآن ما له      من ندى الدمع مرنوى

الحكم الابتدائي .

فال فاضى الغرام من      سُدَّة (٢) فوقها استوى  
 إن تلك العين أذنبت      حسبها الشهد والنوى

(١) ديوان الحليل ص ٢٨ (٢) أى مبير

- ٢٦٧ -

كيف تُجزى وماغوت      وسواها الذي غوى  
فعلى القلب غُرمه      بهى لم تيجن بل هوا  
حكم الاستئناف .

هى مالت فسببت      وهو جارى فما ارعوى  
فليعاب كلاهما      فهما فى الهوى سوا

النفص والإبرام .

القلوب والمقل      هنّ للهوى رُسل  
لسنّ للهوى عللاً      فى الهوى لما علل  
رهبها وأمرها      يقتضى فتمثل  
حاكمٌ مشيئته      لا تردها الخيل

\*\*\*

عينك التى نظرت      منه جاءها المكيلُ  
والفؤاد طاوعها      وهو مكره وجيل  
فالسىء غيّرهما      ما إليه متصل  
إنما الجزاء لمن      عنه يصدر الزلل  
علة لما فعلا      لو تعاقب العلل

ويحسن أن نقف من هذه القضية التى أتاها شاعرنا موقف البحث والدرس .  
قضية بين خصمين : بين العين والقلب . وهما خصمان قويان عنيقان ، قامت بينهما  
هذه الحملة ، وكانت حملة فاسية ، طال فيها السكر والفرّ ، وجال فيها الطرفان وصلا ،  
ولم يدخرا فى ذلك جهداً وقوة .

فلم يكن بد ، بعد أن دام النزاع بينهما طويلا ، وبعد أن لم يصل فيه إلى فصل

الخطاب — أن يرفعا أمرها إلى قاض حازم حكيم ، عليم بأدواء النفوس ، خبير بطب القلوب . هو قاضى الهوى .

نحن الآن إذن أمام منبر القضاء العادل ، وهذه جمهرة من الناس ، يتزاحمون بالأيدى والمناكب ، يشهدون هذه القضية الصاخبة ، الثائرة ، لعل لهم فيها ما يطفىء الغلة ، ويشفي الغليل .  
فما هي القضية ؟

من الجانى على ذى الهوى ؟ العين التى أبصرت الحبيبة ، فعاد شعاعها يحمل إليه الإعجاب بحسنها وفتنتها وزينتها . وسرى هذا الشعاع إلى القلب ، فاهتز وخفق ، وانقلب الإعجاب إلى حب وغرام ، وكان من ذلك ألم ، وحرقة ، وعذاب .

من كان سبباً فى هذا العناء الذى عاش الحبيب تحت ظلاله ؟

نقول العين :

القلب هو سبب هذا البلاء ، لأنه هو الذى صبا ، وهو الذى خفق . ولولا ذلك لكانت النظرة عابرة عارضة . ولم تنظر العين مثل هذه النظرات ، فلا يترتب عليها مثل هذا الأثر .

لا ذنب للعين إذن ، ولا إثم عليها .

ويقول القلب :

كيف لاتكون العين سبباً فى عناء الحبيب ، وشعاعها هو الذى حمل إلى القلب حسن الحبيبة وجمالها . ولو لم يصل إلى القلب أثر هذا الحسن ما خفق خفقة الهوى . إذن لا شك أن العين هى السبب فى هذا كله .

وماذا حكم القاضى ؟

حكم قاضى المحكمة الابتدائية :

بأن القرم على القلب ، وماغوت العين ، وحسبها عذاباً ماتلقاه من السهد والنوى .



رأى القلب قسوة وعنفاً في ذلك الحكم الابتدائي فاستأنفه .

وحكم فاصى محكمة الاستئناف :

إن الغرم على العين والقلب ، كلاهما جنى ، وكلاهما اعتدى ، وكلاهما كان سبباً .

أما العين فقد رأت ، ومالت إلى ما رأت ، وأما القلب فقد أحس واهتز ، ولم يروع ويزدجر ، فليأخذ كلاهما عقابه ، ولينزل جزاءه .

وحكم قاضى محكمة النقض والإبرام :

برأ القاضى العين والقلب ، فلم يجعل لها إثماً ولا ذنباً ، فالعيون والقلوب في نظره ليست علة للهوى وسبباً ، إنما هى رسل تؤدي رسالتها ، وتخدم صاحبها بأمانة وإخلاص ، دون أن تكون لها مرحلة بعد ذلك ، تتجاوز فيها عملها ومهمتها . فعمل العين الرؤية والبصر ، وعمل القلب التأثر بما يرى . وقد ترى العين من هو حسن جميل ، ويتأثر القلب بذلك الحسن والجمال ، ولا يتولد عن هذا أو ذاك حب وهوى . أو يتولد حب ماجن ، أو حب عابر ، وهذا ومثله لا يكون ذا قيمة وأثر . هناك علل أخرى تعدو الحسن ، وتعدو إعجاب القلب به .

هناك في نظر الشاعر رب وأمر يحكم ويقضى ، فتمثل لحكمه وقضائه . حاكم يدين له العالم جميعاً بالخضوع والطاعة ، فتبصر العيون ، وتمفو القلوب ، إذعاناً لأمره ، وطوعاً لحكمه .

وهناك في نظرى توافق القلوب ، وامتزاج الأرواح ، وهذا التوافق الذى يخلق منهما فكرة واحدة يؤمنان بها ، وينعان بهذا الإيمان . وهذا الامتزاج الذى يسمو بهما إلى أن يكونا في عالم الروح ، لافى عالم المادة ، حيث تتغير في عيشهما مظاهر الحياة ، فتصبح صفاء ، وطهرًا ، وخلودًا . وهذا هو الحب الصحيح .

١٠ - جبراه خليل جبراه :  
يقول (١) :

والحب في الناس أشكال وأكثرها  
وأكثر الحب مثل الراح أيسره  
والحب إن فادت الأجسام موكبه  
كانه ملك في الأسر معتقل

كالمشب في الحقل لا زهر ولا ثمر  
يرسب وأكثره المدمن الخطر  
إلى فراش من الأغراض ينتجر  
أبى الحياة ، وأعوان له غدروا

١١ - زكي مبارك :

يقول تحت عنوان « حلم اللقاء » :  
غداً سوف أتى من حياتي نعيمها  
وأقتل أحزاني وأحيي بشاشتي  
ألا إن بجوى الحب بيني وبينه  
رياض من اللذات يهفو نسيما

وأمرح في رهس الهوى وأجول  
ويسمع مني فأننى فأقول  
وقد غاب عنا كاتخ وعذول  
ويحبا به المشتاق وهو قتييل

\* \* \*

أمي فؤادي بالأحاديث في غد  
غد ، أين مني في الغرام صباحه ؟  
سأقطع ليلى بالأمانى أديرها  
سأبدع في تصوير أحلامنا غداً

إذا ضمنا عند السرار مقيل  
فإن انتظاري شمس سيطول  
أقول لها ما أشتهى ونقول  
ونحن بفردوس الوصال حلول

\* \* \*

تقول الأمانى إن ميعادنا غد  
إلى الله أشكو وقدّة الحزن في غد

وبعض الأمانى الواعدات مطول  
إذا ضاع ميعاد وخاف خليل

١٢ - محمود حسن اسماعيل

يقول في وصف حمامات البحر - خليج ستانلي - : (١)

من علمَ البحر لجاج الموى      وأترع الحب بشطآنه ؟  
وقال للموجة : خمر الصبا      صافٍ ، نُعي الكأس من حارنه ؟  
وأنشدي في الشط أغنيّة      أودعها النأي بألحانه !

\*\*\*

يا بدعة الشط سلبت الهدى      من كل معصوم بإيمانه  
لولا جلال الفن في بهرة      للحسن أصلتى بنيرانه  
التهبت في شعري سمير اللطى      ورحتُ أصليك بأوزانه  
أو ألهم البحر مساس الحجا      لأغرق البرّ بطوفانه  
ولم يدع في عمره ساجماً      يصاح الموحّ بشطآنه  
ويقول : (٢)

يا زهرتي ! طلع الصباح وفي فمي      نعمّ ينوح . فهل سمعت نواحه ؟  
ما زال يصرخ في الفضاء فلم يجد      شفةً تناعم (٣) لحنه وصدّاحه  
أسيان (٤) مختبل النشيد أذابه      من خافق دفن الزمان سراحه  
قلب كصفور الأراكة زيد عن      عشّ الصبا والسجن شلّ جناحه  
جرّ حثّه بالهجر . . . ثم تركته      ماذا عليك إذا أسوت جراحه !  
كم رتل اسمك - خاشعاً - فكأنه      (موسى) يرثم في الدجى ألواحه  
الهجر عذّبه وأذبل رُوحة      والمكر غيب في الأسي أفراحه

(٢) ديوانه هكنا أغنى ص ١٤٤

(٤) أي حزين

(١) ديوانه هكنا أغنى ص ١٣٧

(٣) ناغمة : ككلمة كلاماً رقيقاً صعباً

وبكى ونوح في الظلام فما أسا  
 حجبوك.. هل حجبوا سنك مفجرا  
 حجبوك.. هل حجبوا عبيرك عن دمي  
 حجبوك.. هل حجبوا نشيدك عن فمي  
 حجبوك.. هل حجبوا نفاثة عاشق  
 متولع مهواك ما أغرى به  
 وافي بروجك في الصباح فلج في  
 لم يلق إلا ظلمة مشبوبة  
 يا ليلك أترع لواعج قلبه ا  
 لم يبق منه الحب إلا آهة  
 وقصيدة هزت ملاحظها الدجى  
 ظنوا غرامى فيك لهية ساخر  
 فتنوك عن نظرى وخلوا مهجة  
 كالطائر المبوذ في قُبب الفلا  
 وأنا الذى سأظل باسمك هاتفاً  
 قلب الحبيب بكاءه ونياحه ا  
 كالنبع يسكب في الحشا تلماحه؟ (١)  
 ريان يذكى في الفؤاد نفاحه؟ (٢)  
 لهقان حلد في الهوى تصداحه ؟  
 أضرى الغرام جلادَه وكفاحه ؟  
 بين ولا فلّ الفراق سلاحه  
 ظلم النوى ، وبكى الحزين صباحه  
 وسناً تخطقت الدجى لمامه  
 حدثت عن الخفقات بامصباحه ا  
 مجنونة الحركات تقلق ساحه  
 ومحت رؤاه ، وفزعت أشباحه ا  
 يلقى على الزمن الضحوك مزاحه  
 حيرى يجرعها الهوى أتراحه  
 يذرى الهجيرُ بساحها أرواحه  
 حتى يمد الموتُ تحوى رآحه

وماذا قال الشاعر في قصيدة : يا زهرتى :

قدم الشاعر نفسه هذه القصيدة في ديوانه — هكذا أغنى — بهذه العبارة :  
 « عصفت بقلب الشاعر عاصفة من الوجد الصارخ عقب فراق مفاجيء ، نكب  
 به منذ عامين ، فاستحالت حياته إلى جحيم من العذاب النفسى ، والقلق الممض ..  
 وقد نزع به الحنين — يوماً — إلى قصر عذرائه الملهمة ، حيث مهد غرامه ، وشط  
 الهامه ، فسبق الشمس إلى أستاره في الصباح بنظرات مشدوهة .. وروح شارد ،  
 (١) يقال لمح البرق لمحا ولحماناً وتلماحاً : لمح  
 (٢) نفاخ الطيب : انتشار رائحته

فوقف لحظة ثم عاد بهذه الدموع المشتعلة — التي سكب نارها في هذه المناجاة !! «  
هذه التقدمة تكشف لنا ماذا يعنى الشاعر في هذه القصيدة .

يخاطب الشاعر حبيبته ويناجيها . ينشأ ألمه وعذابه ، في هذا الفراق الطويل .  
ولم يستطع أن يمتثل مسرارة ، فهرع إلى دارها ، لعله يخفف هذه الآلام .

طلع الصباح ، وفي فمه نغم ينوح ، ولكن من يسمع نواحه ؟ ينوح ويصرخ  
في الفضاء ، وهو حزين ، مبتئس ، كسير القلب ، مهيب الجناح ، ولكن من يرق  
ويرحم ؟ أين من يردد صدى هذا النواح ، وذلك النغم ؟

قد جرحته بالهجر ، والهجر عذبه . وبكى ، فما أسأ قلب الحبيب .

حججوها ، ولكن لن يستطيعوا ذلك . فسنا نورها يسطع في الحشا والقلب .

حججوها . ولكن لن يستطيعوا ذلك . فغيرها يروى دمه ، ويذكرى فؤاده .

حججوها . ولكن لن يستطيعوا ذلك . فإنه يهتف باسمها ، وينشد ألحان

حبيها وهواها .

حججوها . ولكن لن يستطيعوا ذلك . فقلبه يخفق بحبها ، ولن يحولوا بين القلب

وخفقاته ، ولا يزيد الفراق إلا لوعة وحنينا .

وأفاها صباحا ، وعاد خائبا محسورا ، لم يظفر بوصول أولقاء . ولم يظفر بما يشفي غليله ، ولم

يبقى منه الحب إلا الآتة والآهة ، ولم يبق منه إلا الفرع والقلق ، ولم يبق منه إلا نصيدة ،

هى نغمة قلبه المكسوم ، إذا ردد ألحانها انقلب نور هذا العالم ظلاما حالك السواد ،

وانقلب نعيمه ، بؤسا وشقاء . ويأتى دور العواذل ، وهم بلاء المحبين . يقولون

إن حبه إياها هو ومجون ، فليحججوها عنه . وهم كاذبون واهمون . فحبه صادق

دفين برى ، كم جرعه من آتراح وأحزان . سيظل يهتف باسمها ما بقى الزمن ،

وما بقى حيا فى هذا الزمن . ومن يدرى لعل روحه يهتف باسمها ، إذا انتقل إلى

الحياة الأخرى ؟ .

١٣ سير قطب

يقول تحت عنوان « الكأس المسمومة »<sup>(١)</sup>

أفلاك أفلاك كالشيطان أفلاك      أملاك نالسم يسرى جدت فتناك  
 أفلاك . إنك في نفسى وفي زمنى      وفي حياتى أعمى ذات أشواك  
 سممت عيشى وأحلامى وأخيلانى      وأنت شيطانة فى سمّت أملاك  
 وعشت أراك فى قلبى وأنت بلا      قلب يحس ويرعى كيف أراك  
 من أنت ؟ ما أنت ؟ إني حارقاتى      أنت أسطورة فى سفر أفلاك

\*\*\*

أنسى الليالى التى قضيتها فاقماً      وأنت ساعنة راض بحياك .  
 أنسى الدموع التى أرساتها غدفاً      ولست لولا هواك المرّ الباكى  
 وكبريائى التى ما كنت أخفصها      من قبل أو بعد فى دنياى لولاك  
 أنسى لأذكر أحلامى وأخيلتى      كأنهن نجوم بين أحلاك  
 وكلهن نسيج الوهم فى خلدى      ولسن غير علالات وأشراك

\*\*\*

أفلاك ؟ ليت ا فإنى لست أفلاك      أهواك ؟ ليت ؟ فإنى لست أهواك  
 أهوى وأقلى وأيامى موزعة      بين الهوى والقلى كالصاحك الباكي  
 هذا الرحيق وهذا السم قد مزجا      ولست أروى بكأس غير رياك  
 هاتى لى السم صرفاً لا يمازجه      هذا الرحيق فإنى لست بالشاكي  
 مللت كأسك لا أتذ نشوتها      ولا أحطمها نطميم سفاك

\*\*\*

(١) قبلت فى ٣ مارس سنة ١٩٤٣

يحدثنا الشاعر في هذه القصيدة عن صباية نفسه .  
والناس يكرهون الشيطان ، لأنه يضلهم طريق الحياة ، ويكرهون الأنفى ،  
لأنها تؤذيهم ، وتبيدهم بسمومها الفتاكة .  
والحيية كالشيطان ، وكالأنفى . ولاشئ أنكى على الحبيب أو أكثر أذى له ،  
أو انتقاما منه — كالحيية إذا هجرت ، وتمتعت ، وتجنبت ، وتذلت ا ولهذا كره  
شاعرنا حبييته .

لأنها سممت عبسه ، وأحلامه ، وأخيلته .  
وكيف سممت هذا العيش ؟

عاش يرهاها في قلبه ، وهى بلا قلب يحس ويرعى ا قضى أيامه ولياليه تلقاً في  
هواها ، وهى ساكنة راضية الحيا ا كان يرسل دمه غدقاً ، ولولا هواها ما دمت  
عيناه . وهى قاسية القلب ، متحجرة العيون . خفض كبرياءه ، وهو الأشم الأبى ،  
ولولا حبها ما خفضها من قبل أو من بعد .  
ولكنه فى حيرة من هذا الكره .  
ليته يكرهها ، حتى يخلص من آلام حبها .  
ولكنه لا يكره . لأنها حبيبة نفسه . وليس إلى كراهيتها من سبيل .  
بل هوفى حيرة من هذا الهوى .

هو حقاً يهواها ، ويتمنى أن تبادله الهوى ، حتى يطول ويدوم .  
ولكن حالها معه من صد وهجر تجعله يقابلها بالمثل ، فلا يهواها .  
فحالها إذن بين هوى وقل ، كالضاحك الباكي .  
وهو فى حال تعطيه السم صرفاً فيرضى ولا يشكو ، وفى حال يمل كأسها ،  
لا يلتذ نشوتها ، ولا يحطمها ، فيخلص منها .

١٤ — عبد العزيز عثيمين

يقول<sup>(١)</sup> يصف شاطئ البحر :

عم صباحاً يا كعبة المصطاف  
قد سعينا إليك يسبقنا الشو  
نحن ركب الجمال والفن جئنا  
فانظم الشاطئ الكريم جمالا  
وملاذ الأحباب ، والآف  
ق ، فماذا أعددت للأضياف ؟  
نتعلمي الجمال فوق الضفاف  
تتملاه في الوجوه اللطاف  
ويقول<sup>(٢)</sup> « وقد ركب مع حبيته في إحدى الليالي زورقاً » .

حينما ذهب الأصيل مياه النية  
أبصرتني أطوف حول حماها  
هتفت بي : إلى يا صاح أقبل  
ذاك وكركر الهوى ، ألسنت تراه  
ل واختال في الرياض جميلا  
سادر الخطو ، حائراً مذهولا  
أنا من قد بحثت عنها طويلا  
مثما كان شاعرياً ظليلا ؟  
ياحبيبي واجلس إلى قليلا  
ذاك روضى فقرّ عينا ونفساً

\*\*\*

كيف جانبت روضك الفيئانا  
كلما طفت بالمسكان أثارت  
وأرى القلب في غيابك أمسى  
أيها الغائب الذي خالط القلب هواه فذاق منه الهوانا  
أتسلت أم نسيت المسكانا ؟  
وقفات الوداع منى الحنانا  
ربوة الأمس واستقنى الألمانا  
خذ ذراعى إلى ذراعك واصعد  
رب ليمل سهرة أتقلى  
ياحبيبي موزعا حيرانا  
فيه وحدى وأشتكى الحرمانا

\*\*\*



ها هو العود حالماً بالأغاني فأعدها سحرية الأنعام  
ها هو العود ياحبيبي فغنَّ غن للحب ، للنفوس الطوامي  
فإذا ماشيواتُ عنك بنفسى وبما هاج من هوى وضرام  
فدع العود جانباً ، وأدرها قبلات من نغرك البسام  
ودع الربوة الظليلة تخفى أثرينا بظلمها المسترامى  
ولنمش ها هنا كما نتمنى للأغاني ، للحب ، للإلهام

\* \* \*

هذا جانب الغزل في الشعر . وللغزل النثرى في هذا العصر حظ لا بأس به  
بفضل ما قام به بعض الكتاب من ترجمة عن الأدب الأجنبي . وبفضل ما وضعوه في  
هذا الباب من رسائل ممتعة . وسأوفى هذا الموضوع حقه في كتب الغزل الأخرى .

\* \* \*

#### أغراض الغزل :

ولعلك أيها القارئ الكريم ، بعد أن مررت بك هذه الأمثلة من شعر هذا  
العصر ، تستطيع أن تتبين صورة صحيحة لأغراض الغزل .  
فلا يزال من سنة الشعراء في هذا العصر كما كانت سنتهم من قبل أن يبدؤوا  
قصائدهم بالنسيب ، وذلك هو الغزل الصناعي .  
وإن كان بعضهم قد بدأ القصيدة بوصف الحجر ، ومجالس اللهو ، وما إلى ذلك ،  
ولكن بقي البدء بالنسيب كثيراً غالباً .  
ولا يزال الغزل الماسجناً فائماً في هذا العصر ، نتيجة اختلاط العرب بالغرب ،  
ونتيجة تأثير المدينة الغربية في المدينة الشرقية ، ونحن نعرف ما يشوب المدينة الغربية ،  
من لهو ومجون ، وعبث وفساد ، وقد امتد هذا إلى الشرق في صورتي ، ولولا مناعة  
الشرق ، لطفى سبيل هذه المدينة ، وجرف أمامه مظاهر الخير في عاداتنا ، وتقاليدينا ،

وعقائدنا . ومن المؤلم حقاً أننا حاكينا الغرب في كثير من ضروب العيش الساخرة  
 الماجنة ، وتركنا ما هنالك من ضروب أخرى ، فيها قوة ومناعة . ومن المؤلم أيضاً  
 أن امتدت هذه المحاكاة إلى الأدب ، وإلى الشعر ، وإلى الغزل .

إذن تغزل شعراء هذا العصر غزلاً ماجناً ، وقد تسمع الشيء الكثير من هذا  
 الغزل الماجن إذا أنت جلست إلى جماعة من شعراء الغزل في هذا العصر ، وأنت  
 إليهم ، وأنسوا إليك ، وكانت تجمعك بهم ساعة من اللهو والفرغ . سبسمعونك  
 — وخاصة إذا كانوا شباباً — كثيراً من الغزل الماجن ، وقد يكون مجونه بالغاً فائقاً .  
 وخاصة إذا آمنوا جانبك ، ولم يتحرجوا منك ، ولم يخافوا تشهير الناس بهم ، وعتبهم  
 وملامهم . ولولا خوف التشهير والملام لقرأت جهراً ، وسمعت جهراً ما يصح أن تقرأه  
 وتسمعه سراً .

ولعله بعد ذلك يجيء دور الغزل الصادق ، الغزل البريء ، الغزل ذى العاطفة  
 الملتهبة ، والقلب المرهف .

هذا النوع من الغزل وجد في هذا العصر ، ووجد بكثرة لا شك فيها .  
 وجد نتيجة لقاء الفتى بالفتاة ، الفتى الشاعر ، والفتاة الفاتنة . عرف كلاهما الآخر ،  
 وامتزجا عاطفة ، وقلباً ، وروحاً . فهام كلاهما بالآخر . أما هو فترجم عن هيامه  
 بقافيته وألحانه ، وأما هي فأذكت فيه الحس حتى أصبح رائعاً ، وأذكت فيه القلب  
 حتى أصبح يخفق حفقة الغرام . الغرام الذى لا يعرفها إلا هي ، ولا يتحدث إلا عن  
 وحياها ، ودلها ، وحسنا .

وإنك لتجد أمثلة من هذا النوع من الغزل ، وخاصة لشعرائنا الشبان المحدثين ،  
 أو خاصة لشعرائنا في عهد الحداثة والشباب .

اقرأ هذه الأمثلة ، التى مرّ بك شطر منها وأياً وجدت قلبك يخفق ، ووعيك  
 يهفو ، وسمعت يطرب ، فاعرف أن هذا هو الغزل الصادق .

واقراً<sup>(١)</sup> :

مَنِّي أَطِيبَ الْمَنَى يَا حَبِيبِي      فَاَلْمَنَى وَحَدَهْنَ مِنْكَ نَصِيبِي  
إِن يَفْتَنَّا مِنْهَا لَمْ نَفْتَنَّا      نَظْرَةَ مِنْ خِيَالِهَا الْمَرْقُوبِ

\*\*\*

مَنِّي بَلْ دَعِ الْمَنَى يَا حَبِيبِي      فَشَقَائِي فِي الْمَوْعِدِ الْمَكْذُوبِ  
هَانَ فَقَدِ الْمَنَى الَّتِي لَمْ تَعِدْنَا      وَافْتِقَادِ الْمَوْعُودِ جَدِّ صَمِيبِ  
أَعْطَى! أَعْطَى! إِذْنِي يَا حَبِيبِي      غَيْرَ مَا نَاكَتْ وَلَا مُسْتَجِيبِ  
أَعْطَى صَهْوَكِ ارْتِجَالًا وَدَعْنَا      مِنْ مَطَالِ الْوَعْدِ أَوْ تَقْرِيبِ

واقراً<sup>(٢)</sup> :

إِن تَسَلْ فِي الشَّعْرِ عَنِّي      هَكَذَا كُنْتَ أَعْنِي  
لَا أَبَالِي أَشَجَّي سَمَّ      مَكَأَمَ لَمْ يُشَجَّ لِحْنِي!  
هُوَ مِنْ رُوحِي لِرُوحِي      صَلَوَاتٌ وَتَفَنِّي  
وَهُوَ مِنْ قَلْبِي يَنْبَايَ      عُنْ بِهَا يَهْدُرُ فَنِي  
لِلْأَسَى فِيهَا تَعَالِي      لِوَلِيَّاسٍ تَمَنِّي  
وَهُوَ إِحْسَاسِي الَّذِي يَنْسَابُ      كَالْجُدُولِ مَنِّي

وقول الشاعر<sup>(٣)</sup> :

يَا مُحِبِّيًّا عِبْدُتُهُ      مَثَلًا يُعْبَدُ الْإِلَٰهَ  
وَجَمَالًا عَشَقْتُهُ      عَشَقَ مِنْ لَا يَرَى سِوَاهُ

(١) هدية الكروان للأستاذ عباس محمود العقاد ص ٤٣ (٢) هكذا أعني للأستاذ

(٣) أحلام التخيل عبد العزيز عتيق ص ٩٧

محمود حسن اسماعيل ص ٢٣٩

وقول الشاعر<sup>(١)</sup>:

جنة الحسن كلُّ ما فيك حلوة  
أنا من هام فاستباح التشكي  
أنا من ذلِّ في هوائكِ وحسبي  
أنا من أرسل المدامع تسعرا  
أنا من ذاب من أساك التياعا  
أنا من ذوب الفؤاد دموعا

وقول الشاعر<sup>(٢)</sup>:

هاتى دموعك تستدر دموعي  
تلقي فؤاداً كالوليد أمضه  
نبه رسول العطف ياليل الأسي  
فهناك قلب يحتويه خافق

وقول الشاعر<sup>(٣)</sup>:

يا طيرُ لا تخش مني الآن عادية  
في الروض لى صاحب من أجل خاطره  
لبليلى — ولعينييه وطهرها

وقول الشاعر<sup>(٤)</sup>:

أفا تنقى أنظري كبدى المعن  
وفى نهديك بعض دمي وإني  
تذوب من الحرارة فوق صدرك  
على بلواى — باق طوع أمرك

(٢) ألحان الألم فايد العمروسي ص ٨٥

(٤) الهوى والشباب — ديوان أحمد

(١) أحلام الربيع طاهر زحضرى ص ٨٤

(٣) أشواق — ديوان محمود أبو الوفا ص ٧٣

عبد النفور عطار ص ١٥٦ .

فقلت — وهى باسمه — أصدقُ مقالك؟ أم تراه بعض شعرك  
 ألسنت بشاعر ، والشعر كذب تخادعنى به يا سوء مكرك  
 فقلت : استغفرى ولديك جسمى وروحي يشهدان بفعل هجرك  
 هجرت — وما أظنك عن ملال — وجئت فرحجاً بك في مقرك  
 هنا في القلب دارك فاستقرى وشيذى عالما حيا بسحرك  
 وفي دمي الطهور هواك يجرى وفي عينيّ يسطع كل نورك  
 وكيف أشق في الدنيا طريق . إذا لم تهدي أضواء بدرك

\*\*\*

فأنت تحس من هذه الأمثلة ، وما ذكرنا من قبل وهج العاطفة الملتبئة ، التي  
 تيجيش في صدور المحبين .

كان الشعر في عصوره الأولى سليقة وطبعا ، وهو قريب من ذلك في بعض  
 العصور اللاحقة . أما الشعر في عصرنا الحاضر فقد أصبح فنا ، تنذوقه ، وندرسه ،  
 وتعلمه ، ليكون وحى نفوسنا ، وترجان ما تيجيش به ، من أمل وألم ، ومن حب  
 وغرام ، ومن شكوى وأنين . فينا الفتى الشاب الناضر ، قد خرج إلى هذه الحياة مزودا  
 بالعلم ، والثقافة والأدب . نظر بعينه فرأى الفتاة الفضة الناضرة . راقه حسنها  
 وجالها . وعقد الحب بينه وبينها أصرة من الود ، والإخاء . وكان بعد ذلك فراق ولقاء ،  
 وهجر ووصال ، ثم كان شذو ، حين تبسم له الحياة ، وشجو ، حين تعبس في وجهه الأيام .  
 كل هذا يدعو النفس الثائرة إلى أن تتنفس ، ويدعو القلب الحساس إلى أن يخفق .  
 وكل هذا يريد أن ينشره على الناس ، حتى يفرحوا ويطربوا ، كما فرح وطرب .  
 وحتى يشاركوه في شكواه وبلواه ، حين يكون له حظ من البلاء والشكوى . إذن  
 هو في حاجة إلى أن يصور خفقات قلبه ، وخلجات نفسه . .

وليكن الشعر أداته ، حتى يسمع الناس جميعا ، فيشوقهم ، لأنه صادق ملتزم ،  
وحتى تسمعه الحبيبة ، فيكون نجواها ، حين تسكن إلى مخدعها ، وحين تكون بعيدة  
عن عيون الرقيب ، لعلها ترق ، أو ترحم ، أو تلين .

في هذا اللمب من العاطفة ، وفي هذا الصدق من الشعور ، وفي هذه النجوى  
تقرأ نوعاً من الغزل ، لم يتخذ الشاعر بضاعة وصناعة ، ولم يتخذ للهو والمجون ، بل  
اتخذ ليكون وحى إحساسه ، وترجمان شعوره . وهو إحساس الحب ، وشعور الغرام .

\*\*\*

على أن نوعاً آخر من الغزل جدّ في هذا العصر ، وكانت له ثمار طيبة - هو الغزل  
المسرحي .

إذ قام جماعة من الشعراء بتأليف روايات مسرحية شعرية ونثرية ، وكان للغزل  
فيها الحظ الوافر .

ومن هذه الروايات الشعرية : مجنون ليلي ، وكليوباترة - لأحمد شوقي -  
والعباسة - لعزيرأباظة - ، وعفراء - لغايد العمروسي - ، وولادة - لعلى أعبد العظيم .

يقول **أحمد سوقي** : في رواية مجنون ليلي

ابن عوف (١) :

لا تكثُبتُ وتعال يا قيسُ استرح  
بما تكابد في الهوى وتلاقى  
قيس :

هل أنت آسٍ يا أمير جراحتي  
أم أنت من سحر الصباية راق ؟  
ابن عوف :

بل من رواتك قيسُ من زمن مضى  
لم أخلُ قيسُ عليك من إشفاق

قيس :

قل للخليفة يا بن عوف في غدٍ  
هدرت حكومته دمي فتحرشت  
منذا أباح له دم العشاق ؟  
بدم على سيف الجفون صراق

ابن عوف :

أرضيتني عند الخليفة شافعاً ؟  
قيس في أنفة :  
يا قيس  
لا والواحد الخلاق

بل عند ليلى فامض فاشفع لي لدى  
جئها فذكرها العهود وحفظها  
ليلى إذا هي أقبلت حققت دمي  
ويقول على عبد العظيم : في رواية ولادة - بين ولادة ووصيقتها - :  
ولادة :

ما للسعادة في الدنيا ومن صفرت  
ما قيمة العمر أطويه مدمة  
من الأمانى والأحلام كفاه ؟  
كأن آماله العظمى مناياه ؟  
عتبة :

داويه بالحب وأستجلى مباحجه .

ولادة :  
عتبة :

ولا استساغت مذاق العيش لولاه  
ولا الهوى ما انطوت نفس على أمل  
ولادة :

وهل عرفت الهوى يا عتبَ  
عتبة :

والهفا  
لقد أمات الهوى قلبي وأحياه  
ولست مهما تراخى العمر أنساه  
إني عرفت الهوى مذكنتُ يافمة

ولادة :

من لى بكفء قوى أستعين به      على الخطوب ، ويهوانى وأهواه ؟  
تنضر العبش فى قلبى ابسامته      وتسكب الحب فى عينى عيناه  
وإن ألمت خطوبٌ بات يكلؤنى      وإن أناخت هموم بت أراءه  
وقد تهيم عشا راقصا سرحا      أفرأخنا الزغب تحبو فى زواياه  
هتافها فيه « يا أمى » « ويا أبتى »      فما أرق أبى منها وأماه

\* \* \*

ولمّاك عرفت أيها القارىء الكريم صورة عن الغزل فى هذا العصر ، وصورة  
عن الغزل فى سائر العصور ، وعرفت أنه غزل كريم لاعبث فيه ولا مساد ، بل فيه عاطفة ،  
وفن وذوق ، وأدب . يؤذن بخير ونهضة ، وصل إليها العرب بعد جهاد طويل ، فى  
سبيل الحرية والاستقلال ، فأبلاوا البلاء الحسن ، حتى كان لهم هذا النجاح والتوفيق .  
ومن ثم تفتحت الأزهار ، ونيقظت العقول ، إلى حياة جديدة ، فيها بعث ، وفيها  
نشاط ، وفيها ثروة . ولم يتخلف الأدب عن هذه الحياة ، بل كان مذكيها وموحيا ،  
ثم كان عنوانها وترجمانها .

وإنى على يقين أن سيكون للعرب أدب رفيع ، يمثل هذا النضج الذى وصلوا  
إليه ، وسيصلون إليه قويا ، رائعا ، فى العلم ، والفن ، والسياسة .  
وأرجو أن يكون هذا قريبا .

بفصل ما حبانا الله من دور العلم ، وفى مقدمتها الأزهر ، وجامعتا فاروق الأول ،  
وفؤاد الأول ، ومن بنها دار العلوم التى أسبغت على الأمة والأدب ثوب اليقظة ،  
وثوب القوة . ودور الثقافة ، وهى فى مصر ، وفى الأقطار العربية كثيرة العدد ، قوية  
البناء ، تقدم بين يدي القارئ والقارئين ألوانا جديدة من الكتب المؤلفة ، والمترجمة ،  
ومن بينها « لجنة البيان العربى » التى أنشأت منذ عام ، تحقيقا لهذا الهدف النبيل ،



الذى نرجوه ، ونصبو إليه ، وعلى رأسها رجل العروبة والإسلام الأستاذ الجليل محمد على علوبة باشا . بفضل المجمع اللغوى الملكى ، وجامعة الدول العربية ، وسائر الجماعات والأنندية العلمية والأدبية . وبفضل المذيع ، والصحافة والمجلات .

بل بفضل هذا التراث الكريم الذى خلفه لنا العرب الأولون . وأرجو أن نستخرج منه ألواناً من الخير ، والفائدة ، فى جميع مظاهر الحياة . فالأمم الكريمة لاتحيا إلا إذا وصلت حاضرها بماضيها ، ووصلت مستقبلها بحاضرها . وبهذا يكون البناء سليماً ، متمسكاً ، مستمداً من وحي التاريخ ، فينمو ، ويقوى ، ويرتفع على قدر ما يبذل أبناؤه من جد ونشاط . فلم لانصل حاضرنا بماضيها ؟ وفى ماضيها مايسمو بنا ، وفى ماضيها مانعز به ونفخر .

ورعى الله هذا الأدب الجميل الذى خلفه لنا هؤلاء الأدباء . ورعى الله هؤلاء الشعراء الأجداد ، الذين نفحنوا هذا الجمال من الألفاظ ، والمعانى .

ورعى الله شعراءنا فى هذا العصر ، وقد كانوا صلة الأدب بين الحاضر والماضى ، وحملوا هذه الرسالة الكريمة فما ونوا ، ولا قصرُوا . وأدباءنا ، وقد بسطوا بين أنظارنا هذا الشعر ، فنقدوه ، ونثروا درره ولآلته .

ومن توفيق الله أن هيا الله لبلاد العرب ملوكاً وحكاماً ، حملوا لواء النهضة ، وأذكوا فيها أسباب القوة . وفى مقدمة هؤلاء فاروق مصر ، ولنا بل وللعرب جميعاً من روحه السامى ، ومن رأيه السيدى ، ومن شبابه الفتى ، ومن طموحه الوثاب — ما يبشر بالخير ، وتحقيق الآمال .

أطال الله عمر الفاروق . وبسط للعرب والمسلمين على يديه ، وعلى أيدي عاهلينا الكرام ، ورجال الرأى والفكر فينا — كل أسباب الرفعة والمجد .

إنه سميع مجيب م



## مراجع الكتاب

- ١ — الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني : من الجزء الأول إلى العاشر — طبع دار الكتب . وما بعد ذلك طبعة قديمة .
- ٢ — الأملى لأبي علي القالى — طبعة دار الكتب .
- ٣ — نهاية الأرب للنويرى — طبعة دار الكتب .
- ٤ — العقد الفريد لأحمد بن عبد ربه — طبع المكتبة التجارية .
- ٥ — عصر المأمون : للدكتور أحمد فريد رفاعى — مطبعة دار الكتب .
- ٦ — معجم الأدباء : لياقوت الرومى — عشرين جزءاً .
- ٧ — زهر الآداب : لأبى اسحق الحصرى — المطبعة الرحمانية . شرح وتعليق الدكتور زكى مبارك .
- ٨ — البيان والتهيين : للجاحظ .
- ٩ — ديوان الحماسة لأبى تمام الطائى — مطبعة السعادة .
- ١٠ — المفضليات : للضبي — الطبعة الأولى سنة ١٩٢٦ م .
- ١١ — الشعر والشعراء : لابن قتيبة :
- ١٢ — عيون الأخبار : لابن قتيبة .
- ١٣ — المزهى : للسيوطى — الطبعة الأولى سنة ١٩٢٥ هـ .
- ١٤ — المخصص : لابن سيده — طبعة بُلّاق سنة ١٣١٦ هـ .
- ١٥ — مقدمة ابن خلدون .
- ١٦ — المستطرف فى كل فن مستظرف : للأبشهى .
- ١٧ — تزيين الأسواق : المطبعة الأزهرية المصرية سنة ١٣٠٨ هـ .
- ١٨ — تاريخ آداب اللغة العربية : لجورجى زيدان .
- ١٩ — الوسيط : لأحمد الاسكندرى .
- ٢٠ — حديث الأربعاء : للدكتور طه حسين بك .
- ٢١ — ضحى الإسلام : للأستاذ أحمد أمين بك .
- ٢٢ — بلاغة العرب فى الأندلس للدكتور أحمد ضيف .
- ٢٣ — شاعر الغزل : للأستاذ عباس محمود العقاد .

## الدواوين الشعرية :

- ٢٤ — ديوان المتنبي : شرح وتعليق البرقوقى .
- ٢٥ » البحترى : طبعة هندية سنة ١٩١١ م .
- ٢٦ » ابن الرومى : اختيار الأستاذ كامل كيلانى .
- ٢٧ » عمر بن أبى ربيعة : طبعة بيروت .
- ٢٨ » اسماعيل صبرى .
- ٢٩ » محمد عبد المطلب .
- ٣٠ » أحمد شوقى .
- ٣١ » حافظ ابراهيم .
- ٣٢ » خليل مطران .
- ٣٣ » عبد المحسن الكاظمى .
- ٣٤ » المواقب — جبران خليل جبران .
- ٣٥ » محمد رضا الشيبى .
- ٣٦ » على الجارم بك .
- ٣٧ » معروف الرصافى .
- ٣٨ — دراسة أدبية لشاعر العراق — معروف الرصافى — للأستاذ بدوى طبانة .
- ٣٩ — ديوان هدية الكروان للأستاذ عباس محمود العقاد .
- ٤٠ » » وحى الأربعين »
- ٤١ » » أعاصير مغرب »
- ٤٢ » الملاط : طبعة بيروت .
- ٤٣ » هكذا أغنى : للأستاذ محمود حسن اسماعيل .
- ٤٤ » أحلام التخيل : للأستاذ عبد العزيز عتيق .
- ٤٥ » الهوى والشباب للأستاذ أحمد عبدالغفور عطار .
- ٤٦ » أشواق : للأستاذ محمود أبو الوفاء .
- ٤٧ — مسرحية : مجنون ليلي : أحمد شوقى .
- ٤٨ » ولادة : للأستاذ على عبد العظيم .

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٨٥	الفصل الأول : رقة الحس	١	المقدمة
٩٧	» الثاني : سعة الحياة		الباب الأول :
١١٥	» الثالث : الطموح	٥	معنى الغزل وألفاظه
١٢٢	» الرابع : التضحية	٧	الفصل الأول : معنى الغزل
١٣٣	» الخامس : الصبر	٩	الفصل الثاني : ألفاظ الغزل
١٣٧	» السادس : الوفاء		الباب الثاني :
	الباب الخامس :		نشأة الغزل -- دواعيه
١٥٢	تطور الغزل	١٢	الفصل الأول : نشأة الغزل :
١٥٣	الفصل الأول : الغزل بالمذكر		الفصل الثاني : دواعي الغزل
	» (الثاني) : أقسام الغزل :	١٥	١ — بيئة العربي وطبعه
١٥٨	١ — الغزل الصناعي	١٦	٢ — اختلاط الرجل بالمرأة
١٦٧	٢ — الغزل العذري	٢٦	٣ — أسواق الأدب
١٧٦	٣ — الغزل المماجن	٣٧	٤ — مظاهر الترف :
١٩٢	الفصل الثالث : شعراء الغزل	٤٠	أ — الشباب
١٩٢	في العصر الجاهلي	٤٣	ب — الجوارى
١٩٥	في صدر الإسلام والعصر الأموي	٤٩	ج — الغناء
٢٠٤	في العصر العباسي		الباب الثالث :
٢١٨	في العصر الحديث :	٦٦	شعر العرب بالغرل
٢٢٢	دواعي الغزل		الباب الرابع :
٢٤٢	شعراء الغزل		أثر الغزل
٢٧٧	أعراس الغزل	٨٢	

## فهرس الأعلام

- أبو بكر الصولي : نصف رفة الغناء ٥٧ — ١٩  
 أبو دهبيل : يتنزل في عمرة ٣٦ — ١ ، وفي  
 عاكسة بنت معاوية بالحج ٧٢ — ١٠  
 أبو الشيص : يتنزل في جاريه سوداء ٤٨ — ١٩  
 أبو صخر الهنلي : برصى بنجنها لأنه لا يقدر  
 على هجرها ٩١ — ٥ ، حلاوة الحديث  
 ٩٤ — ١٧  
 أبو العنابية . ينصرف عن الغزل ويريد الرشيد  
 أن يتنزل ويأبى ، فيجسسه ٤٢ — ٨  
 أبو عبيدة : يتنزل في — أمان — الجارية ٤٩ — ١  
 أبو الفضل الميكالي : الصبر على حكم الرقيب  
 ١٣٥ — ١١  
 أبو نواس : يحج ليرى « جنان » ٢٥ — ١٣  
 يتنزل في جنان ٤٩ — ٧ ، من  
 غزله ١١٠ — ١ ، يحج ليجتمع بجنان  
 ١١٧ — ٦ ، يتنزل بالمدكر ١٥٣ — ١٦ ،  
 يتنزل في أول قصيدة مدح ١٦٢ — ١٠ ،  
 يصف الحر ٢٠٧ — ١٢  
 أبو نوهل : أهل الرفة لا يسلمون من العشق  
 ٨٢ — ١٤  
 أحمد بن أبي داود : يطرب للغناء ٥٢ — ٣  
 أحمد راي : من غزله الغنائى ٢٣٣ — ٥  
 أحمد شوق : يتنزل في أول قصيدة مدح  
 ١٦٣ — ١٨ ، من غزله الغنائى  
 ٢٣٣ — ١٣ ، يبدأ بوصف الحر  
 ٢٤٥ — ١٣ ، من غزله ٢٤٦ — ٣ ،  
 ٢٤٧ — ١ ، من مسرحية مجنون ليلى  
 ٢٨٢ — ١٣  
 أحمد ضيف : النساء منبع الشعر ٨٣ — ٣  
 أحمد عبد العفور : من غزله ٢٨٠ — ١٧  
 الأحوص : في مجلس لساء ٢٩ — ١٥ ،
- ١  
 ابراهيم الموصلي : يعفو عنه الرشيد لحسن عنائه  
 ٥٤ — ١٦ ، يتنزل في ذاته الحال ويعبى  
 ٦٣ — ٢ ، من تحبى الحبيبة ١١٣ — ١٣  
 ابراهيم بن المدبر : يتنزل في عريب ٦٣ — ١٥  
 ابن الأعرابي : حلاوة الحديث ، لا يطبع العواذل  
 ١٤٦ — ٤  
 ابن خلدون : بلاد العرب لا تبت زرعاً ١٥ — ٧  
 نرف الأمم الغالبة ٣٨ — ٢٠ ، معنى  
 الغناء ٤٩ — ١٧ ، دواعي الغناء ٥٦ — ٣  
 ابن دريد : أكثر الحروف استعمالاً عند العرب  
 ١٠ — ٢١  
 ابن الدمينه : في الوفاء ١٤٥ — ١٣  
 ابن رامين : عرض الجوارى في مهله ٤٣ — ١٨  
 ابن الرومى : يتنزل في وحيد المعنينة  
 ٦٤ — ٢ ، وفي مظلومه ٦٤ — ٧ ،  
 يبدأ الهجاء بالغزل ٦٧ — ٩ ، من تحبى  
 الحبيب ٨٩ — ١١ ، ٩١ — ٩ ، حلاوة  
 الحديث ٩٤ — ٢٠ ، لا مزبد في حسننها  
 ولا في هواها ١١٨ — ٤ ، يتنزل  
 بالمدكر ٢١٠ — ١٦  
 ابن زيدون : من غزله ٩٠ — ٥  
 ابن سريج : بغنى في طريق الحج ٥١ — ٦ ،  
 يعى سلجان بن عبد الملك في الحج ٥٤ — ١٠  
 ابن قبيبة : العلة في بدء القصائد بالغزل ٦٧ — ٥  
 ابن ماكولا : تعود الصبر لكثرة هجرها إياه  
 ١٣٦ — ١١  
 ابن ميادة : يتنزل يزيد ١٨ — ٨ ، النساء  
 اللأى نزل بهن ٢٠٢ — ١٦  
 ابن هانيء : يتنزل في قصيدة مدح ١٦٣ — ٣

١٥٤ - ١ ، يتغزل في أول قصيدة

مدح ١٦١ - ٩ ، ٢١٦ - ٤

بشار : اجتماعه بالنساء في منزله ٣١ - ٢٠ ،

يتغزل في جارية ٤٩ - ١٢ ، يتغزل

في أول قصيدة مدح ٦٧ - ٢٠ ،

١٦٢ - ٦ ، يحتال ليفول غزلا

٧٧ - ١٨ ، من غزله ٨٦ - ٣ ،

من غزله في عمدة ٩٣ - ٢٠ ، في الوفاء

١٤٥ - ٨ ، في وصف الحمر

٢٠٧ - ١ ، من غزله الماجن

٢١١ - ٤

بصيص - جارية ابن نفيس : أذهبها وعناؤها

٤٤ - ١٤ ، عزل ابن ذي الزوائد فيها

٦٢ - ١٢

ت

توبة بن الجهم : مخاطرته في ريارته ليلي ١٠٧ - ٢١

من غزله فيها ١٩٨ - ١٧

ث

عمامة بن أشرس : عناء المرأة الجميلة مع

٥٧ - ٤

ج

جبران خليل جبران : الحب ٢٠٧ - ٢

جرير : يخاطب الديار في أول قصيدة ١٦٠ - ٩

جميل بن معمر العذري : عرف صاحبه شينة

في المرعى ١٨ - ١٣ ، من غزله في الحج

٢٥ - ٢١ ، يعني بأبيات قالها ٧٤ - ٨ ،

بشينة تنديه عند موته ٧٤ - ١٣ ،

جميل وكثير يتناشدان شعرهما ٨٨ - ٣ ،

جميل وعمر بن أبي ربيعة يناشدان

شعرهما ٨٨ - ١٥ ، من غزله في

بشينة ٩٢ - ٤ ، يحتال في زيارة شيمة

١٠٣ - ١٢ ، يجهل نفسه في سبيل

٣٤ - ٩ ، مدح سلامة القس بشعر

وتعني به ٦٩ - ١٥ ، يتغزل في سلامه

المس ٩٤ - ٧ ، غزله في أم جعفر

٢٠٠ - ١ ، وفي سلامة القس

٢٠٠ - ٧

إسحاق الموصل : يعني برثاء في الرشيد

٦٠ - ٥ ، القلب يطبع دعاء الهوى

٩٠ - ٢٠

إسماعيل بن إسحاق الأزدي : يتغزل بالمدكر

١٥٥ - ١٣

إسماعيل بن عمار : يصف الجوارى ٤٣ - ١٩ ،

يتغزل في أول قصيدة مدح ١٦٣ - ٩

إسماعيل بن الهربند : تأثير الغناء ٥٣ - ٢ ،

يعني فيحسن الغناء ٥٣ - ٢١

إسماعيل صبري : يصف الحمر في أول قصيدة

مدح ٢٥٩ - ٢ ، يتغزل في أول قصيدة

مدح ٢٥٩ - ١١

أشجع الساسي : يمدح الرشيد وينشده المدح تاركا

النسيب خوف فوت الصلاة فيطلب الرشيد

لنشاد النسيب ٦٨ - ٨

الأعمى التطيل : النظر بالعقل ، والسمع بالقلب

١١٣ - ٧

اصرو القيس : أحسن ابتداء قصيدة في الجاهلية

٦٧ - ١٤ ، في مجلس نساء بينهن عنيزة

٧١ - ١٠ ، مخاطرته في سبيل لقاء

الحبيبة ١٢٩ - ٢ ، بدء معاقبته

١٥٩ - ١٦ ، غزله في عنيرة

١٩٣ - ١٣

أم كاثوم : من أعانيها باللغة العربية ٢٣٢ - ١٦ ،

٢٣٣ - ٥ ، وباللغة العامية ٢٣٦ - ١٦

أمية بن عبد العزيز : يتغزل بالمدكر : ١٥٥ - ٧

ب

البحراني : من غزله ٨٩ - ١٨ ، تغزل بالمدكر

زكى مبارك : حلم الاقواء ٢٧٠ - ٨  
 س  
 ساعد بن مطرف : في الوفاء ٤٥ - ١٧  
 سعيد بن مسلم : رأته في أثر العشق ٨٢ - ١٢  
 سعيد بن وهب : منزل في جارية ٤٦ - ١٣  
 سلامه القس : معنى برثاء في بزبد بن عبد الملك  
 ٥٩ - ١٩ ، وبشعر مدح فمسا  
 ٦١ - ١٠ ( انظر الأحوس )  
 سليمان بن عبد الملك : بشجع العناء ٥٤ - ٩  
 سدد قلب : الكأس المسمومة ٢٧٤ - ٢  
 س  
 شيلي الملاط : منزل في أول فصدمة ٢٦٤ - ٢  
 بديعة ، شماس أنس ٢٦٤ - ٦ ، من غزله ٢٦٤ - ١٧  
 س  
 الصمة القشيري : من وفاته ١٤٥ - ٢  
 ط  
 ملاهس زبخمري : من غزله ٢٨٠ - ١٠  
 طرفة بن العبد : أول معلقته ١٦٠ - ٤٠  
 طه حسين : مجالس الأدب ٢٨ - ١٠٠٠ ، أدب  
 الجوارى في العصر العباسي ٤٤ - ٦  
 مالوك العصر العباسي وشعره الغزل  
 ٧٩ - ١٠  
 ط  
 عائده بنت طلحة : نستمع في قمرها إلى غزل  
 النعمري ٧٠ - ١٨  
 العباس بن الأحمق : بعزل في عنان ٦٢ - ١٨ ،  
 مدح في الصلاة عاين موته تعلمها له  
 ٦٨ - ٢١ ، العشاق يرق بهمهمهم  
 ٨٧ - ١٩ ، حجرها حتى يمد عنها  
 الطاهر ٩٨ - ١٠ ، صمد اللؤلؤ  
 ١١٣ - ١٠ ، سكنها السماء ١١٩ - ١

الحب ١١٦ - ١٨ ، طموح الحب  
 ١١٨ - ١١ ، تفصيحه في سبيل لغائها  
 ١٢٥ - ٩ ، وفي سبيل حبها ١٢٧ - ١١ ،  
 يقبل توبة لأن بيته كانت تحصره فلهذا  
 عابت عليه توبة ١٣٢ - ٤ ، صبره في  
 احتمال آلام الحب ١٣٥ - ٨ ، من  
 وفاته ١٣٩ - ١١ ، من غزله ١٧٢ - ١٧  
 ح  
 حافظ إبراهيم : يتغزل في أول قصيدة مدح  
 ١٦٣ - ١٤ ، ٢٥٠ - ١٩  
 الحسن بن وهب : يتغزل بالمذكر ١٥٥ - ١٧  
 الحسين بن مطير : في الوفاء ١٤٦ - ٨  
 حسين بن الضحاك : يتغزل بالمذكر ١٥٤ - ١٦ ،  
 في وصف مجلس أنس ٢٠٩ - ١٥ ،  
 من غزله للمجن ٢١٣ - ٨  
 حماد عمرد : يتغزل في جارية ٤٨ - ٨ ، يتغزل  
 بالمذكر ١٥٤ - ٤  
 خ  
 خليل مطران : يتغزل في أدبية جميلة ٣٦٥ - ٦ ،  
 قضية بين القلب والعين ٢٦٦ - ٧  
 د  
 داود بن سلم : من وفاته ١٤٥ - ٥  
 ذ  
 دو الرمة : يتغزل في مية ١٩ - ٦ ، وفي خرقاء  
 بالحج ٢٥ - ١  
 ذو الرياسين : يحض على العشق : ٨١ - ١٠  
 ر  
 الرماشي : كثرة الجوارى في العصر العباسي  
 ٤٣ - ١٠  
 ر  
 الزجاجي : أصل معنى المغازلة : ٧ - ١٤



- عبد الملك بن مروان : لا يرضى العزل من نصيب  
الشاعر ٧٧ — ١٢
- عثمان بن حيان : يشجع على الغناء ٥٥ — ٣  
العرشي : يهيجن ليقتلن البريء ٢٥ — ٦ ،  
ينغزل في أم الأوقص ٩٩ — ١٤ ،  
النساء اللاتي تغزل بهن ٢٠١ — ٧
- عروة بن أذينة : من شعره يغني به ابن سريج  
في حضرة سليمان بن عبد الملك بالبح  
٥٤ — ١٠ ، من غزله ٧٦ — ١٢
- عروة بن حزام : يتغزل في عفراء ١٩٨ — ١٠  
عريب : في مجلس أدب ٤٥ — ١٨  
عزة صاحبة كثير : انظر « كثير »  
عزة الملياء : في منزلها يجتمع الشعراء والعلماء  
والأدباء فتغنيمهم ٥١ — ١
- عشرة المحاربية : تفخر بسبقها في حلبة الهوى  
١١ — ٦٩
- عقيد : يتغزل في دنانير ٦٣ — ٩  
عقيلة بنت الضحاك : تغزل في ابن عمها عمرو بن  
كعب ٣٦ — ٨ ، ٣٧ — ١
- علي بن آدم : يهوى جارية ٤٨ — ١٢  
علي الجارم : من غزله ٢٦٠ — ٥  
علي عبد العظيم : من مسرحية ولادة ٢٨٣ — ١٠  
علي محمود طه : من عزله الفناني - الجدول  
٢٣٤ — ٣
- عمرو بن كلثوم : يبدأ معلقته بوصف الخمر  
١٦٦ — ٦
- عمر بن أبي ربيعة : من غزله في الملح ٢٢ — ١٩ ،  
يتغزل يزينب بنت موسى ٢٣ — ١٤ ،  
وناصرة من العراق ٢٤ — ١ ، في مجلس  
نساء ٣٢ ، ٥ — ٣٣ ، ٥ — ٧١ ، ١  
في موسم الملح يتلقى الحاج ٥١ — ٦ ،  
بكيه نساء مكة عند موته ٧٢ — ٢٠ ،
- احتمال تعني الحببة ١٣٥ — ٥ ، من غزله  
٢١٦ — ١٧
- عاس بن عمرو المعاد : الفرق بين شعره بشار وكثير  
٧٩ — ١ ، سران روح المحبين  
٢٥٢ — ١٩ ، وصف شواطئ البحر  
في الاسكندرية ٢٥٣ — ٣ ، في الحببية  
من كل شيء ٢٥٣ — ١٠ ، يطلب أن  
تأخذ قلبه ولكن لا تقبله من مكانه  
٢٥٥ — ١ ، هي مائة ٢٧٩ — ١
- عبد الرحمن بن أوطاة : يتغزل في جملة ٦١ — ٢١  
عبد الصمد بن المعتز : يتغزل في مقيم الهشامية  
٦٢ — ٤
- عبد العزيز عتيق : يصف شاطئ البحر  
٢٧٦ — ٢ ، يصف نزهة مع الحببية  
في روري ٢٧٦ — ٧ ، يعبد حبيبته  
٢٧٩ — ١٥
- عبد الله بن جعفر : تأثير الغناء ٥٠ — ١٢  
عبد الله بن عباس : يستمع إلى عمر بن أبي ربيعة  
حيث ينشده عزلاً : ٧٥ — ١٩
- عبد الله بن طاهر : ضعف الحبيب أمام الحببية مع  
أنه قوى قاهر ٨٩ — ٥
- عبد الله بن عافقة : يتغزل في حبشية ٢٠ — ١٣  
عبد الله بن المعتز : يتغزل بالمدكر ١٥٤ — ١١  
عبد الله بن قيس الرقيات : النساء اللاتي تغزل  
بهن ٢٠٠ — ١٣
- عبد المحسن الكاظمي : من غزله ٢٤٩ — ٩ ،  
١٦ يتغزل في أول قصيدة ٢٥٠ — ٤  
عبد الملك بن عبد العزيز السالوي : يتغزل في سعدي  
٢٥ — ٨
- عبيد بن الأبرص : أول معلقته ١٦٠ — ٦

قيس بن ذريح : أول لقائه لبني ٢١ — ٣ ،  
يستشفع بالحسين بن علي في زواجه بها  
٧٥ — ٨ ، من عرله ٩١ — ١٩ ،  
يخال ليزورها ١٠٠ — ١١ ، مخاطرتة  
ليلقاها ١١٧ — ١ ، تفاق روجبها  
١٢٠ — ١٣ ، أمر فراقها ١٢٦ — ٦ ،  
صبره على فراقها ١٣٥ — ١ ، صابه  
في فراقها ١٣٦ — ٩ ، من وفاته  
١٤٠ — ٢٠ ، من غزله ١٩٧ — ٢٠  
قيس بن الملوّح : مجنون لبني : عرف لبلي وها  
يرعيان ١٨ — ٥ ، خير الدنيا بالحب  
٦٦ — ٩ ، يبكيه النساء عند موته  
٧٣ — ٢٠ ، يطلق وثاق ظليمة يشبهها  
بلبلي ٨٦ — ١٤ ، غيرته على لبلي  
١٠٦ — ٧ ، يخال للماء ١١٣ — ١٦ ،  
يعب تزويج لبلي ١١٩ — ٧ ، جنونه  
في سيلها ١٢٥ — ١ ، عذابه في حبها  
١٢٧ — ٥ ، يغاب إذا كان خصمه بعيداً  
عن حبيته ١٣٢ — ٩ ، الصبر في سبيل  
الحب ١٣٤ — ١٢ ، الابتلاء بحبها  
١٣٦ — ٧ ، من وفاته ١٣٧ — ١٨ ،  
غزله في لبلي ١٩٧ — ١١

ك

كثير : عوامل الشعر ١٥ — ١٥ ، أول معرفته  
عزة ١٩ — ١١ ، من غزله في الحج  
٢٦ — ٣ ، ضرورة العشق ٦٦ — ١٢ ،  
يتغزل في جارية أم المؤمنين بنت عبد العزيز  
ابن مروان ٧٢ — ٢ ، يبكيه النساء عند  
موته ٧٣ — ١٠ ، غلامه يبيع عزة ساعة  
ولا يتقاضاها الثمن ٨٧ — ٧ ، يتناشد  
وحميل شعرهما ٨٨ — ٣ ، حلاوة  
الحديث ٩٥ — ٥ ، من وفاته  
١٠٥ — ٢١ ، يطالب نوالها ١١٨ — ٩ ،

يناشد وحميل شعرهما : في الغزل  
٨٨ — ١٥ ، في الفراق ٩١ — ١٥ ،  
حلاوة الحديث ٩٥ — ٢ ، تباهن بالعرفان  
لأرأينه ٩٨ — ٧ ، يخال في زيارة كاتم  
١٠١ — ١٦ ، علامته في إعلامها بالموعد  
ناشد ينشدها ١٠٤ — ١٥ ، يودع  
البريا ١٠٧ — ١٢ ، فطسة الحبيب  
١١٣ — ١٩ ، وفاؤه ١١٧ — ٣ ،  
رجاء الحب ١١٨ — ٧ ، يتغزل في زينب  
بنت موسى ١١٩ — ٤ ، من تاريخه  
وتحليل شعره وبين تغزل من  
١٧٧ — ١٠ إلى ١٩١  
عمر بن عبد العزيز : يعجب على نصيب غزله  
٧٨ — ١٤

عتره : ترصى حبيته بنجاعه ١٣٧ — ١ ،  
أول معلقته ١٦٠ — ١ ، غزله في عبلة  
١٩٤ — ١٢  
عنات : تقول شعراً تغني به ٢٥ — ٨ ،  
٤٥ — ١١

غ

غيلان الثقفي : لذة النسب ٦٦ — ١٠ ،  
عاضرة : تكافيء شعراء الغزل ٧١ — ٣

ف

فايد العمروسي : من صبابة الهوى ٢٨٠ — ٨  
الفتح بن حاقان : يتغزل في المذكر ١٥٥ — ٣  
الفرزدق : من أشعر الناس ٣٥ — ٤ ، في الفخر  
٣٦ — ١١ ، بخاطب الدبار في أول  
قصيدة ١٦٠ — ١١

ق

القس : يمدح سلامة ٦١ — ١٠ ، ٦٣ — ٢٠  
القطامي : يبدأ القصيدة بالغزل ٦٧ — ١٨ ،  
بخاطب الأطلال ١٦٠ — ١٦

المتنى: يتغزل في أول قصيدة مدح ١١٦-١٩،  
١٧-٢١٥  
معاوية: يهوى عن العزل بالنساء ٧٧-٨  
معبد: تأثير العناء ٥٢-١٣  
المعتمد بن عباد: وصف مجلس النساء ٣٧-١١  
معروف الرصافي: يصف مجلس لهو ٢٥٦-٤  
يتغزل في جميع الفوائى ٢٥٦-١٠ فى  
العزل بالمدكر ٢٥٧-٥، فى الوداع  
والاستعطاف ٢٥٧-١٠  
المهدى: حلاوة حديث النساء ٦٦-١٦،  
ينهى بشارة عن العزل ٧٧-١٨،  
يضرب أبا العتاهية لعشقه ٧٨-١٠

ت

الناعبة الذيبانى: أول معلته ١٦٠-٤

٨

هرون الرشيد: يهوى ثلاث جوار ٤٨-١،  
لمحابه بالنساء ٥٣-١٦، ٥٤-١٦،  
يستقبل الشعراء بالرفقة ٦٨-٨، يروه  
العزل ويؤدب به ولديه ٨٢-٦

ى

يزيد بن ضية: يطلب منه الوليد بن يزيد أن  
سدا بالعزل قصيدة وصف ٥٩-٢،  
فى الوفاء ١٦١-٢  
يزيد بن الطثرية: يتغزل بوحشيه ١٨-١٩،  
براه الحب ٨٩-١٥، الحبية تحب  
الشجاع ١٣١-٤، من غزله فى وحشية  
١١-١٩٩  
يزيد بن عبد الملك: شغفه بحبابة المغنية  
٥٤-٦

يطلب العلال لتحمله ١٢١-٤، تصحيته  
فى سبيلها ١٢٨-٣، الصبر فى سبيل  
حبها ١٣٤-١٩، من غزله فى عزة  
١٩٩-٣

كعب بن رهير: يفتش بين يدى الرسول غزلا  
١-٧٥

ل

لبى: صاحبه قيس بن ذريح: انظر قيس بن ذريح  
ليلى الأخيلىة: من وفائها ١٤٤-٢١  
ليلى- صاحبة قيس بن الملوخ- المحبون: انظر  
فاس بن الملوخ

م

المأمون: يكرم شعراء الغزل ٦٨-٢١  
محزر العكلى: ذكر العوائى ٦٦-٥، مكان  
حبيبته النجم ١١٨-١

محمد بن احمد الكاتب: يتغزل فى المدكر ١٥٦-٢  
محمد رضا الشيبى: سائحة فى الحب ٢٦٢-١٨،  
محنة الحب ٢٦٣-٨ يتغزل فى أول  
قصيدة ٢٦٣-١٥

محمد اليريدى: يعنى بسعره فى المدح ٥٩-١٤،  
محمد عبد المطلب: يبدأ قصيدة مدح بالعزل  
١٦٤-٥

محمد عبد الوهاب: من أغانيه ٢٣٣-١٢  
مرداس بن هام: يقبله الهوى ٩٢-١٥  
المرش الأكبر: من عزله فى أسماء ١٩٤-٢  
مهران بن أبى حفصة: يصف جارية ٤٥-٢٣  
محمود أبو الوفا: يحن للطير لأجل الحبية  
٢٨٠-١٣

محمود حسن اسماعيل: يصف حمامات البحر ٢١٧-١١  
أغانيه من حبها ٢٧٩-٨

## تصويب

مهما جهد المؤلف في أن يكون التأليف خالياً من الأخطاء المطبعية ، فإنه لا بد من وقوع بعضها ، وهي لا تخفى على القارئ اللبيب . ولكن يحسن الإشارة إلى الأخطاء الآتية :

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
ابن	بن	٥	١٤
البهيم	الهُم	٧	١٨
أوقدت	أوقدت	١١	»
مكنذا في الرواية والفصيح يقول	يقلن	١٤	١٩
أنا	إنا	١٧	٣١
كلُّ	كلُّ	٢١	٣٤
السماء	السماء	١٦	٣٦
المتقدمة	المتقدمة	١١	٤٠
الحياة	الحيلة	٢١	٤١
الماضين	الماضية	١٠	٤٩
بين	بن	١٤	»
إن	أن	٢٠	٥١
الرشيد	الرشيدى	٢١	٥٣
فأعطاها	فأعطاها	٤	٥٣
تحت	تحب	١٥	٥٧
في كل عصر	في عصر	٤	٨١
يعبسون	يعيشون	٣	٩٨
فدفع	فرفع	١٧	٩٩

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
ملت	ملت	١٢	١١٣
وقد	ولا	١٢	١١٨
حز-م	حز-م	٤	١٣٤
وليسظرا	وليسظر	١٧	١٧٤
عنهما	عنهما ما	٩	١٩٧
أجلها	أجلها	١	٢٠٣
بحا	سا	١٨	٢٠٤
نقاليدهم	لنقاليدهم	٨	٢٠٦
تلع	تلع	٢	٢١٠
ظبية	ظبية	»	»
حاسدنا	حاسدنا	٤	»
نقمة	نعمه	١١	»
مطيع	مطيعا	١٢	٢١٤
الله	والله	١٨	٢١٥
أسلن	أرسلن	١٩	»
لى	له	١٣	٢١٦
ج ا	ج ٧	٢ هامش	» هامش
أغلقت	أغلقت	٣	٢١٧
انشغال	انشغال	٣	٢٣٨
تعشو	تعشوا	١٢	٢٤٩
أيتها	أيها	١٣	٢٥٢

## كتب اللجنة

بعد الاطلاع على الاجازة التي تقدمت اليها من السيد مدير المدرسة العامة في كتاب المدرسة  
المقررة في كتاب الاجازة التي تقدمت اليها من السيد مدير المدرسة العامة في كتاب المدرسة  
الخاصة السيدنا الحاضر بالعامر :

رقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف	محتويات الكتاب
١	في الوفاة	الكتاب الذي تقدمت اليه	هذا الكتاب من الاجازات التي تقدمت اليها من السيد مدير المدرسة العامة في كتاب المدرسة المقررة في كتاب الاجازة التي تقدمت اليها من السيد مدير المدرسة العامة في كتاب المدرسة الخاصة السيدنا الحاضر بالعامر في سنة ٢٥٠٠ م.
٢	في الوفاة في العروة	في الوفاة في العروة	هذا الكتاب من الاجازات التي تقدمت اليها من السيد مدير المدرسة العامة في كتاب المدرسة المقررة في كتاب الاجازة التي تقدمت اليها من السيد مدير المدرسة العامة في كتاب المدرسة الخاصة السيدنا الحاضر بالعامر في سنة ١٢٨٠ و ١٥٠٠ م.
٣	في الوفاة في العروة والاشياء	في الوفاة في العروة والاشياء	هذا الكتاب من الاجازات التي تقدمت اليها من السيد مدير المدرسة العامة في كتاب المدرسة المقررة في كتاب الاجازة التي تقدمت اليها من السيد مدير المدرسة العامة في كتاب المدرسة الخاصة السيدنا الحاضر بالعامر في سنة ٢٥٠٠ م.
٤	في الوفاة في العروة	في الوفاة في العروة	هذا الكتاب من الاجازات التي تقدمت اليها من السيد مدير المدرسة العامة في كتاب المدرسة المقررة في كتاب الاجازة التي تقدمت اليها من السيد مدير المدرسة العامة في كتاب المدرسة الخاصة السيدنا الحاضر بالعامر في سنة ٢٥٠٠ م.
٥	في الوفاة في العروة	في الوفاة في العروة	هذا الكتاب من الاجازات التي تقدمت اليها من السيد مدير المدرسة العامة في كتاب المدرسة المقررة في كتاب الاجازة التي تقدمت اليها من السيد مدير المدرسة العامة في كتاب المدرسة الخاصة السيدنا الحاضر بالعامر في سنة ٢٥٠٠ م.



